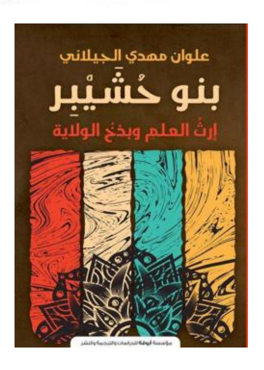
بنو حشيبر
إرث العلم، وبذخ الولاية



علوان مهدي الجيلاني

بنو حشيبر إرث العلم، وبذخ الولاية

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر
القاهرة – ش الشيخ معروف من شمبليون – عمارة ج- وسط البلد
تلفون: 20225743534+
البريد الإلكتروني : arweqhhhh@gmail.com

رقم الإيداع: **2018/5679**
الترقيم الدولي: **ISBN:978-977-774-172-2**

الطبعة الثانية

2019



علوان مهدي الجيلاني

بنو حشيبر
إرث العلم، وبذخ الولاية

دراسات

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر

محتوى هذا الكتاب يعبّر عن رأي المؤلف وتوجهه

إهداء

إلى البروفسور آمنة يوسف
جذوة هذا الكتاب وقبسه الأول

شكر خاص

أتوجه به لكل من ساندني ورافق رحلتي

في تأليف هذا الكتاب، أشكر الذين عايشوا بدايات هذا الاشتغال، أخي مهدي الجيلاني، وصديقي أحمد الأهدل.

وأشكر الذين تعاونوا معي من خلال إمدادي بالمعلومات والصور والسير والوثائق وحرصوا على أن يخرج هذا الكتاب على أحسن وجه وعلى رأسهم الدكتور عبد الحفيظ فقيه الحشيبري أستاذ اللغويات المشارك في قسم اللغة الإنجليزية بكلية العلوم والآداب، وقسم الترجمة بكلية اللغات والترجمة – جامعة نجران، المملكة العربية السعودية، والأستاذ علي قادري الحشيبري.

والشكر موصول للأستاذ حسن قادي الحشيبري، والباحث الأديب أحمد حسن عيَّاش يعقوب، والأديب مُحَمَّد الدهني، والأستاذ مُحَمَّد سعيد، والأستاذ أحمد الكميت، والشاعر رعد أحمد، والأستاذ سلطان معتوق الحشيبري، والأخ عبدالله الحربي، والأستاذ مُحَمَّد مقبول

وقبل هؤلاء جميعاً أتوجه بالشكر الجزيل لصديقي الشاعر الكبير الدكتور هاني الصلوي رئيس مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، الذي رافق اشتغالاتي على الكتاب خلال الأشهر الأخيرة استكمالاً وتصحيحاً وتهيئة للنشر، فقد رافقني ساعات الكتابة وكان المستشار في كل معضلة تواجهني، وقد استفدت كثيراً من ملاحظاته واستدراكاته

دخول

هذا ليس تاريخا، كما أنني لست مؤرخاً. ما سأقدمه هنا مجموعة مقاربات ومعاينات تشبه العرض البانورامي وتتوسل لتوضيح موضوعها بكل ما يمكن أن يكون معينا ونافعاً من مناهج، وأدوات، وقضايا، وأسلوب كتابة، بمقدار ما تستفيد من المعاشرة الشخصية الطويلة والتأملات الدؤوبة والتراكمات المعرفية والخبرات.

لذلك فإن في هذا الاستعراض الذي يتموضع حياة وسيرة وتراث الأسرة الحشيبرية في مجالات التصوف والعلم والأدب والتربية وخدمة الناس ونشر الإسلام، كما في الحراكات والتطورات الاجتماعية والسياسية على مدار ثمانية قرون، إنما هو بمثابة الشريحة أو العيِّنة التي تؤخذ من الجسد لتوضع تحت المجهر، فهو استعراض لجانب من تراث وتاريخ تهامة كما هو أيضا جزء من تراث وتاريخ اليمن والإقليم بشكل عام.

ثم هو من جهة أخرى محاولة لإعادة الاعتبار للجوهري من تراثنا الروحي الذي يشكِّل الجانب الأكثر عمقاً وإيجابية في تاريخنا وفيما ورثناه من قيم وآداب وسلوكيات وطبائع وعادات، كما أنني أتقصد من خلاله تقديم دعوة صريحة لرفض التنميط والمسخ الذي تعرَّض له تراثنا على أيدي دارسين وأكاديميين ومؤرخين تماهوا مع الاستهدافات المؤسسية الموجهة بالسياسة لهذا التراث، أو وقعوا في حبائل الخداع والتضليل المبهرج الذي دأبت مجموعة من التيارات المعادية على بثه حوله، أريد أن أقول لهؤلاء وأولئك لابد من تغيير زاوية النظر.

لقد حولت تلك الاستهدافات المجحفة بيئات الضوء وحواضنه في ماضينا إلى عار لا سبيل إلى محوه إلا بالإدانة المتواصلة له وصب اللعنات عليه، حتى لقد صارت إدانته ولعنه بديهية من البديهيات، ولازمة من لوازم الدارسين والمحققين بلغت سماجتها حد الارتجال وعدم التحقق، وصار يمارسها الأغبياء ومن لا دراية لهم ولا علم بمباهاة وجرأة مبتذلة.

وبتحويل بيئات الضوء وحواضنه إلى عار ؛ دخلت في غياهب التهميش مناطق كثيرة من تاريخنا وأقصيت أجزاء مهمة. بل جوهرية من مكونات هويتنا كان لها الدور الفاعل في تطور المجتمع وثراء حياته العلمية والثقافية والتربوية، وتناغم سُلَّم القيم الاجتماعية فيه، كما كان لها الأثر البالغ في استراتيجيات المكان وناسه تجاه التحديات التي يواجهانها، خاصة في حالات انفراط الدول واختلال الأمن والحروب والتمردات والمجاعات والأوبئة والكوارث الطبيعية.

إن إعادة الاعتبار لهذا التراث وقراءته من زوايا نظر مختلفة له فوائد أخرى تتيح لنا فهم جوانب كثيرة من ذاتيتنا الثقافية، مثل تَبيُّن بنى المسار البطيء لتطور الحياة حيث تتراكم تجارب مجتمعية تؤثر في الذهنيات وتتأثر بها، وتنعكس في طرائق العيش والسكن، كما تنعكس على السلوكيات والمواقف والمعاملات، وعلى فهم الحياة والهدف من الحياة والتفكير في الآخرين وغير ذلك من القضايا المفتوحة للبحث، وفي هذا السياق لا بد أن نلتفت إلى ما تغافل عنه التاريخ الوقائعي الذي لا يعنى إلا بأخبار الملوك والحوادث الكبرى التي عاشوها.

إن تاريخ التصوف في اليمن – مثلاً – لا يعبر عنه بتواتر الظواهر والأحداث المثيرة فحسب، إنما يعبر عن نفسه من خلال مزيج فارد من السلوكيات الموروثة، أي من الثوابت وظواهر التأقلم أو التجديد، ونحن يجب أن نستكشفه في تاريخ الدول، وفي التاريخ السياسي وتواريخ المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وكتب السير والتراجم والطبقات والمناقب والعقائد والفقه والتفسير والوعظ، وتاريخ العناصر الثقافية الأخرى من فنون وآداب، إضافة إلى المراسلات والوصايا والوقفيات، والوجادات وسلاسل النسب والتقاريض والإجازات العلمية، ودساتير الشيوخ لمريديهم، وسفن المدونين من العلماء والفقهاء والأدباء والوجهاء، وأسانيد المحدثين، وفصول قطع الشجار بين المتخاصمين، وحجج الأراضي والرهنيات والقبالات، وفصول المواريث، وفي العادات والتقاليد والحكايات الشفاهية والملفوظات اليومية المتداولة، والطقوس المختلفة –طقوس الراتب الرمضاني مثلاً، وحفلات ختم القرآن، ودروس البخاري ومسلم، والشكرانية، وليلة البهجة (الشعبانية/ المحيا)، وليلة الإسراء والمعراج، والزيارات والنذور، والموالد، وأسماء الناس، والتصور الجمعي للكون والوجود، ومعتقدات البسطاء، وفي فروع أخرى تلتحق بهذه الأشياء في الزار والبدبدة، والجدابة، والتنجيف،

والتوريد، والكشف والكشح، والتشويع، والتنشيح، والخط، والقضّا، والترتيب، والحلف، والمحو، والجاه، والتحشيم، والحجر، والاستمطار والتدروش، وطرق التطبيب والمعالجة، وخصومات النساء، والمهاجاة (الدعاء)، والتقصي، والضمان على الله وغيرها، وفي المظاهر الاجتماعية المختلفة من خلال اللباس ومظاهره المختلفة، ومن خلال عادات الأكل والشرب، وتنظيم الحياة العائلية، ومن خلال العلاقات بين العالم والمتعلم والحاكم والمحكوم، والرجل والمرأة، ومن خلال المساجد والأربطة والزوايا، والمدارس، والمعتكفات، والقباب، والقبور، ، والهجر، والجماليل، والشواهد، ، وعبارات الاستغاثة والتوسل، والمآتم والختانات والأعراس والسمايات وطقوس وداع الحجيج والتعجيل بهم.

إضافة إلى تراث الشعر الشفاهي المغنَّى وغير المغنَّى، حيث كل شيء سيبدو مشحوناً بالشواهد والأدلة والتاريخ الذي يعوِّض ما أهملته الكتابة.

إن قراءة المنامات ومعاينة منظوماتها الإشارية ودلالاتها الثقافية، والاهتمام بالرواسب القديمة للكشف والاستبصار وحضور الخَضِر وغيرها من الغيبيات، إلى جانب كل العناصر السابقة تمكننا من تحديد الهوية الصوفية لمجتمعنا، وتكشف أمام أعيننا عمليات التضمين التي قدمها متصوفتنا، وأكسبوا التصوف اليمني من خلالها خصوصيته.

من جهة أخرى يمكن لهذا النوع من المعاينات والمقاربات والعروض المتكئة على الأنثروبولوجيا التاريخية —إن جاز التعبير– أن تلقي الضوء الكاشف على زوايا أخرى في تراثنا من مثل: خصوصية المتخيل الماثل في الموروث الحكائي والأسطوري الذي يتركز في قصص الخوارق والكرامات والكشوف الصوفية وفي سير الأولياء، كما في سائر الموروث الحكائي الشعبي بشكل عام، وتمثلات كل ذلك في حياة المجتمع وممارساته وقيمه وسلوكياته.

كما يمكننا بالاستناد إلى هذه المعطيات تبين تساند الطريق الصوفي والمقام العلمي والوجاهة الاجتماعية التي كانت محور حياة أسر تهامية كبيرة كالأسرة الحشيبرية، ودور ذلك التساند في بناء أخلاق العناية وقواعد التكافل الاجتماعي في مواجهة قسوة الظروف وفجائع الحياة من مثل تأثير التصوف في التعامل الحاني مع المجانين والمبتلين بأمراض مستعصية، كذلك تأثيره في توجيه الناس إلى التواضع والزهد وتفضيل الفقر على الغنى، وشيوع عادات الدروشة والسياحة والاختلاء، وانتشار

المجاذيب وترهيف الذوائق بالسماع، حيث سيفضي بنا كل ذلك إلى ما جاء في مقدمة ابن خلدون إذ يؤكد أن « حقيقة التأريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال))[1]

لقد عبَّر هيردوت (أبو التاريخ) عن الحاجة إلى وصف عادات الليديين والفرس والمصريين القدامى ليفسر الصراع الذي يعيشه الإغريق مع غيرهم وذلك حسب قوله (حتى لا يمحو الزمن أعمال الإنسان).

لقد كان هيرودوت في منحاه ذاك يستشف ما يمكن أن يحدث لحياة ما، أو فكر أو وجود، أو تاريخ معين، حين تهيمن على مجاله الترابي، أو جغرافيته المكانية، أمم أخرى، أو دول ناشئة بأيديولوجيا مختلفة أو مضادة، فتعيد صياغة الذاكرة الجماعية بشكل يبرر هيمنتها الحاضرة، وطريقة تنظيمها للمجتمع، وعبر مناهج ومسالك يتم فيها إقصاء عناصر تلك الحياة الأولى وتدمير شواهدها مكتوبة وغير مكتوبة، بحيث إنها فيما بعد لا تكاد تذكر إلا من خلال صور مشوشة.

بمعنى آخر علينا تدشين محاولات لقراءات جديدة وجادة؛ تهتم بكل الناس وبالبنى النّفسية والذهنية المتحكمة في السلوك البشري لإنسان المكان، اعتماداً على الموروث المتراكم في التدين والإنتاج العلمي والفكري والأدبي والتاريخي بتجلياته المختلفة، دون إغفال الطقوس والعادات والتقاليد الشعبية والفنون والإبداعات الشعرية الشفاهية وتجليات الذاكرة وغيرها، بتركيز واستفادة قصوى من الجانب الأنثروبولوجي والزمن الاجتماعي؛ ناهيك عن دور التاريخ البيولوجي المرتبط بطرق المعيشة والسكن والبيئة وجيراننا فيها، والأمراض والأوبئة والجوائح الطبيعية من قحط وسيول مدمرة وعواصف وبروق وسائر مايمكن أن يشكّل دوافع وروافع للوجود تعزز إمكاناته وتثري حضوره، أوضواغط معوقة لذلك الوجود تستوجب ردود فعل تكيفية،

([1]) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق أ.م. كارتمر، طبعة مكتبة لبنان –بيروت 1992م، ص8

إن قراءة التاريخ العلمي والثقافي والصوفي لليمن – منطقة تهامة بالذات– دون انغماس في تاريخ العائلات والأنساب باعتبارها تحيل على سلوكيات إنسانية وتشكيلات اجتماعية وتمثلات ذهنية وتمترس معرفي أيضاً، يجعل تلك القراءة ناقصة بكل تأكيد، كما أن انغماساً من هذا النوع الذي ننشده لا يمكن تحققه دون متكآت منهجية مؤازرة. وإذا كنتُ كثير التفكير هنا بالأنثروبولوجيا التاريخية فذلك لأنه (ليس لها حقل خاص بها إذ هي تتطابق مع مقاربة تربط دائماً بين التطور المعتبر وصداه الاجتماعي، وما ترتب عنه من السلوكيات) [1]

لقد كان لمجموعة القيم الثقافية والاجتماعية التي راكمتها الأسرة الحشيبرية وما شابهها من أسر العلم والتصوف في تهامة تأثير حاسم في الذهنيات والمعتقدات الشعبية والطقوس المؤثرة في الحياة اليومية التهامية لقرون طويلة. وهذا ساهم بدوره في ترسيخ خصوصية المكان وناسه، تلك الخصوصية التي تعاني اليوم من التجاهل والإقصاء والتهميش ومن ضروب الاستهدافات الرسمية وغير الرسمية الداخلية والخارجية، وهذا كان دائما مثار تذمرات واحتجاجات في كتابات ومثاقفات النخب التهامية، بيد أن الكتابات الجادة القادرة على دحض ظلمات التهميش، أو مغالبة الصور النمطية السلبية التي تكدست على المكان وناسه خلال عقود مضت وساهمت في إخفاء المزايا التي تتزين بها خصوصيته كانت قليلة جداً، وذلك بسبب التجهيل والتغييب اللذين طالا تهامة وأهلها من جهة، ثم قلة المؤهلين للخوض في جوهر هذا الموضوع استعدادات ومعرفة وتأهيلاً من جهة أخرى.

لطالما شعرنا بالأسى خلال العقود الثلاثة الأخيرة من الزمن[2] ونحن نلاحظ أن التاريخ والدراسات الأدبية والثقافية، والكتابات النقدية، والأطروحات الجامعية، والندوات والتظاهرات الثقافية، وبرامج المؤسسات المهتمة بالثقافة رسمية وأهلية، إضافة إلى البرامج التلفزيونية والإذاعية،

([1]) التاريخ الجديد، جاك لوغوف وآخرون، ترجمة الدكتور محمد طاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة،ط1 بيروت، يوليو 2007م ص 247

([2]) المقصود هنا الفترةمن(1990– 2018م) وهي تبازغ الوعي بهذا الواقع ثم تناميه وتحوله إلى هاجس ملحَّ وقضية ماسّة.

والمقالات والتحقيقات والاستطلاعات الصحفية، لا تقدم إلا المركز، وأن مناطق كانت ذات يوم أكثر أهمية يتم اليوم تهميشها بشتى الطرق والوسائل، وحتى لوتم تناولها بأي شكل من الأشكال المشار إليها سابقاً، فإنه تناول يتم من المركز وتحكمه —غالبا – الصور النمطية، والفقر المعرفي، وعدم مراعاة الاختلاف والخصوصية بين البيئات والجغرافيات والمرجعيات الثقافية والروحية.

إننا نعيش منذ فترة في حالة امتثال لتصورات المركز عنا، وتفكيره لنا وتحدثه باسمنا، وهذا واقع زائف وتقديم لنا أو تفكير فينا نواتجه مضللة، لأن قصديات الظلم والتقزيم والتحجيم وحتى الإزراء والازدراء ماثلة فيه، فنحن ببساطة لسنا جزءًا من المركز ولا ممثلين في نخبه، لذلك فلا أدوار تحسب لنا ولا قيمة لماضينا، أو بعبارة أخرى هم يرون أنه لا يجب أن تكون هناك قيمة لماضينا، لأن تفتيح أعيننا عليه وعلى مقاماته الباذخة يثير إشكاليات تهدد دعاواهم ومصالحهم السياسية والاقتصادية وتغوّلهم على المكان وأهله نهبا وسلبا واستقواءً.

إن ما يقدمه هذا العرض البانورامي لتاريخ الأسرة الحشيبرية، لا يغطي بالتأكيد كل تلك الجوانب التي ذكرتها، ولكن احتشادها في هذه المقدمة سيكون بمثابة الدليل لي أولاً، ولمن أراد أن يسلك هذا الطريق ثانياً، لنستكشف في دراسات أخرى، جوانب أكثر عمقاً واتساعاً في هذا الإرث الكبير.

الجذور الأولى من الجاهلية إلى الإسلام

هذه أسرة من أشهر الأسر التي برز رجالها في مجالات العلم والولاية والعمل العام على مر التاريخ اليمني.

عند بزوغ فجر الإسلام كانت بطون عك بن عدنان – الكبرى في تهامة أربعة: غافق، وساعدة، وعبس وبولان[1] وتنتشر مواضعها الأصلية في تهامة من وادي رمع شمال مدينة زبيد حتى الحافة الشمالية لوادي مور، مع اعتيادها على التنقل بشكل واسع في الاتجاه الشمالي من تهامة حتى مكة وما جاورها.

وقد صحبتْ جماعة منهم الرسول ﷺ على رأسهم مهجع العكي[2] أول شهيد من المسلمين في معركة بدر، والأقرع بن شفي العكي[3] الذي عاده الرسول ﷺ في مرض ألمَّ به، وتنبأ له بأن يموت في الرملة بفلسطين، والصحابي كدن بن عبد العكي[4]، وعمرو بن مالك العكي[5] الذي قدم مع أبي موسى الأشعري في وفد الأشعريين، ومُحَّد بن جابر العكي[6] وفد على رسول الله

---

(1)التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، أبو الحسن اليمني القرطبي، نسخة الكترونية، المكتبة الشاملة ص32.

(2)الاصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 – 1415 هـ ج6 ص 182.

(3)الاستيعاب في معرفة الصحاب، يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر، علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م ج1 ص103

(4)مغاني الأخبار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، محمود بن أحمد الشهير ببدر الدين العيني، تحقيق محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2006م ج3 ص 433

(5)الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، 1990م،ج7 ص303

(6)الإصابة في تمييز الصحابة، مصدر سابق ج6 ص7.

ﷺ وشهد فتح مصر، وحملة بن عبد الرحمن العكي[1]، وبشير بن جابر بن ذؤالة العكي[2] شهد فتح مصر، ومسروق العكي[3]، القائد العسكري الذي لعب دوراً كبيراً في حروب الردة.

هذا على سبيل المثال لا الحصر.

ومن هذه القبائل الأربع تشكل معظم الجيش الإسلامي الذي فتح مصر[4] بقيادة عمرو بن العاص سنة (20 هـ) ومن ثم انتشرعدد كبير من أبناء هذه القبائل في مصر وشمال أفريقيا والأندلس، كما انتشرت أعداد كبيرة منهم في شرق الدولة الإسلامية (العراق وفارس وما والاهما)، فكان منهم الفاتح الشهير عبد الرحمن الغافقي قائد معركة (بلاط الشهداء) في فرنسا سنة (114هـ)، ومقاتل بن حكيم العكي[5] والي بلاد أرمينية وما جاورها، وأحد قادة الثورة العباسية

---

(1)نفس المرجع ج2 ص154.

(2) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط1، 1990م ج7ص11..

.(9) تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر،تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1995ج 57 ص440، البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م ج7 ص63،

(4) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، دون ت ج1، ص 5، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ ج2 ص71، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ط1، 1967م، ج1 ص 106، فتوح مصر وأخبارها، عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين القرشي المصري، تحقيق محمد الحجيري، دار الفكر – بيروت – ط1، 1996م ص 158، معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار الفكر – بيروت، بدون ت ج4 ص 262، نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423 هـ ج19 ص 285

(5)أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، مؤلف مجهول، تحقيق: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، دون ت ص 220

على الأمويين. وابنه مُحَمَّد بن مقاتل بن حكيم العكى[1]، رضيع هارون الرشيد الخليفة العباسي، ووالي شمال أفريقيا (181-184هـ).

---

(1)البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، محمد بن محمد بن عذاري المراكشي، تحقيق ومراجعة، ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط 3، 1983م

حُشي براً وَتقَوى

وعلى مر القرون التي تلت تفرَّع من قبائل عك، الأربع المشار إليها سابقاً عدد كبير من القبائل والأفخاذ والبيوت.

ففي القرن السابع الهجري كان من بقي في تهامة من أبناء القبيلة الرابعة من هذه القبائل – أعني قبيلة بولان– قد تفرعوا إلى عدة بطون من أشهرها: (العلوي، الحربي، القهبي، الجرابح، عدوان، الزبرة، الواعظات، هليلة، الصمي).

ومن بني هليلة انبثقت قُبيل منتصف القرن السابع الهجري قبيلة الحشابرة (بنو حشيبر، آل الحشيبري)، نسبة إلى أول من تلَّقب منهم بهذا اللقب وهو الولي الشهير عمر بن أحمد حشيبر (توفي قبيل منتصف القرن السابع الهجري). إذ تذكر المصادر التاريخية أن الكلمة مركبة أصلها (حُشيت براً) أو (حُشي بِراً) وتذكر تلك المصادر أن جدهم هذا كان تلميذاً لشمس الشموس الشيخ أبي الغيث بن جميل (ت651هـ) وأنه ذات مرة دعا له بقوله: (حَشيت بِراً وتقوى)[1] أو أثنى عليه بقوله: (هذا حُشي بِراً وتقوى) وأن الاستعمال الدارج جعلها (حشيبر)، ذكر هذا المرتضى الزبيدي

([1]) ممن ذكر ذلك المؤرخ محمد أمين المحبي في كتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ص 418، لكنه يذكر أن شمس الشموش قالها عن الولي محمد بن عمر حشيبر: (العارف المشهور بالغيثي نسبة لسيدي أبي الغيث بن جميل لأنه كان تلميذه وقال له في بعض وقائعه إنه حُشى براً فلذلك اشتهر بحشيبر). أيّاً يكن الأمر فلا فرق أن يكون الوصف للأب أو ابنه، مع أنني أرجِّح الأب أحمد بن عمركون البدر الأهدل في تحفة الزمن يذكره بهذا اللقب وهو الأعرف بالأسرة وتاريخها بسبب خلطته بأبنائها وأخذه تاريخهم منهم. وهناك دليل آخر أقوى على كون الأب هو أول من حمل لقب (حشيبر) فالجندي في كتابه (السلوك في طبقات العلماء والملوك البدر والبدر الأهدل وعديد المؤرخين غيرهما يذكرون اسم الأب هكذا (أحمد بن عمر حشيبر) ويذكرون اسم الابن هكذا (محمد بن عمر بن حشيبر) وهكذا تلازم صفة حشيبر الأب دائماً، فيما تلازم صفة ابن حشيبر الابن دائماً

في مادة (ح، ش، ا) من كتابه (تاج العروس) حيث قال: (وبنو حشيبر قبيلة باليمن والأصل فيه حشي برّاً).

وإن كان له تعليل آخر أورده أيضاً في تاج العروس مادة (ح، ش، ب، ر) يقول: (حشبر وتصغيره، حشيبر لقب جماعة من قدماء شيوخ اليمن، منهم الولي الكامل علي بن أحمد بن عمر حشيبر (ت822 هـ) وعمه الفقيه مُحَمَّد بن عمر حشيبر (ت 718هـ) وهم من بني هليلة بن بولان بن شحارة وفيهم محدِّثون وفقهاء، ومنهم شيخنا المعمَّر مساوى بن إبراهيم بن مساوى بن حشيبر صاحب المنيرة).

وهكذا ظلت كتب التاريخ والتراجم تنسب الأعلام منهم منذ القرن السابع إلى القرن الحادي عشر الهجري في الغالب على هذا النحو: (فلان بن فلان حشيبر)، أما منذ القرن الحادي عشر فقد صار المؤرخون وكُتَّاب التراجم، يدخلون عليها (ال) التعريف و(ياء) النسبة: (فلان بن فلان الحشيبري أو فلان الحشيبري).

في القرون الثلاثة الأخيرة أيضاً وبعد أن تكاثرت أعداد أبناء هذه الأسرة متجاوزة الآلاف – صارت تعرف بقبيلة الحشابرة، على وزن (مفاعلة)، وهذه الصيغة صيغة محلية (جمع تكسير) تستعملها اللهجة التهامية كثيراً فتجيء منها مثلاً: (مهادلة، مقاعشة، عطاوية).

****

أوّلُ ألأنوار، .منثور الحِكَم

أول ترجمة لعلم من أعلام الحشابرة، . نلقاها –حسب اطلاعنا– في كتاب (السلوك في طبقات العلماء والملوك) لبهاء الدين الجندي (ت732 هـ).

يقول الجندي: (ومن قرية تسمى بيت دُبَان بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة ثم ألف ثم نون، فقيه اسمه مُحَمَّد بن عمر بن حُشَيبر بضم الحاء المهملة وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحت وخفض الباء الموحدة وسكون الراء، ونسبه في قوم يقال لهم الهليليون بهاء مضمومة بعد ألف ولام مفتوحة وبعدها لام مفتوحة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم لام مخفوضة ثم ياء مثناة من تحت مضمومة ثم واو ساكنة ثم نون، كان فقيهاً زاهداً ورعاً صاحب كرامات وكلام بالحكمة، وفاته مستهل عرفة سنة عشرين وسبعمائة، وكان والده فقيهاً خيراً، صحب الشيخ أبي الغيث واختص به وعد من أصحابه)[1].

ووالد الفقيه المترجم له والذي يذكر الجندي أنه (صحب الشيخ أبا الغيث واختص به وعد من أصحابه) هو عمر بن أحمد أول من تلقب بهذا اللقب (حشيبر) بعد أن دعا له شمس الشموس أبو الغيث بن جميل بقوله (حشي براً) كما أسلفنا، وهذا معناه أن اللقب المبارك أطلقه علم مشهور– ليتركب على أعلام مشاهير من حينه.

المؤرخ علي بن الحسن الخزرجي (812هـ) سيقدم لنا في كتابه (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) ترجمة أخرى للفقيه مُحَمَّد بن عمر بن حشيبر، مضيفاً أن (له في الحكمة كلام

(1) السلوك في طبقات العلماء والملوك، محمد بن يوسف، بهاء الدين الجندي، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد – صنعاء ط 2، 1995م ج2، ص 348.

عجيب)[1] إلى جانب معلومة أخرى تتعلق بإحدى شخصيات هذا البيت البارزة، وهو (حشيبر بن علي بن حشيبر) الذي قتل أوائل سنة (801هـ) جراء غارة شنتها قبيلة المعازبة على قرية فشال. [2]

أما كتاب (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) للبدر حسين بن عبد الرحمن الأهدل (ت 855هـ)، فسيمدنا بمعلومات أكثر اتساعاً عن أعلام هذا البيت وأخبارهم، ذلك لكون البدر الأهدل قد كتب تاريخه بعد مضي ما يقرب من مائتي عام على تلقب جدهم بهذا اللقب، فخلال تلك الفترة. توارث مجموعة من أعلام هذا البيت الفقه والولاية الصوفية، واشتغلوا بغيرهما من معارف زمانهم، وصار لهم شأو في ميراث الخرقة والطريقة الغيثية، واتصل بعضهم بالملوك والسلاطين، وصار بيت ابن حشيبر من البيوت العريقة في العلم والتصوف والوجاهة الاجتماعية.

ثمة سبب آخر لتوسع البدر الأهدل في أخبارهم، فهو من أبناء المنطقة إذ يسكن مدينة أبيات حسين أحد معاقل العلم المهمة في اليمن آنذاك، وبنو حشيبر يعيشون من حولها خاصة الجهة الجنوبية منها، كما يعيشون فيها أيضاً، ثم إن هناك صلة علمية قوية تربط بني حشيبر بآل الأهدل، وهي صلة مازالت مستمرة إلى اليوم.

السبب الثالث: أنه يعود لبني حشيبر الفضل في حفظ سيرة الوليين الكبيرين شمس الشموس أبي الغيث بن جميل، ومثقّبه الشيخ علي الأهدل، فكل ما هو معروف عنهما مروي عن طريق الجد الحشيبري الأكبر أحمد بن عمر حشيبر الذي صحب الشيخ أبا الغيث مبكراً، وقد تضامّت رواياته مع روايات ابنه اللامع مُحَّد بن عمر حشيبر لتشكل المدونة التي توارثتها الأسرة واتكأ عليها البدر الأهدل في رسم تاريخ وسيرة الوليين الكبيرين، والبدر الأهدل يستقي معلوماته عنهما من طريقين، الأولى:طريق الفقيه المتقن أحمد بن أبي بكر الدهل الحشيبري الذي ينقل عن كتاب بخط جده الرابع مُحَّد بن عمر حشيبر، أويروي عن أبيه عن جده عن جده الرابع، الثانية: طريق

(1) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، علي بن حسن الخزرجي، عُني بتصحيحه وتنقيحه: محمد بسيوني عسل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت –لبنان، ط1، 1983 ج1، ص 356.

(2) العقود اللؤلؤية، ج2 تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، ص 246.

الفقيه مُحَّد بن يوسف المزجد الذي كان يحتفظ بأوراق يروي فيها أيضا عن الولي مُحَّد بن عمر حشيبر.

لكل تلك الأسباب أولى البدر الأهدل هذه الأسرة حيّزاً كبيراً في تاريخه، وأمدنا بمعلومات واسعة عنها، . وهو يتتبع مشاهيرها مستقصياً صفاتهم واشتغالاتهم العلمية والثقافية والاجتماعية، . ومنه نعرف أن أكثر ذرية بني حشيبر يرجعون لأحد أولاد حشيبر الجد، هذا الولد هو الولي الشهير مُحَّد بن عمر بن حشيبر الذي نوه به شمس الشموس أبو الغيث بن جميل منذ كان طفلاً، حين جاء به أبوه إليه، . وقد أفاض البدر الأهدل في ترجمته، فذكر تصوفه وزهده واجتهاده في العبادة وطلب العلم، مستعرضاً شيوخه الذين أخذ عنهم وتلاميذه الذين أخذوا عنه، منوهاً بكراماته وما منحه الله من مواهب في الكشف والقبول عند الناس، مناقشا كتابه الذي تضمن أقواله وتجاربه في التصوف.

ومما أورده البدر الأهدل في هذا السياق أنه (اشتهر بالولاية والعلم وهو صغير)[1] وذكر أن والده ذهب به عندما كان صغيراً إلى شمس الشموس أبي الغيث بن جميل وقال له: (أشتهي منك لهذا الولد نظرة عناية، فكوشف الولد فنظر في ظهر الشيخ أبي الغيث عينين يبصر بهما من ورائه، فأعلم الولد أباه، فذكر ذلك للشيخ فقال الشيخ أبو الغيث: يا ولدي ما رآهما غيرك، ونوه الشيخ بفضل الولد، فنشأ الولد نشوءاً صالحاً وطلب العلم وتفقه على ابن عبد الحميد الخلي، وأخذ عنه في الحديث والتفسير وأخذ في النحو عن فقيه من سكنة التحيتا (قرية من قرى وادي سردد اندثرت وهي غير تحيتا وادي زبيد) يعرف بابن الميل)[2].

ونستشف من كلام البدر الأهدل على الولي مُحَّد بن عمر بن حشيبر بداية اتصال هذه الأسرة بالملوك، فشيخه ابن الميل كان يصحب الملك المظفَّر بن رسول، ويبدو أنه احتاج إلى توطيد مكانته عند الملك المظفَّر بمديح يكتبه فيه، ولكنه لم يكن يجيد قول الشعر، فأسعفه تلميذه مُحَّد بن

---

(1) تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط1 2004م ج2، ص 193.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 193.

عمر حشيبر بقصيدة قدمها للملك الذي سرعان ما كشف عدم انتمائها لابن الميل، فقال له: (والله ما لاكها لحياك) [1].

إلى جانب الفقه وعلم اللغة والموهبة الشعرية الجيدة اشتغل مُحَمَّد بن عمر حشيبر بالعبادة، ويذكر البدر الأهدل أنه (كان يختلي في موضع يقال له مهرمل) [2] وهذا المكان يقع في ساحل وادي سردد، وكان الزهاد والصلحاء يعتبرونه من المواضع المباركة التي يفتح الله فيها على المصطفين الأخيار من عباده، وكانوا يشترطون على من يحب الخلوة فيه الصبر لكي يفتح عليه، وكان المختلون فيه يخبرون بعجائب مثل رؤية الملائكة وكشف المغيبات، ولذلك كانت تشد إليه الرحال، وممن شد الرحال إليه الفقيه مُحَمَّد بن عمر حشيبر، حيث ابتنى هنالك عشة، وصار يتردد إليها ويقيم فيها مدداً مختلفة حتى فتح عليه، ويقدم لنا البدر الأهدل شهادة ابن حشيبر عن إحدى تجارب اختلائه في (مهرمل) كما حكاها هو،

يقول الأهدل: (فذكر أنه مرة أقام خمسة وثلاثين يوماً ثم دخل عليه رجل فسلَّم عليه وأحرم بركعتين، وقعد مستقبلاً القبلة فحضرت صلاة الظهر فصلاها، ولم يتوضأ، ثم صلى العصر والمغرب ثم العشاء ثم الصبح، ثم اليوم الثاني كذلك، ثم اليوم الثالث كذلك، فصلى كل صلاة ولم يجدد وضوءاً.

فقلت في نفسي: يا فلان هذا الرجل قد أعطي هذا الحال وأنت لك مقيم في هذا الموضع مدة ما فتح عليك، وهممت في نفسي بالخروج عن الموضع فكاشفني، وقال لي: يقرع أحدكم الباب مدة حتى يوشك أن يفتح له، ثم عزم على الخروج، قال: فقوي عزمي على الوقوف، فما تم لي أربعون يوماً إلا وكلي عين ناظرة) [3].

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 193.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص 193.

موهبة أخرى كان يحظى بها حشيبر ويبدو أنها مما فتح به عليه أيام (مهرمل) –أعني بتلك الموهبة– علم التفسير، الذي كان يحفظه عن ظهر قلب، وعنه أخذه الولي الشهير محمَّد بن عبد الله المؤذن (صاحب الغصن) [1].

الأهدل أيضاً يذكر لنا شيئاً من كرامات محمَّد بن عمر حشيبر ويصحح تاريخ وفاته، ويتحدث عن كتابه الشهير (منثور الحكم) معتبراً أن: (فيه مقالات مفيدة، وفي بعضها شيء من الشطح) إلى جانب بعض (المقالات المشكلة) والمقالات التي (توهم القول بالاتحاد) مستشهداً بقوله: (إن النفي والإثبات أي في قول لا إله إلا الله عندنا في حقيقة فقرنا ذنب يوجب العقوبة، لأنا ما وجدنا غيره في الأزل فننفيه ولا فقدناه في الأبد، فنثبته) وقوله: (وعند تجليه يذهب الرسول والمرسل إليه)، وقوله في شعره:

ما كنت أعرف شيئاً من معارفه حتى تعرف لي إذ قال أنت أنا)

معتبراً أن تلك المقالات غريبة على ابن حشيبر، الذي (لا تعرف عنه بدعة باعتقاد مذهب فاسد) معللاً وجودها في الكتاب بواحد من ثلاثة أسباب:

الأول: أن يكون (نقلها من كتب الحشوية والملاحدة، ولم يعلم ما فيها من محذور).

الثاني: أن يكون (تكلم ببعض تلك المقالات في حال سالب للشعور).

الثالث: أن تكون قد (أدخلت في كلامه) [2].

ومما لا شك فيه أن البدر الأهدل كان عند كلامه على كتاب ابن حشيبر يتجنى عليه منساقاً لمعركته ضد أتباع ابن عربي، وهي المعركة التي ألف فيها كتابين آخرين هما: (كشف الغطاء) و(التنبيهات) وفيهما أيضاً نقاشات واسعة لكتاب ابن حشيبر كما لكتاب شيخه شمس الشموس أبو الغيث بن جميل.

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 97.

(2) الاقتباسات السابقة من تحفة الزمن، ج2، ص 194، وانظر أيضاً نفس المصدر، ج2، ص 344.

ويذكر البدر أن أولاد الولي مُحَمَّد بن عمربن حشيبر من ثلاث نساء أولاهن من بني صدقة ومنها أنجب أحمد وأبا بكر، وثانيتهن من المصامدة وقد أنجب منها ابنه حسن، أما ثالثتهن فمن بني مصعب أهل المرارة من الزيديين ومنها أنجب أولاده إبراهيم وعيسى ومحمود[1]

بعد ذلك يترجم للعلماء من أبنائه وأبناء عمه وأبنائهم وأحفادهم من علماء هذه الأسرة، موضحاً صفات ومميزات كل منهم، فـ(إبراهيم بن مُحَمَّد بن حشيبر كان عابداً على قدم أبيه وله كرامات)، ذكر منها (أن ولده مُحَمَّد بن إبراهيم سافر إلى النخل للتنزه فعطش هو ورفقته في الطريق حتى كاد ولد الفقيه يهلك، قال بعض أصحابه: فنادينا الفقيه إبراهيم فقلنا: يا فقيه إبراهيم ولدك كاد يهلك من العطش، فإن بك غارة الساعة، فما أتممنا كلامنا إلا وإذا صاحب جمل يركض جمله ومعه جرة من الماء، فقلنا له: يا جمال أعندك ماء، فقال: حاجتكم عندي وأناخ الجمل وشرب ولد الفقيه وشربنا، فلما وصلنا قلنا للفقيه: يا فقيه إبراهيم كاد ولدك يهلك من العطش، ولم تغر علينا، فقال: ما وصلكم الجمال؟ قال: فقلنا: نعم، فقال: ذاك الماء والله من بئر كريش لبئر يردونها في قريتهم، وكان عمره خمسين سنة) [(2)] و(مُحَمَّد بن إبراهيم بن حشيبر كان صالحاً طيباً مباركاً انتفع به الناس كثيراً) [(3)]، وكان إلى جانب صلاحه طبيباً (ما كوى أحداً إلا برىء بإذن الله تعالى) [(4)]، . والفقيه الصالح (المجمع على صلاحه) أبو بكر بن إبراهيم أول من تلقب بالدهل (ت 802 أو 803هـ) (كان صالحاً سليم القلب، زاهداً في الدنيا لا يتعلق بشيء من الأسباب يقصده الزائرون من كل ناحية) وتروى عنه عجائب فيها تمثلات مرجعية لا تخفى على لبيب، وهذه التمثلات المرجعية ذات فاعلية تشغيلية سواء تعلقت مفاعيلها بالولاية كشأن من شئون التصوف، أوتعلقت تلك المفاعيل بالتأثيث للدور الاجتماعي المميز الذي سيلعبه الرجل خصوصاً ما يختص من ذلك الدور بأخلاق العناية بالذات.

([1]) المصدر نفسه ج2،ص 195

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 195.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص 196.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

في هذا السياق يورد البدر هذ الحكاية الدالة (حكى الثقات عنه أنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، شق صدري وأخرج منه علقة وكان يقول: أظنها الغش) [1] والمقصود بالغش هنا سوء الطوية، بمعنى أن الرجل صار صافي السر والسريرة مع الله والناس، وقد انعكس منطوق الحكاية على سيرته وحياته، فقد كان واحداً ممن مثلوا ذروة الحضور العلمي والصوفي والنفوذين الروحي والاجتماعي لهذه الأسرة، . ولذلك (كان مقبول الشفاعة عند الأمراء، . فمن دونهم، . واشتهر عندهم أن من رد شفاعته عوقب، فكان قلما يرد) [2]، . أيضاً كان استغراقه الصادق في الحدب على الناس مثار إعجابهم دائماً، مثلاً: كان إذا رفع يديه للدعاء يندمج حتى يكاد يغشى عليه، . فكان الناس لذلك يقصدونه لشفاعاتهم ولغرض الدعاء لهم، والبدر الأهدل - المعروف بحذره تجاه الروايات الماورائية إلى حدما مقارنة بغيره – يعزز ما يورده عنه بالحديث عن معرفته الشخصية به يقول (وكان إذا رفع يديه شق من بدنه، فمكث سنين مستلقياً دخلت عليه في ذلك المرض فرأيت منه بشراً تاماً، وكان ذلك دأبه للناس غالباً، وأوصاني بالسلام إلى جدي الشيخ علي الأهدل وقال لي: بلّغه فهو يسمعك ودعا لي رحمه الله ونفع الله به). [3]

مثله بل ربما زاد عليه الفقيه على بن أحمد بن عمر بن أحمدبن حشيبر (ت822هـ)[4] وقد اجتمعت في شخصية هذا الرجل الميزات المهمة التي انبنى عليها تاريخ هذه الأسرة بشكل متواز ومتوازن – أقصد العلم والفقه والصلاح والتصوف والنفع الاجتماعي، والنفوذ الروحي بشكل عام- قال الأهدل: (كانت علامات الولاية ظاهرة عليه، من كثرة التلاوة والقيام والصيام، وحسن الصلاة والمحافظة على الأذكار والدعوات النبوية بإعرابها والفقه في الدين مع كثرة البحث عن المسائل وتحقيقها، والعمل بالشريعة ومحبته أهل العلم والإحسان إليهم، بل إلى سائر الناس والشفقة على المسلمين والدعاء لهم ولولاة أمورهم، والصبر في الشفاعات وإصلاح ذات البين، وغير ذلك من

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفسه

(4) الولي محمد بن عمر حشيبر عمه أخو والده

الفضائل، وله كرامات ظاهرة لا تحصى كثرة، وكان قد اتصل بالفقيه الولي أبي بكر بن مُحَمَّد بن أبي حربة في آخر عمره، واختص به وأثنى عليه كثيراً، وكان له منه صحبة وحسن رعاية أعرفها له، وأرجو بركته، إن شاء الله تعالى، وأظهر كراماته عندي –الكلام للبدر الأهدل– حسن استقامته في دينه، وكثرة نفعه للمسلمين، وإني لم أر في نظرائه من أهل عصره من هو مثله في صفاته المتقدمة إلا الشريف أحمد الرديني (ت 827هـ) في نواحي مور، فإن كلاً منهما كما قيل:

وشوقني وصف الجليس إليكم   وغالب ظني أنكم فوق وصفه

وكما قيل:

أبى الفضل إلا أن يكون لأهله   وحسن الثنا إلا لآل مُحَمَّد

وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وعمره قريب من ثمانين سنة) [(1)].

وليس هذا رأي البدر الأهدل وحده فيه، فهو يورد روايات عن صلحاء أهل زمانه تؤكد على هذه المكانة العالية لهذا الولي، فهذا أحد الصالحين واسمه (مُحَمَّد بن أبي بكر بيعز أي بباء مفتوحة، ثم مثناة من تحت ساكنة، ثم عين مه[2]ملة مفتوحة، ثم راء مهملة) يحكي رؤيا منامية نصها (رأيت من يقول لي ألا أريك الأربعة الذين يدفع الله بهم البلاء عن أهل هذه البلاد، وبهم يرزقون وينصرون فأشار إلى الفقيه مُحَمَّد الأشخر والفقيه علي بن أحمد بن حشيبر وإلى رجلين آخرين)[3]

ولا يتوقف البدر في تقديره لبني حشيبر عند هذا الحد فهو يستشهد على زكاوة بعض أقاربه بشهادة الحشيبريين لهم، مثلاً حين يتحدث عن الفقيه الصالح مُحَمَّد بن إبراهيم الفتي يقول " فقيه صالح عابد، وهو ختن الفقيه علي بن يعقوب المذكور، وجدته أم أبيه عمتي أخت أبي، وسمعت الفقيه دهل بن حشيبر يقول في حقه: ما هذا الشِّعب إلاّ من ذاك النهر، يعني أنه من بركة سيدي الشيخ علي الأهدل، نفع الله به"[4]

---

(1) نفس المصدر، ص 197، 198

([3]) نفس المصدر، ص 199

([4]) نفس المصدر ج2 ص207

ويذكر مرات مثاقفات حول دقائق في التصوف كان أحد الحشيبريين طرفاً فيها، كما في قصة الشيخ الصالح أحمد بن حشيبر الصوفي والفقيه الفقيه مُحَّد بن إسماعيل المكدّش، يروي الحشيبري أنه كان مع المكدش في صحراء الأنفة " جهات باجل"، وكان يختص به ويبسط معه، قال: فتحدثنا في الكرامات، فقلت له: يا سيدي هل عندكم أخص من حالة القدم؟ فقال: نعم، التحيز أي بالزاي، فقلت: ما هو التحيز؟ فقال: هكذا، وتحرك في مجلسه فإذا بأرض لا أعرفها، فقال: يا أحمد بيننا وبين الأنفة مسير شهرين، ثم تحرك ثانياً، فإذا نحن بموضعنا" [1]

وفي مواطن أخرى يحكي البدر الأهدل مواقف سياسية لعلم حشيبري تدل على بعد نظر، فحين تمرد ابن ميكائيل سنة 761هـ على الدولة الرسولية حاول استمالة الأولياء والعلماء إلى جانبه، وكانت جهات سردد وشمالها إلى حرض هي مواضع تمركزه واستعداداته للزحف على زبيد، وقد عضده الفقيه والولي الشهير أبو بكر بن أبي حربة بحسن نية (على قصد الإصلاح) حسب عبارة البدر الأهدل، ووافقه على ذلك مجموعة من فقهاء أبيات حسين والمهجم، لكن الفقيه مُحَّد بن حسين بن مُحَّد بن عمر بن حشيبر تزعم " جماعة الفقهاء المعارضين، وكان يظهر الخلاف لابن أبي حربة بالحال والمقال "[2] وقد فعل ذلك رغم الصحبة العميقة التي تربط أسرته بآل أبي حربة وعلى وجه الخصوص الفقيه أبوبكر بن أبي حربة والفقيه علي بن أحمد بن حشيبر، وكان رأيه في محله. فقد كانت دولة الرسوليين دولة الأولياء وقد قامت على مايشبه العقد غير المكتوب بينها وبينهم، وقد عرف ابن أبي حربة خطأه فيما بعد وتراجع عنه كما يذكر ذلك المعلم وطيوط في تاريخه " لما أتى ابن ميكائيل ومعه الفقيه أبو بكر بن مُحَّد بن يعقوب، وكان فيما ضمن لابن ميكائيل فتح زبيد فلقيه الفقيه إبراهيم بن مُحَّد بن موسى عجيل وهرج عليه وقال: يا فقيه أبو بكر تريد تميت دولة بني رسول وتقيم فلان"[3]

---

[1] نفسه ج2 ص227

([2]) نفس المصدر ج2، ص 524

([3]) تاريخ المعلم وطيوط (مخطوط)

ثمار الجاه والصلاح

وقد تأسس النفع الاجتماعي المرتبط بالصلاح والتقوى في بني حشيبر جيلاً بعد جيل ودعّمت ذلك وفرة مادية لبعض وجهائهم وأعلامهم، وهي وفرة يمكن تفهم مآتيها في ضوء توسع جاه الأسرة العلمي والروحي والاجتماعي واتساع علاقاتها، فـ(النجار بن الدهل بن حشيبر) من أعلام القرن التاسع (ت833هـ) وأحد معاصري البدر الأهدل (كان ذا جاه عريض ومكارم تحمي الذمِّات وتحوط الجار) [1]، وأبو بكر بن حشيبر أيضاً كان من أهل (الخير والشفاعات والكرامات) [2]، . ومُحَّد بن الفقيه علي بن أحمد بن حشيبر (ت830هـ) (كان خيِّراً وجيهاً) [3]، والفقيه أحمد بن مُحَّد بن حشيبر الذي عرف بـ(عبيعب) أحد تلاميذ البدر الأهدل (كان صاحب دين وورع) [4]. ناهيك عن تعمقه في علوم الفقه وغيرها من علوم عصره

وقد اطرد الصلاح في الأسرة اطراداً كبيراً، والبدر الأهدل يلحق ذكر أسماء العشرات منهم بعبارة: (كان رجلاً صالحاً صاحب كرامات) ونحن لا نقف عند كل واحد منهم ولكننا نتوقف عند من في سيرهم وتراجمهم دلالات ومفاتيح لفهم حضور هذه الأسرة الباذخة في تاريخنا،

في هذا السياق سنعرض لمجموعة منهم مثل أحمد بن إبراهيم الدهل، الذي (كان عابداً زاهداً لا يخرج من بيته إلا إلى المسجد وأهل قريته يقولون إنه ما مسح على وجه مريض إلا برىء) و(كان يهدى إليه النساء ليتزوجهن) و(وقد مات ساجداً) ويظهر أنه كان مجذوباً مستغرقاً في ذات الله فقد (كان لا يعرف طريق القرية) [5]، ومحمود بن عيسى بن حشيبر الذي كان يقال إنه من فرط

---

(1) نفس المصدر، ص 196.

(2) نفس المصدر، ص 198.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، ص 195.

(5) الاقتباسات السابقة من نفس المصدر، ص 197.

صلاحه (لو أقسم على الله لأبره) و(وكان مستجاب الدعاء) [1]، وحسن بن عيسى بن حشيبر، الذي (كانت له معرفة بتعبير الرؤيا) [2]، أما الولي الكبير مُحَمَّد بن حسن بن حشيبر فقد كان من علماء التصوف أهل الإشارة، إبداعاً لعبارتها. وحلاً لغوامض دلالاتها، قال البدر الأهدل: (وكان عارفا بعلوم الطريق وتعبير الرؤيا مكاشفاً فصيحاً جيد العبارة).

وقد أورد له البدر الأهدل بعض الأقوال وناقشها على عادته، من ذلك أنه (سئل عن معنى قول الشبلي:

أسائل عن ليلى فهل من مخبر   يكون له علم بها أين تنزل

فقال:

تحل قلوب العارفين إذا صفت   وليس لها قلب سواهن منزل

ثم قال بعد البيتين: تسكن القلب الصافي، والله الشافي والمعافي) [3].

قال البدر الأهدل: (هذا البيت يحكى عن الشبلي أنه سمعه فقال: لا والله ما عنها مخبر في الدارين، فكلام الشبلي صحيح على معنى يقي الحلول النافي، وكلام ابن حشيبر صحيح على معنى تحل معرفته قلوب العارفين، وكل منهما عبَّر عما ظهر له) [4].

بشكل موازٍ سيقدم المعلم وطيوط[5] (ت حوالي848هـ) وهو من جهات المراوعة، وأحد معاصري البدر الأهدل معلومات مفيدة عن مجموعة عن أعلام بني حشيبر وهي معلومات ليست بغزارة وسعة ما أورده البدر الأهدل إلا أنها تصب في نفس القصد والمنحى. إذ كلها تؤكد على كون

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) أورد الشرجي في (طبقات الخواص) كلام ابن حشيبر السابق، ثم علَّق عليه بقوله: (يشير إلى ما جاء في بعض الأحاديث: لم تسعني سمائي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن) ص 407.

(4)الاقتباسات السابقة من نفس المصدر، ص 197.

(5) تاريخ المعلم وطيوط، مخطوط ينجز الكاتب تحقيقه.

وجهاء وأعلام وصلحاء هذه الأسرة قد صاروا مركزيين في المنطقة، من حيث النفع العام للمجتمع فهم من الأسر التي يفزع إليها الناس في المجاعات والنوازل، وعند اختلال الأمن، وجور السلطان، فهذا رجل من أهل الأنفة بالغانمية (بين باجل والضحي) يعاني ضنكاً في العيش فيقصد الفقيه مُحَمَّد بن حسن بن حشيبر (ت أواخر القرن الثامن الهجري تقريباً) والفقيه أبا بكر بن أبي حربة (ت 794هـ) فيحصل منهما على ما يريد، وثمة خبر عن عناية الفقيه على بن أحمد بن حشيبر بطلبة العلم نعرفه من عنايته بطالب من جازان كان يدرس في المهجم، وخبر ثالث عن سنة مجاعة كان بيت الفقيه ابن حشيبر فيها واحداً من ملاذات الجائعين والمحتاجين.

****

في معيار الشهرة والتميز

وعندما ألَّف العلَّامة أحمد بن عبد اللطيف الشرجي (ت893هـ) كتابه (طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص) قبل نهاية القرن التاسع الهجري، كان قد اتخذ لنفسه منهجاً ألا يترجم في كتابه إلا لمن قد مات، وبنظرة على تراجم بني حشيبر وأخبارهم في هذا الكتاب، يتبين لنا أن الشرجي اعتمد في اختيار من ترجم لهم من هذه الأسرة على أربعة معايير، إضافة إلى ما ألزم به نفسه منهجياً:

المعيار الأول: الشهرة

المعيار الثاني: كثرة الأخبار

المعيار الثالث: التميز

المعيار الرابع: الولاية والصلاح

وهذا فعلاً ما يتحقق في الأسماء التي اختارها اعتماداً على حضورها القوي في المرجعيات العلمية والثقافية والاجتماعية، وبناء على أخبارها في كتب من سبقه مثل: (الجندي، والخزرجي، والمزجاجي، والبدر الأهدل، ووطيوط)،

وهكذا نفهم من الشرجي أن أهم من تميز من أبناء هذه الأسرة من وجهة نظره التي كان يبديها من خلال عبارة: (نذكر من تحقق حاله منهم) [1]:

1- الفقيه مُحَّد بن عمر بن حشيبر (ت718 هـ).

2- الفقيه إبراهيم بن مُحَّد بن عمربن حشيبر (ت بعد منتصف القرن الثامن الهجري).

---

(1) طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط1، 1986م، ص 232، 274، 296 مثلاً.

3- الفقيه أبو بكر الدهل بن إبراهيم بن حشيبر (ت 802 أو 803هـ) (ترجم له ضمن ترجمة أبيه).

4- الفقيه على بن أحمد بن عمر بن حشيبر(ت 822 هـ).

5- الفقيه مُحَّد بن حسن بن مُحَّد بن عمر بن حشيبر (ت أواخر القرن الثامن الهجري تقريباً).

في قراءة تراجم هؤلاء وأخبارهم عند الشرجي يلفت نظرناً:

أولاً: تكرار الشرجي غير مرة في تراجمهم لهذه العبارة أو ما في معناها: (وبنو حشيبر هؤلاء قوم أخيار صالحون، ولا يخلو زمان ممن يشهر منهم بالولاية التامة) (1).

ثانيا: الاهتمام بأقوال الولي مُحَّد بن عمر بن حشيبر (ت 718هـ) في التصوف، حيث أورد لنا فقرات طويلة منها، اختارها من كتابه الشهير (منثور الحكم) (2) الذي ألفه في علوم الحقيقة.

وبقراءة الفقرات التي أوردها من الكتاب المشار إليه فإنه يمكن تصنيفها إلى:

1- أقوال تتعلق برأيه أو بعقيدته في وحدة الوجود، مثل قوله:

- يقول المستغني بالله، المتوكل على الله، المفوض أمره إلى الله، المستنصر بالله، قد عرض علي المدد إن لاحظت، وأعطيت الحجة إن حاججت:

وبيني وبين الناس نور مقدسٌ جليل جميل أن أراهم ولا أرى

فإن أثبتوني بالعيان محققاً فوهم خيال كان في سنة الكرى

---

(1) نفس المصدر، ص 274، وجاء في ص 233: (وبنو حشيبر هؤلاء أهل ولاية وصلاح، ولهم شهرة تامة)، وفي ص 296: (وبنو حشيبر هؤلاء قوم أخيار صالحون).

(2) يشتغل الكاتب على تحقيقه من نسخة في مكتبة الأحقاف، برقم (2622 مجاميع)، وقد ذكر المؤرخ عبد الرحمن الحضرمي في كتابه (جامعة الأشاعر) ص 104 كتاباً آخر له عنوانه (شفاء السقام فيما يتعلق بالحسن من الأحكام).

يعفى الأثر، ولم يبق إلا الخبر عن صفة كيفية، كان الله ولا شيء وهو الآن على ما عليه كان، وأنشد يقول:

إن ليلـــى لم تجـــد في أحـــد	**غيرهـــا قـــل هـــو الله أحـــد**
فـــإذا فـــاه لســـاني ذاكـــراً	**كـان معنى مـن معانيهـا صـمد**
كلمتــــــــني بكـــــــلام أزلاً	**فاسـتحال الحـال منهـا بالأبـد**

يا أسراء الهمم الأرضية، وأرقاء النفوس التي غير مرضية، هذه الجادة فأين السالكون؟ أبعد العين أين؟.

2- تأملات وتفكرات في التفسير وعلاقة المخلوق بالخالق من نوع:

(المجتبى مطلوب، والمنيب طالب، {الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب}والسلام على من اتبع لا على من ابتدع)

(الذاكر لله تعالى مع حب الدنيا ظالم، والملازم على الذكر والفكر مع الترك لها خوفاً من النار، وشوقاً إلى الجنة مقتصد، والذاكر لله بالله خالصاً لله، بلا علة سابق، فدقق النظر أيها المتشوق لرتبة الخواص، واعلم أن التبري من الحول والقوة خاصة الإخلاص، وإياك والتحلي بما ليس لك بحال، فتنتظم في سلك الجهال، واعلم أن ما ذكرناه من ذكر الظالم والمقتصد والسابق فبتوفيق الله وقوة الإيمان برسول الله، وقد بشرنا سيد البشر بقوله ﷺ: ((سابقنا سابق، ومقتصدنا ناجٍ، وظالمنا مغفور له)).

(رأس مال الفقير الثقة بالله، وإفلاسه الركون إلى خلق الله، لقوله تعالى: {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار} والظلم مشترك فيه عامة الخلق وخاصته، بدليل أن الإنسان الظلوم كفار، فإياك أن تركن إلى غير الله، فيقع الشرك الخفي في باطنك، فلا تجد من يرقيه، وقد أثبت سواه، فعليك بالتوكل على الله والتسليم لأمر الله، والرضا بما حكم الله {ألا إلى الله تصير الأمور}.

(اعلم هداك الله أن نور القلب يمنع عن متابعة هوى النفس، {أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه} ولا يتم للفقير الخروج من ظلمات جهله إلا بنور يضعه الرب في

قلبه، وذلك بقسمة قديمة سابقة أزلية، {نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات}).

(أما بعد، فإن السلامة موجودة لمن سلم زمام التسليم في يد من له الأمر من قبل ومن بعد، ومن اعترض فيما ليس له به علم حكم عليه الحاكم بالقهر والقدرة وهو مذموم، ومن قابل الحوادث الشاقة بسعة الرضا وجد حلاوة مادة الصبر من ربه، فـ{استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين} وهذه المعية ألذ شيء يقع في القلب، فاعمل بما سمعت، واحكم على النفس بما علمت، العلم ينادي بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل، والمتعرض للنفحات واقف على الطريق يطلب من يدله، وأقوى دليل وأوضح سبيل قوله عز وجل: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} ولا سبيل إلى ما ذكرناه إلا بمادة توفيق الله تعالى: {الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب} علم ذلك من صحت نيته، وجهله من أقعدته أمنيته)

(التعلق بغير الله تعب في الدنيا والآخرة، والإقبال عليه بالقلب راحة في الدنيا والآخرة، لقوله عليه السلام: ((الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن، ومن لم يسلم لم يسلم من شغل لا فراغ له منه، والتوفيق كله من الله تعالى، إلا أن التعرض للنفحات مندوب إليه)) قال ذلك الهادي إلى الرشاد، والشافع في المعاد ﷺ)

(سأل بعض الإخوان عن قوله ﷺ: ((القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود)) فأجاب المعترف بالتقصير، الراجي رحمة ربه السميع البصير: أي منه بدأ عمله، وإليه يعود حكمه، بدأ من يفاع الامتناع إلى حضيض الإفهام، لا من جهة يحويها الحد والكيف، ولكن من حيث لا حيف، وإليه يرجع منه علمه، لا من طريق كان صامتاً فتكلم، ولا متكلماً فصمت، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال عز وجل من قائل: {إليه يرد علم الساعة} و{إليه يرجع الأمر كله} وما كان علم الساعة والأمر يعزى إلى غيره في علم أهل التحقيق فيرجع، إنما جعل الوسائط مثبتة لاستقامة الحدود والشرائع، تنبيهاً على فضل أهل الفضل، من نبي ووصي وولي، فتكلم بالقرآن على ألسنة أهل الإيمان، لا بالحرف والصوت وأنموذج عبارة، {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} وهو على الحقيقة غير محدود بالحرف والصوت، لقوله تعالى: {لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه}

والباطل يقع على المحدود، ، وغير المحدود منزه عن ذلك، فجرى الجواب من المعترف بالتقصير، وقصور العلم بدليل: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً}).

(أما بعد، فإنا نفر سافرنا عن أوطان المحسوسات إلى الحظائر القدسيات، على نجائب الهمم، التي تجري بنغمات التوحيد والتحميد، والتمجيد والتفريد، والتسبيح والتقديس، وبيِّنات الآيات، قد جعلوا زادهم القناعة، وشربهم سلسبيل الطاعة، فأناخوا في رياض الرضا يسمعون ترحيب الملائكة، مسلِّمين: {سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار})[1]

وقد عقب عليها الشرجي بقوله (وكلام الشيخ في هذا المعنى كثير، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى)

ويتضح من الفقرات المقتبسة هنا أن الرجل كان من أعمق من تكلموا في التصوف من اليمنيين على الإطلاق وهو مثل شيخه شمس الشموس أبي الغيث بن جميل ينحو منحى إشراقياً اتحادياً، ويكتب بلغة إشارية بعيدة الغور، متعددة الدلالات، وهذا يضاعف من أهمية الرجل ومكانته اليوم،

ثالثا: التأكيد على عظم ومكانة الولي الفقيه على بن أحمد بن حشيبر (822هـ)، التي ترسَّخت بعد أكثر من نصف قرن على موت الرجل من خلال قوله إنه (لم يكن له في وقته نظير) [(2)] مستشهداً على ما ذهب إليه بشهادة وتزكية واحد من أهم معاصريه والعارفين به، . وهو الفقيه الشهير أبو بكر بن أبي حربة (ت794هـ) الذي (اجتمع عنده مرة جماعة من الأكابر، فقال: أنا أعرف من يكون هؤلاء، كلهم تحت لوائه يوم القيامة فقيل له: من هو يا سيدي؟

فقال: الفقيه علي بن أحمد بن حشيبر) [(3)]. والفقيه أبو بكر بن أبي حربة نفسه يذكر الشرجي أنه (قال أيضاً: كل أرباب المناصب خلفهم في بركة سلفهم إلا بني حشيبر فإن سلفهم في بركة خلفهم وهو الفقيه علي بن أحمد) [(1)].

([1]) الاقتباسات السابقة من طبقات الخواص ص 271،272، 273

(2) طبقات الخواص، ص 232.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

التأكيد على أهمية الفقيه على بن أحمد بن حشيبر ولاية وعلماً، يرد عند الشرجي أيضاً في سياق ترجمته للعلامة مُحَّد بن علي الأشخر (ت 818هـ)، فهو يورد مناماً لبعض الأخيار -حسب عبارته- (كأن قائلاً يقول له: ألا أريك الأربعة الذين يدفع الله بهم البلاء عن أهل هذه البلاد وبهم يرزقون وينصرون؟ قال: فقلت: بلى فأشار إلى الفقيه مُحَّد الأشخر وإلى الفقيه على بن أحمد بن حشيبر وإلى رجلين آخرين) (2).

ويروي من كراماته التي كان يصيب نفعها الناس (أنه عزم من بلده صبح يوم الجمعة إلى مدينة واسط من الوادي مور، فوصلها قبل صلاة الجمعة وبينهما يوم كامل للراكب المجد، فوجد الناس مجتمعين للصلاة، فأمرهم بالخروج من مقدم الجامع إلى مؤخره، فبمجرد أن خرجوا سقط أعلى المسجد على أسفله، وسلموا ببركته)3

يعلق الشرجي (وفي ذلك له كرامات متعددة منها: اطلاعه على خراب المسجد، وقطع المسافة البعيدة، وإنقاذ من فيه من الهلاك، إلى غير ذلك، نفع الله به آمين.)4

رابعاً: تكرار الإشارة إلى السؤال الشهير الذي وجهه الفقيه الصالح عبد الرحمن بن زكرياً الصوفي (ت 781هـ) إلى فقهاء وعلماء سردد فلم يجب عنه إلا الفقيه الولي الصوفي مُحَّد بن حسن بن حشيبر(5)،

خامساً: يذكر الشرجي بني حشيبر بوصفهم أسرة من الأسر اليمنية الكبيرة التي تعرف بـ (الغيثية نسبة لأبي الغيث بن جميل) مثل: بني حجاج، وبني فيروز، وبني بدر، وبني صفيح، وبني مليكة، وبني المعتب وغيرهم(6).

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، ص 300.

(3) نفس المصدر232

(4) نفس المصدر نفس الصفحة

(5) نفس المصدر، ص 167، 168.

(6) نفس المصدر، ص 407.

المعاصر لا يناصر

أثناء القرن العاشر الهجري، ستكون الأسرة الحشيبرية: قد تمددت كثيراً خارج نطاقها الجغرافي في مصب وادي سردد، وما جاوره في المنطقة الواقعة بين سردد ومور، وعند نهاية هذا القرن ستكون شهرة أبناء هذا البيت قد طوفت الآفاق، وستتأكد مكانتهم من خلال مشاركة متصوفتهم وشيوخ العلم منهم في نشر الإسلام والعلم في بلاد الهند وجنوب شرق آسيا، وسيبدأ المؤرخون منذ نهاية هذا القرن يضيفون للقب الأسرة (أل) التعريف و(ياء) النسبة (الحشيبري) هكذا سيفعل المؤرخ عبد القادر العيدروس (ت1038هـ)، الذي سيوقفنا على ترجمة واحد من أهم رجال بني حشيبر، وهو الشيخ الكبير جمال الدين مُحَمَّد بن علي الحشيبري (ت 1000هـ) بمدينة أحمد أباد بالهند، (وَكَانَ من الْمَشَايِخ الْمَشْهُورين ورزق الْقبُول فِي حركاته وسكناته وحصلت لَهُ شهرة عَظِيمَة وَرويت عَنهُ كرامات) ويبدو أن هذا الولي كان بالرغم من شهرته الواسعة بين الناس مثيراً للجدل بسبب الشطحات التي كانت تصدر عنه، والعيدروس لا يني يدافع عنه مؤكداً (أن المعاصر لا يناصر) وأن الذين جرحوا في هذا الولي العالم وانتقدوه لم يراعوا خصوصيته، . وكان الأجدر بهم -حسب العيدروس- أن يلتمسوا لأقواله تأويلات مناسبة (أسوة بغيرهم من العلماء، وحمل ما يصدر منه من الأحوال الغريبة على أحسن المحامل أولى، وحسن الظن أسلم)[1].

كما يذكر من رجال القرن العاشر (فَقِيه بَيت الْفَقِيه ابْن حشيبر الْفَقِيه عبد الله بن الْخَطِيب أَحْمد بن حشيبر)[2] المتوفى سنة 915م ببَلَدِهِ رَحمَه الله

وقد استطرد العيدروس فذكر مجموعة من أعلام بني حشيبر وخرقتهم التي تعود إلى شمس الشموس أبي الغيث بن جميل، مشيداً بأهمية مركزهم بيت الفقيه ابن حشيبر التي انتقل إليها غالب سكان أبيات حسين (المعقل العلمي المشهور) بعد خرابها وإحراقها في معركة بين مشائخ بني

---

(1) الاقتباسات السابقة من كتاب (النور السافر عن أخبار القرن العاشر) عبد القادر بن شيخ العيدروس، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1405ه ص 412، انظر أيضاً شذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1986م ج10،ص653

(2) نفس المصدر ص 86

حفيص والدولة الطاهرية سنة 862هـ، وذكر أن بيت الفقيه ابن حشيبر صارت بانتقال غالبية سكان أبيات حسين إليها مدينة عظيمة، محترمة معظمة، يأمن فيها الخائف[1]

***

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.(يبدولي أنه من هنا بدأ الخلط بين بيت الفقيه بن حشيبر –قرية بني حشيبر الأم – والزيدية التي ورثت أبيات حسين وازدهرت بعدها، ربما حدث هذا الخلط بسبب مركزية بني حشيبر في الزيدية نفسها، فما يجب أن يكون مفهوماً هو أن الزيدية التي تسمت باسم زيد ابن ذؤال، نشأت حول ضريح الولي ذهل بن إبراهيم بن حشيبر.)

شركاء السراء والضراء

في القرن الحادي عشر تحديداً بين مطلع ثلاثينيات ذلك القرن ونهاية خمسينياته سيمدنا مُحَّد بن الطاهر البحر المتوفى سنة 1083هـ في كتابه (تحفة الدهر في نسب الأشراف بني بحر ونسب من حقق نسبه وسيرته من أهل العصر) بمزيد من الإضافات عن بني حشيبر، وأهمية ما جاء في كتاب البحر يكمن أولاً في المعلومات القيمة التي أوردها عن واحدة من أكثر الحوادث غموضاً وإثارة للسؤال أعني حادثة (أهل الجدار) التي كانت ضربة قاسمة وجهتها الدولة التركية الأولى في اليمن إلى حرمة المنيرة بوصفها مدينة مقدسة تحتضن المنصبة الأهدلية، كما تحتضن ضريح المؤسس الولي عبد الله بن عمر الأهدل (توفي 770هـ)، ثم بوصفها مدرسة علمية تراكمت في زاويتها ثلاثة قرون تسبق ذلك التاريخ من جهود العلماء من آل الأهدل وبني حشيبر، وغموض تلك الحادثة يزداد حين تجد المؤلفات اللاحقة الصادرة عن علماء المنيرة مثل (الدَّرة الخطيرة في تاريخ سادات المنيرة)[1] لأبي الغيث بن أبي القاسم الأهدل المتوفى سنة 1284هـ، و(نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن وذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن) للمؤرخ إسماعيل بن مُحَّد الوشلي المتوفى سنة 1356هـ، تتحاشى تفصيل الكلام عليها واستقصاء ذكر أسماء من استشهدوا أو سجنوا فيها، بطريقة تبدو غير مفهومة، فصاحب (الدَّرة الخطيرة) يشير إليها إشارة بسيطة ذاكراً أن الخلي قد أرَّخ لها وذكر رجالها، وصاحب (نشر الثناء الحسن) يحذو حذوه وينقل نص ماذكره مرة بنصه ومرة بمعناه [2]، تاريخ الخلي انكتب في نفس فترة الحادثة المشار إليها، وبمعرفة أكثر —كما أتصور —توفرها له ميزة القرب من المكان (يقع بيت أبي الخل / برخل اليوم) شرق الزيدية بمسافة بسيطة، كما تتوافر له

([1]) مخطوط

([2])نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن وذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن، اسماعيل بن محمد الوشلي، مكتبة الإرشاد صنعاء ط2، 2008 أشار للحادثة في غير مكان أبرزها مج1 ص 218

ميزة التداخل القوي بالأسرتين الأهدلية والحشيبرية، إذ كان بيت أبي الخل وقتها مركزاً علمياً مهماً. لكن مخطوطة الكتاب مع الأسف الشديد لا تزال بعيدة عن متناول اليد فالأسر التي تتوارث المخطوطات تظل غير متعاونة مع الباحثين وغير واعية بأهمية وصولهم إلى مابين دفتيها.

يجدر بي هنا أن أذكر أني زرت المنيرة أكثر من مرة، ورافقني صديقي الشاعر الشهير مُحَمَّد طاهر الأهدل لزيارة مقبرتها ومن تلك الزيارات زيارة في أواخر عام 2003م كان ضمن أغراضها معرفة قصة أهل الجدار، وبعد أن زرنا ضريح الولي عبد الله بن عمر الأهدل انعطفنا إلى زيارة أهل الجدار المدفونين جميعاً داخل حائط غير مرتفع، كانت أسئلتي تحاول استقصاء المعرفة التاريخية عند أهل المكان بالحادثة من جهة، وأثر مابقي منها في الذاكرة الشعبية من جهة أخرى، لكني لم أظفر بطائل سوى النظر إليهم بوصفهم أولياء صالحين، أما قصة الحادثة فتكاد تكون مطموسة تماماً.

كل ذلك يجعل المعلومات التي يقدمها البحر عن تلك الحادثة مهمة جداً، وهي تفيدنا في هذا السياق الخاص ببني حشيبر كون علماء هذه الأسرة قد شاركوا الأسرة الأهدلية تلقي تلك الكارثة التي حاقت بذلك المعقل العلمي الأغر.

يقول البحر (في سنة إحدى وثلاثين في رمضان منها، سعى الساعون بالسادة أهل المنيرة، خيرة الأخيار، إلى فضل باشا، ونسبوا إليهم مكيدة لا تنبغي منهم، فجهز إليهم المذكور الأمير الناصر المحبشي في جيش كثيف فغزاهم في ثاني عشرين من رمضان فقتل منهم نحوثمانية وعشرين رجلاً بغياً وعدواناً، فيهم السيد القاسم بن عبد الله بن أبي القاسم، وأسروا منهم نحو سبعين رجلاً، من جملتهم السيد العالم العلّامة عبدالله بن أبي القاسم مُحَمَّد الأهدل، أخو السيد مُحَمَّد بن أبي القاسم الأهدل، والمذكورون قوم أهل بيت علم وصلاح يطعمون الطعام، ويصلون الأرحام، ويسعون بالصلاح ولهم زاوية عظيمة، ورئاسة قديمة)[1]

([1])تحفة الدهر في نسب الأشراف بني بحر ونسب من حقق نسبه وسيرته من أهل العصر، محمد بن الطاهر البحر، تحقيق عبد الله محمد الحبشي وحسن محمد دياب،مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004، ص 35

يضيف البحر (وأسر أيضاً معهم الفقيه العارف العلّامة شيخ مشايخنا يحيى بن أحمد الحشيبري، وبنو حشيبر هؤلاء قوم يسكنون الزيدية، علماء أخيار نجباء، فيهم العلماء الأخيار والسادة الأبرار، قل من يدانيهم في العلم والعمل والصلاح والتقى والخوف والوجل، أكبرهم الفقيه المشار إليه، نعم العبد الزاهد الأواب، وتلميذه الفقيه النحرير البحر الزاخر الغزير، جمال الدين، بركة المسلمين، مُحَّد بن عمر حشيبري، وتلميذهما شيخنا الصالح القانت الزاهد العابد، العلّامة الحافظ المحدِّث، نور الدين علي بن أحمد بن الفقيه العلّامة المقرَّب أحمد المدني (الحشيبري)، نعم العبدان الصالحان)[1]

يضيف البحر أيضاً (وكذلك من جملتهم الفقيه الصالح الأديب علي بن مُحَّد، وكم علماء وكم نجباء، وكم زهاد وكم عباد، وشهرتهم تغني عن التصريح بأحوالهم)[2]

ويتحدث عن تلمذة أسرته من علماء آل البحر لبني حشيبر وتلقيه هو بعمق عنهم فيقول (ولم يزل الفقيه العالم علي بن أحمد يتردد إلينا ويفيدنا ويمنحنا، سمَّعتُ عليه صحيح النيسابوري القشيري، مجالس متعددة في نحو عشرين سنة) [3]

ويذكر البحر أن أسرى تلك الواقعة ظلوا في الحبس سبعين يوماً، وعظم بذلك مصاب المسلمين لكونها (قارعة لم تعهد، وواقعة لم تحمد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[4]

كما يذكر البحر أن والده هو من سعى في إخراجهم حتى خرجوا [5]

ويذكر أن قبيلة صليل قد لعبت دوراً في الإفراج عن العلماء من بني الأهدل وبني حشيبر فهم من قدم الفداء من خيلهم إلى الأتراك (وقاد العرب بنو صليل الخيل نحو خمسة عشر حصاناً)[6]

([1]) نفسه

([2]) نفسه

([3])نفسه ص35، 36

([4]) نفسه ص 36

([5]) نفسه

([6]) نفسه

هذا كل ما أورده البحر عن تلك الحادثة المريعة التي ستظل غامضة، رغم كل ما أورده عنها، وكان جديراً بضخامة الحدث، وغرابته، ودخول والده طرفاً في القضية كوسيط أن يجعله يستقصي الأسماء، ويفصِّل السبب، فتفسير ما حدث ب(ونسبوا إليهم مكيدة لا تنبغي منهم)يزيد الأمر غموضاً وإلغازاً، ولطالما فكرت: هل يكون ذلك الحدث الفظيع والغريب في عين الوقت على صلة بتزعزع مركز الأتراك في اليمن آنذاك، وشكوكهم في وجود تواصلات بين مناصب المنيرة ومعهم علماء من الأسرة الحشيبرية بالقاسميين الذين كانوا على وشك طرد الأتراك من اليمن وإقامة دولتهم على أنقاضها ؟

سيواصل البحر إمدادنا بمعلومات عن أهل زمانه من علماء الأسرة الحشيبرية وأعلامها (وفي نهار الأربعاء ثامن شعبان منها –يقصد من سنة 1041هـ- توفي الفقيه العلَّامة شيخ مشايخنا، المحدِّث المحقق، عماد الدين يحيى بن أحمد الحشيبري – هو واحد ممن أسره الأتراك في حادثة الجدار- وهو بقيّة تلامذة الأشخر، وحصل بموته التعب والأسف لعموم نفعه، وكان عبداً صالحاً ورعاً، زاهداً عابداً عديم النظير، نفع الله بعلومه ورحمه رحمة الأبرار)[1]

وسنجد في هذا القرن حشيبرياً يتزعم الخطابة في مدينة زبيد أهم مدن العلم في اليمن ذلك هو الفقيه أبو بكر شرف ملاح الحشيبري خطيب جامع زبيد، ومن أسف أن البحر لا يمدنا بكثير من المعلومات عن رجل بهذه الأهمية، إذ تستلزم الخطابة في جامع زبيد وهي في أزهى عصورها العلمية مؤهلات كثيرة لاشك أن هذا الحشيبري كان يتوافر عليها، وقد اقتصر البحر على ذكر صفته وتاريخ وفاته، حيث ذهب إلى رحاب خالقه في شعبان سنة 1044هـ)[2]

غير أن البحر سيعوضنا مع علماء آخرين من نجوم هذه الأسرة، فهو في حوادث سنة 1051هـ سيستفيض باكياً مآثر أحد شيوخه الحشيبريين الكبار الذي توفي في ذلك العام (وفيها انتقل إلى رحمة الله سيدنا وشيخنا شيخ الإسلام، مفتي الديار اليمنية، ومحدِّثها بلاشك في السنية، مُحَّد بن عمر بن الصديق الحشيبري، وجدهم الفقيه الولي مُحَّد بن عمربن أحمد نفع الله بهم، وحصل

([1]) نفسه ص82

([2]) نفسه ص 84

بموته التعب الشامل لجميع المسلمين، واهتد للعلم بموته درجة لأنه لم يخلف بعده مثله في الحفظ والإتقان، وكان فقيهاً، عالماً، محققاً، ورعاً، زاهداً، عابداً، صاحب تربية وأحوال سنية وأفعال مرضية، وله أحوال وكرامات خارقة، وله رؤيا منام تدل على تمكّنه وقرب منزلته عندالله وصلاحه)[1]

يضيف البحر (وله صحبة بوالدي، ولي منه إجازات وقرأت عليه نفائس من العلوم، نفع الله به، وخلف علينا بخير آمين، والحمد لله رب العالمين)[2]

ويبدو ارتباط البحر القوي بهذا العلم الحشيبري من قصيدته التي رثاه بها وفيها يقول:

دهتنــا الليــالي بمــوت الفقيــه، .إمام الهدى غـوث أهـل اليمن

فلــو كــان يُفـدى مــن المــوت أحـد، فـديناه طـرّاً بكـل الـثمن

محمَّد الخــير شـيخ الشــيوخ، غزيــر المباحــث في كــل فــن

أفـاض علـى الخلـق مـن علمـه، نفــائس در العـــلا والســـنن

ونقّــى ونقــح طـرْق الهــدى، وأظهــرْ لنــا غامضـات الفطـن

وعلَّمنــا محكمــات الكتــاب، وأدى بنــا بالأداء الحســن

وأرشـدنا لطريــق الصــحاح، كطـرْق البخـاري أمـير السـنن

ومســلم والكتــب الأمهــات، ومســندها عــن فــلان وعــن

ومنهاجنــا والشــروح الكبــار، وإرشــادنا مالــه مــن ثمــن

وتفســيرنا والعلــوم الغــزار، ومــا سُــرّ حقــاً وماقــد عُلــن

ســألت إلهــي كــريم الفعــال، يجازيــه عنــا بكــل المــنن

([1]) نفسه ص 91

([2])نفسه

ويعطيه أيضاً جنان الخلود، وحوراً حساناً بجنة عدن

سلام عليه كنشر الصبا، سلام محب كثير الحزن

وبارك إلهي في نسله، وفي تابعيه ومن قد سكن

وعامله باللطف يا معتلي، وجره نعم من مضل الفتن

وبارك لنا في الفقيه النبيه، ضيا الدين فينا علي بن المدن

وكن غافراً ياشديد المحال، لزلّات عمر مضت في المحن

عُبيدك ياسيدي مسرف، كثير الذنوب كثير الدرن [1]

إلى آخرالقصيدة التي ينهيها بالتضرع إلى الله وطلب العفو منه والاستغاثة بنبيه وآله وصحبه، ورغم ضعف شاعرية البحر وتجوزاته في العروض الشعري إلا أني أوردت معظم مرثيته هنا لدلالتها على مكانة هذا العالم الحشيبري، ولتقصيها لاشتغالاته العلمية والتعليمية، ثم لكونها تضع بين أيدينا صورة واضحة لجزء من مناهل العلم ومناهج تلقيه في تهامة إبان القرن الحادي عشر الهجري.

أما (ضياء الدين بن المدن) الذي يذكره البحر في مرثيته السالفة الذكر لشيخه مُحَمَّد بن عمر بن الصديق الحشيبري، فسيلحق بصاحبه بعد أربع سنوات، وسيكون موضوعاً لحديث طويل وشجون باذخة ضمن أحداث سنة 1058هـ يقول البحر: (وفي سابع عشر من جمادى الأخرى، توفي شيخنا وقدوتنا الفقيه العلّامة الجليل، خاتمة الحفاظ، ومحدِّث الديار اليمنية علي بن أحمد المدني الحشيبري، وقبر ببيت الفقيه الأيمن عند أجداده جزاه الله عنا خيراً، – يلاحظ هنا أنهم كانوا يسمون قرية الحشابرة الأم بيت الفقيه الأيمن، تمييزاً لها عن بيت الفقيه بن حشيبر الأشيم الذي هو الزيدية – كان المذكور حافظاً للمذهب والأحاديث النبوية مع التفاسير يملي على الدّرسة من حفظه بنقل صحيح غير متكلف، وكان على جانب عظيم من الورع في الفتوى وغيرها، وفي التدريس صحبناه

(1) نفسه ص 92،93

في المنصورية نحو إحدى وعشرين سنة، يسمعنا صحيح البخاري وصحيح مسلم سنة هذا وسنة هذا، وقرأنا عليه في المنهاج وأذكار النووي والتبيان، ورياض الصالحين والبغوي والواحدي، وطهارة القلوب وبعض تفسير الثعالبي، وعدة الحصن الحصين وجملة من الأجزاء والمسانيد، وكان والدنا السيد الطاهر بن أبي القاسم البحر يحضر مجالسه ويسمع منه جزاه الله عنا خيرا)[1]

ويذكر البحر أن له فيه ثلاث مرثيات، لكنه يورد واحدة منها يقول فيها:

أخلاي ضاع الدين من بعد شيخنا — إمام الهدى شمس المعالي ابن أحمد

أفاض على الطلاب من فيض علمه — وأوسعهم من بحره المتزيّد

إمام صبور صادق متورع — أحاط بعلم الشافعي محمَّد

وحقق منهاج النواوي محققاً — وإرشادنا المشهور في كل مشهد[2]

ثم يستطرد في ذكر الكتب المشهورة التي كان يدرّسها المدني الحشيبري ويملي على طلبته منها عن ظهر قلب، كما يذكر معرفته بالرجال والأسانيد وجهوده في إحياء الدين، ونشر العلم هكذا:

وفتح الجواد الثابت النقل جهرة، — والإمداد ثم الإسعاد فاهتد

وأملى صحاح الكتب من حفظ درسه، — كمثل البخاري ثم مسلم فاقتد

وحقق أسماء الرجال بحالها، — وأتقن طرق المسندات وقد هدي

وأحيا منار الدين في كل وجهة، — وعاش سعيداً تابعاً دين أحمد

وقام بحمدالله في نشر دينه، — ولم يلتفت يوماً إلى الغرض الردي

قرأنا عليه بضع عشرة حجة، — صحيح البخاري ذي الفضائل واليد

([1]) نفسه ص 116

([2]) نفسه ص 117،117

ومسلم خبرنا به عشر حجة،   وكم كتب أملا علينا بمسجد

بحضرة والدنا الجمال بن قاسم،   وكم من وجوه قد أفاد بمقعد

بعدها يذكر فجيعته بموته ومصابه برحيله على النحو التالي:

أتانا كتاب السيد القاسم الذي،   أتانا بعلم صادق غير مجحد

وأجرى دموع العين في كل مقلة   وفتت أحشائي وأحرق أكبد

بكيت على الدنيا وأيقنت أنها،   ديار فناء ليس فيها بمخلد

فيا أسفاً يا حسرة الدار بعده،   ألا يا رفاقي ابكوا بغير تردد

ولولا قيود الشرع ينهى عن البكا،   مع النوح نحنا كالحمام المغرّدِ

ولكن لله التفرد والبقا،   مع الكبريا فاصبر وجاهد واجهد

فلله حمداً لا تحد صفاته،   فليس بباق غير رب مُحَمَّد[1]

وهنا يرتفع شجنه لموت شيخه بشاعريته فيحلِّق في أبيات تتماهى مع قصيدة شهيرة للصوفي اليمني الأشهر عبد الرحيم البرعي المتوفى سنة 803 هـ مطلعها:

لكَ الحمدُ يا مستوجبَ الحمدِ دائماً، على كل حالٍ حمدَ فانٍ لدائمِ.

وسبحانكَ اللهمَّ تسبيحَ شاكرٍ، لمعروفكَ المعروفِ يا ذا المراحمِ

وهي من أيقونات البرعي التي تتداولها حناجر المسمعين والمنشدين والمغنين في أنحاء العالم الإسلامي.

يقول البحر وهو يتساند محلِّقاً مع البرعي:

لك الحمد يا مستوجب الحمد دائماً،   على كل حال حمد فان لموجد

([1]) نفسه ص 117، 118

لـك الحمـد حمـداً لا انتهـاء لحصـره، لـك الحمـد حمـد الـذاكر المتزهـد

لـك الحمـد حمـداً طيبـاً أنـت أهلـه، لـك الحمـد يا ذا الكـبريا والتفـرد

لـك الحمـد حمـداً أنـت وفقتـني لـه، لـك الحمـد حمـد العـالم المتعبـد

ســلام عليــه كــل يــوم وليلــة، سـلام محـب صـادق غـير معتـد

عليــه ســلام الله ماهبــت الصــبا، ومـالاح بـرق في ظـلام مسـود

ألا يا أخـــلا أعظـــم الله أجـــركم، وأخلفكـــم عقـــبى بخـــير مزيـــد

وأورثكـم (علمـا)1 وأحيـا قلـوبكم، وأوزعكـم نـوراً بـه القلـب يهتـدي

وقــل رحــم الــرحمن حيّــاً وميتــاً، فتىً كان للإنصاف بالعدل مرتد2

ثم ينهي القصيدة بالتاريخ لوفاة شيخه، والعزاء به الى آخره.

وفي موضع آخر نجده في أحداث رمضان سنة 1052هـ يذكر تربة المرتفع من أعمال بيت الفقيه بن حشيبر وذلك في سياق خبر وفاة السيد الولي ابن الولي عبدالله بن أبي بكر صايم الدهر، قال (وكان على قدم كامل من الصيام والقيام، وسلامة الصدر ولين الجانب، ودفن في تربة أبيه بالمرتفع من بيت الفقيه بن حشيبر رحمه الله)[3]

****

([1]) أظنها هكذا، أما في المصدر فترد (اله الخلق) والجملة في السياق لا معنى لها ثم إن وروده يخرج البيت من الوزن نهائيا، والغريب أن المحقق لم ينتبه لهذا.

([2]) نفسه

([3]) نفسه ص 96

خلاصة الرجال في خلاصة الأثر

كانت شهرة بني حشيبر منذ القرن الثامن الهجري قد تجاوزت الجغرافيا اليمنية، وكان اسم الأسرة وأسماء الأعلام من أبنائها تذكر في كتب المؤرخين ومؤلفي التراجم والطبقات العرب في بلدان عربية مثل مصر والشام، على نحو ما نجد عند العلّامة الشهير أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفي (852هـ) الذي يترجم في كتابه (إنباء الغمر بأبناء العمر) للفقيه الولي الكامل علي بن أحمد بن حشيبر ويلقبه بالمهجمي نسبة إلى المهجم أهم مدن الناحية آنذاك فيقول (علي بن أحمد بن عمر بن حسن، المهجمي، كان يسكن بيت الفقيه من عمل بيت حسين باليمن وهو من بيت الصلاح، وللناس فيه اعتقاد كبير، ويحكى عنه رحمه الله تعالى مكاشفات وكرامات مع وفور حظ من الدنيا)[1] ولم أكن لأنتبه لكون العسقلاني يقصد الولي الكامل علي ابن أحمد بن حشيبر، بسبب إدخال (حسن) في اسمه بوصفه المكمِّل لاسمه الرابع ، لكن ذكر مصري آخر له هو شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفي سنة (902هـ) وذلك في كتابه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) قد أكد لي أنه المقصود، إذ يورده هكذا (عَليّ بن أَحْمد بن عمر بن حسن المهجمي الْيَمَانِيّ بن حشيبر. كَانَ يسكن بَيت الْفَقِيه ابْن حشيبر من عمل بَيت حُسَيْن بِالْيمن وَهُوَ من بَيت الصّلاح وَلِلنَّاسِ فِيهِ اعْتِقَاد كَبِير وتحكى عَنهُ مكاشفات وكرامات مَعَ وفور حَظّ من الدُّنْيَا. مَاتَ سنة إِحْدَى وَعشْرين. قَالَه شَيخنَا فِي إنبائه.) فهو رغم تكراره لخطأ العسقلاني في تاريخ الوفاة، إذ الصحيح هو (822هـ)، إلا أن ذكره لنسبته (بن حشيبر) ومسقط رأسه (بيت الفقيه ابن حشيبر) ثم تعقيبه على ما أورده عنه بعبارة (قاله شيخنا في إنبائه) يقصد بشيخنا (ابن حجر العسقلاني)، وب (إنبائه) كتاب (إنباء الغمر بأبناء العمر)، إلا أنه يتضح أن المقصود هنا هو فرد زمانه الولي المشهور علي بن أحمد بن حشيبر.

([1]) إنباء الغمر بأبناء العمر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق د. حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ، 1969م، ج3،ص 184

وعند نهاية القرن الحادي عشر الهجري سيقدم لنا أحد الأعلام المؤرخين ببلاد الشام وهو الدمشقي مُحَّد أمين المحبي (ت 1111هـ) موسوعته التاريخية (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) تراجم لمجموعة من أعلام بني حشيبر الذين تزينت بهم عقود ذلك القرن مؤكداً أن (بني حشيبر هؤلاء قوم يسكنون الزيدية علماء أخيار قل من يدانيهم في العلم والعمل والصلاح) [(1)] مع معلومات وافرة عن صلاتهم بمجايليهم من العلماء والأولياء والوجهاء وذوي الأمر والنفوذ وهو يورد أدلة كثيرة على نفوذهم العلمي والروحي وعلى مكانتهم الكبيرة بين علماء اليمن وفضلائها، من ذلك مثلا استدلاله على مكانة الهجَّام بن أبي بكر الأهدل وولايته بقول الفقيه مُحَّد بن عمر حشيبر: (السيد الهجَّام مشيته تشبه مشية رسول الله ﷺ يتمايل يميناً وشمالاً من غير اكتراث) [(2)]

كما أنه يذكرهم في سياقات يستدل منها على مكانة عالم ما بكونه كان إما شيخا وإما تلميذاً لعالم منهم كما في ترجمته للعلاَّمة علي بن مُحَّد بن أبي بكر بن مطير (ت 1084هـ) الذي كان الفقيه الولي ذهل بن علي حشيبر تلميذاً له[3]، وكما في ترجمته لـ(مُحَّد بن أحمد صاحب الخال ت 1100هـ) قاضي مدينة اللحية وشيخ الشافعية في الديار اليمنية، الذي كان تلميذاً لـ(العلاَّمة الشهير جمال الدين مُحَّد بن عمر حشيبر، والشيخ العلاَّمة إسمعيل بن مُحَّد بن عمر حشيبر، والفاضل ذهل بن علي الحشيبري)[4]، وكما في ترجمة العلاَّمة عبد الحفيظ بن عبد الله المهلا الهدوي الشرفي المتوفى سنة (1077هـ) الذي يعد من أبرز علماء الزيدية الذين تتلمذوا لعلماء الأسرة الحشيبرية حيث (سمع صَحِيح البُخَارِيّ على الْفَقِيه العلاَّمة عَليّ بن أَحْمد الحشيبري) و(وَسمع الْجَامِع الصَّغِير وصحيح مُسلم على الْفَقِيه العلاَّمة مُحَمَّد بن عمر حشيبر الْحَافِظ الْمُحدِّث فِي بَيت الْفَقِيه الزيدية) [(5)]. وكما في ترجمة العلاَّمة الولي شيخ بن عبدالله العيدروس المتوفى سنة (1041هـ) الذي كان من

---

(1) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي، دار صادر – بيروت، بدون ت ج2، ص 158.

(2) نفس المصدر، ج4، ص461

([3]) نفس المصدر ج3،ص 193

[4] نفس المصدر ج3،ص 394

(5) نفس المصدر ج 2، ص 308

شيوخه الشَّيْخ أَحْمد الحشيبري [1] وكما في ترجمة القاضي عبدالهادي بن المقبول الزيلعي صاحب اللحية المتوفى سنة (1098هـ) الذي كان من شيوخه الفقيه أَحْمد بن صديق الحشيبرى [2]

المحبي أيضاً يمدنا بنص شعري في مدح آل حشيبر للعلّامة مُحَمَّد بن أَبي بكر مطير المتوفى سنة (1086هـ)َ ومطير هذا (أحد أجِلّاء عُلَمَاء الْيمن الَّذين لازموا تقوى الله وجمعوا بَين الْعلم وَالْعَمَل وتحروا فى تَحْقِيق مسَائِل الْعلم واشتهر ذكرهم شهرة القمرين وجمعوا بَين الشرفين أَخذ عَن وَالِده وَعَمه عبد الله بن ابراهيم وَغَيرهمَا من أهل ذَلِك الإقليم حَتَّى برع واشتهر وَأَلَّف وصنَّف وَله من الأشعار الصَّالِحَة مَا هُوَ مَشْهُور. فَمن ذَلِك قَوْله يمدح الْعَارِف بِاللَّه تَعَالَى ذهل بن إبراهيم حشيبر صَاحب الزيدية)[3]، وقيمة هذا النص الشعري الذي أبدعه هذا العالم أنه تمكن قراءته من عدة مستويات، فهو إبداع عالم كبير عن عالم وولي كبير، ثم هو يعطينا صورة عن المكانة العالية التي كانت تتمتع بها الأسرة الحشيبرية عند النخبة العلمية في القرن الحادي عشر الهجري، وفوق ذلك فهو يوثِّق لمجموعة من شجون ذلك الوقت ومعتقدات أهله، ويبين أن الأسرة الحشيبرية كانت ملاذاً حقيقياً لتطلعات الناس في ذلك الحين، يقول مطير:

(مالى أَرَاك كثير الْهم والحزن، ولهان من شدَّة الأهوال والمحن)

(وَذَاهلا هائما وَالْقلب مِنْك غدا، خَال من الْعقل وَالتَّدْبِير فى الزَّمن)

(كَانَت مضاجعهم بِاللَّيْلِ عَن جنب، لَا يسأمون خطاب الله فى الدجن)

(وسرت تقفو بعيد الدَّار عَن وَهن، وَالْقَوْم قد أدلجوا وَالله بالرسن)

([1]) نفس المصدر ج2، ص 235،236

([2]) نفس المصدرج 3، ص 94، 95

([3]) يبدو أن ارتباط بني مطير ببني حشيبر وتلمذتهم لهم، وإجلالهم لمكانتهم كان كبيراً جداً، بل إن من علماء وصلحاء بني مطير من دفن مع بني حشيبر في مقبرة أوليائهم الشهيرة في القرية الأم (بيت الفقيه ابن حشيبر) يذكر الوشلي في نشر الثناء الحسن مج2 ص 143 نقلاً عن تاريخ الخلي أن إبراهيم بن أبي القاسم مطير وهوفقيه محدِّث مفسر نحوي لغوي فرضي أصولي شاعر تولى القضاء ودرّس وأفتي ورحل في طلب العلم إلى زبيد ومكة، ثم مات ببيت الفقيه ابن حشيبر (القرية الأم)

(لَكِــن اذا رمــت نجمــا أَو بُلُــوغِ مــنى، فــانهض الى مَعْــدن الأســرار والمــنن)
(هَذَا الولى الْكَبِير القطب من شهِدت، لَـــهُ الأكــابر بالتصــريف فى الــزَّمن)
(وَصَـــارَ بالـــذهل الْمَشْـــهُور بلدتـــه، بهَــا الرِّضَــا والهنــا للصــابر الفطــن)
(بَحــر المعـــارف مَشْـــهُور فمعـــدنها، عـين الرِّجَـال وفحـل الْقَـوْم فى السّـنَن)
(مــن حــل روضــته قــد نَالَ بغيتــه، بِكُـل خـير بِحسـن الظَّـن ذَاك غـنى)
(فـــاعكف بتربتـــه والـــزم بعروتـــه، واستبق ذَا دَائِمـا مَـا دمـت فى المكـن)
(يوليـك كـل العطـا مـن جـود منحتـه، وَأَنــت فى مــأمن مــن كـل ذى إحــن)
(بِاللَّه يازائـــرا قـــبرا لَـــهُ شـــرفا، أخْلـص فُـؤَادك لَا تأتـى علـى دخـن)
(فالفصـــل شـــيمته والنصـــر خادمـــه، والغـــوث ســـيرته وَالله فى المحـــن)
(مطـالع السـعد لَا تخفـى شـواهدها، فالســعد ســاعده كَــالرِّيحِ للســفن)
(وَكــم ظهــرن لَــهُ فى كــل معضــلة، آيَات حــق علــى الأعــداء بالعلــن)
(أبادهـــم جمعهـــم فى سَـــاعَة علنـــا، بالطعن وَالضَّرْب لَا يرجعن عَن جبن)
(ان الْعِنَايَـــة فى علـــم لَـــهُ ســـبقت، مــن الإلــه علــى التَّقْـدِير بالْحسـنِ)
(آل الحشـــيبر مـــن عـــدنان إنهـــم، نُجُـوم أهـل الثـرى للعـارف الفطـن)
(بِاللَّه يَا نَسْـــله كونُـــوا علـــى نهـــج، مــن الشَّـرِيعَة وَالتَّقـوى مـدى الـزَّمن)
(يَا سيدى الشَّـيْخ يَا غـوثى ومعتمـدى، عبيـدكم قَاصـد للفضـل غـير غـنى)
(فَقُـمْ بِنَـا مسـرعا وانهـض بحجتنـا، فــالعلم قــد ضَــاعَ فى شــام وفى يمــن)
(طَرِيقَـــة الْحـــق لَا تمشـــى لعزتهـــا، وَصَاحب الجَْهْل قد أضحى على فنن)

(إنَّا قصـــدناك فى أَمـــر أضـــربنا، فى الـدّين وَالْمَـال والأرواح واغبـنى)

(فـانعش لغربتنـا وَافْـتَحْ بصـائرنا، واكبـت لحاسـدنا فى كـل ذى وَطـن)

(واطمـس عيُـونا لَـهُ تبقـى علـى عَمـه، هَـذَا جـزا مـن بقـى بِالْخَـيرِ لم يـبن)

(إنَّا لجـير انكـم وَالجْـار حرمتـه، قديمَـة ذكـرت فى الـذّكر وَالسّـنَن)

(أرعـوا لنـا ذِممًّـا كَانَـت لنـا قـدما، مـن أجـل سـالفنا فى سـالف الـزَّمن)

(لَا تهملـونا جَمِيعًـا مـن إعـانتكم، عطفـا علينـا عبيـد بالمطـير كـنى)

(آل المطـير لَهُـم فى حقكـم نجـم، أهيـل علـم سمـوا فى أرفـع القـنن)

(بِالْعلـمِ وَالـدّين وَالتَّحْقِيـق مَـا برحـوا، فى خدمَـة الشَّـرْع والأديان وَالسّـنَن)

(هـم سـادة النَّـاس فى الأحـوال أجمعهـا، وهـم غيـات الـدنا بِالْفَضْـلِ فاسـتبن)

(وعنـدكم سـيدى عقـد لسـالفنا، علـى الأمانـة أدوه لكـل بـنى)

(وَنحـن أبنـاؤكم وَالْكـل يطلـبكم، مَـا عنْـدكُمْ مـن عَظِيم الْفضـل والمنن)

(من كَانَ فى سوحكم من كل ذى نفس، فحقـه وَاجِـب فـاحموه مـن عطـن)

(وسـامحوه علـى مَـا كَـانَ مـن خطـا، فبحـركم وَاسـع وَالْكـل لَـيْسَ غـنى)

(عَـن مُنْتَهـى جـودكم فى كـل حَادِثَـة، فَـالله أولاكـم مـن كـل ذى حسـن)

(عَلَـيْكُم مـن إلـه الْعَـرْش رَحمتـه، تغشـى ضـريحكم كالوابـل الهـتن)

(ثمَّ الصَّـلَاة علـى الْمُخْتَـار مـن مُضـر، مُحَمَّـد الْمُصْـطَفى الْمَبْعُوث من عـدن)

(والآل والصـحب والأزواج كلهـم، وَالتَّـابِعِينَ لَهُـم مـاش علـى السّـنَن)

وسيتوقف المحبي بتوسع عند ثلاث شخصيات حشيبرية كبرى وصلته أصداؤها بوضوح، اثنتان منها ينقلهما عن تاريخ البحر مضيفاً لمساته الخاصة على ترجمتهما، أما الثالثة فيتفرد هو بها.

وأولى الشخصيات الثلاث التي يترجم لها المحبي هي شخصية العلّامة الكبير مفتي الديار اليمنية ومحدِّثها (مُحَّد بن عمر بن الصديق الحشيبري (ت1050هـ) كان هذا العالم ذروة من ذرى البيت الحشيبري، (فقيهاً عالماً محققاً نقّالاً ورعاً زاهداً عابداً، صاحب تربية وأخلاق رضية، وأفعال مرضية وأحوال وكرامات خارقة وله رؤيا منامية تدل على تمكنه وقرب منزلته عند الله تعالى). ولم يكن فضله يقتصر على تفوقه في العلم وترقيه في المناصب ولا على صلاحه في نفسه، بل يتعدى إلى عنايته بالناس ورعايته للمساكين وأهل العلم ودفعه جور الجائرين وظلم المتسلطين، ولذلك عد الناس رحيله عن دنياهم كارثة (وحصل بموته التعب الشامل ونزل العلم بموته درجة لأنه لم يخلف بعده مثله في الحفظ والإتقان).

وقد رثاه السيد مُحَّد بن الطاهر (الأهدل) بقصيدة أولها:

دهتنـــا الليـــالي بمـــوت الفقيـــه   إمام الهدى غوث أهل اليمن) [1]

الشخصية الثانية: الفقيه علي بن أحمد المدني الحشيبري (ت 1058هـ) (كان حافظاً للمذهب (الشافعي) والأحاديث النبوية مع التفاسير يملي من حفظه على الدرسة بنقل صحيح غير متكلف وكان على جانب عظيم من الورع في الفتوى وغيرها وفي التدريس، أخذ عنه كثير) ورثاه الشاعر مُحَّد بن الطاهر الأهدل مرثيات عديدة منها قوله:

أخلاي ضاع الدين من بعد شيخنا   إمام الهدى شمس المعالي ابن أحمد
أفاض على الطلاب من فيض علمه   وأوســـعهم مـــن بحـــره المتزيِّـــد
إمـــام صـــبور صـــادق متـــورع   أحـــاط بعلـــم الشـــافعي مُحَّد
وحقـــق منهـــاج النـــواوي محققـــاً   وإرشـادنا المشـهور في كـل مشـهد) [2]

---

(1) الاقتباسات السابقة من خلاصة الأثر، ج، 4ص80.

(2)خلاصة الأثرج3 ص146

أما الشخصية الثالثة فنحن حقاً ندين للمحبي الذي تفرد بترجمتها، وقدمها لنا شخصية استثنائية وقد كانت بالفعل كذلك، إنها شخصية الولي الفقيه (دهل بن علي الحشيبري 1036-1090هـ) الذي كان -حسب عبارة المحبي- أهم أعلام الحشابرة بعد النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، وهو يعرِّفه لقارىء غير يمني تعريفاً يصور أصداء شهرة الأسرة الحشيبرية في بلاد كبلاد الشام وقتذاك، يقول (ذهل بن عَليّ بن أَحْمد بن عبد الله بن الذهل بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن عبد الرَّحْمَن بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد عمر بن حشيبر الْعَارِف الْمَشْهُور بالغيثي نِسْبَة لسيدي أبي الْغَيْث بن جميل لِأَنَّهُ كَانَ تلميذه وَقَالَ لَهُ فِي بعض وقائعه إنه حُشي بِراً فَلذَلِك اشْتهر بحشيبر الحشبيري العدناني وَبَنُو حشبير هَؤُلَاءِ قوم يسكنون الزبيدية عُلَمَاء أخيار قل من يدانيهم فِي الْعلم وَالْعَمَل وَالصَّلَاح وَذهل هَذَا رئيسهم وَكَانَ إِمَام أهل الْعرْفَان الْمشَار إِلَيْهِ بالبنان.. ولد فِي سنة سِتّ وَثَلَاثِينَ وَألف بِمَدِينَة الزيدية) ونعرف من المحبي أن هذا العالم كان جيد التحصيل للعلم يتقنص العلماء والفضلاء من أهل اليمن ومن الواردين إليها ويحسن صحبتهم، كما فعل مع العلَّامة مُحَّد بن أحمد صاحب الخال والعلَّامة المحقق الملا مُحَّد شريف الكوراني الصديقي حين قدم الزيدية في رحلته لليمن، ولذلك (برع في جملة من العلوم وأجازه جل شيوخه وأمروه بالتدريس ونفع الناس فتصدَّر وفاق أقرانه) إضافة إلى كل ذلك وإلى كونه (إمام أهل العرفان المشار إليه بالبنان) كانت له مؤلفات في الفقه والتصوف منها:

- حاشية على المنهاج سماها إفادة المحتاج على المنهاج.
- منظومة في العقائد سماها جواهر العلوم.
- أرجوزة في علم التصوف سمَّاها "هداية السالك إلى رضى المالك".
- إيضاح المسالك بشرح هداية السالك إلى رضا المالك

كما نعرف أنه كان شاعراً مميزاً وله شعر كثير منه قوله يمدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم:

حـــن قلـــبي شـــوقا إلى لقياكـــا   وتـــذكرت طَيَبـــة وحِماكـــا

وقباهـــا ومنـــبرا وضـــريحا   جمـــع النـــور والبهـــا إذ حواكـــا

وخلعـــت العـــذار عـــن كـــل واش   وتهتكـــت رغبـــة في هواكـــا

لست أصغي للائم وعذول … فمناى وبغيتي رؤياكا
فعسى أن تجود بالوصل يوما … ويزول البعاد منك عساكا
ومتى ألثم الضريح وأسعى … بين تلك الرياض والشباكا
وأقول السلام يا سيد الرس … ل جهارا بالصوت منى علاكا
يا رسول الإله أنت المرجى … زادك الله رفعة وحباكا
يا رسول الإله هب لي نورا … وسنا أستضيئه من سناكا
يا نبي الهدى أغثني سريعا … وأقلني من عثرتي بدعاكا
كن نصيري على الخطوب جميعا … وأجزني من جور دهر تشاكا
أنت سر الوجود لولاك ما … كون الكون سيدي لولاكا
خصك الله بالبراق وبالأسر … ورؤياه جهرة قد حباكا
بت ترقى في ليلة بفخار … طاب فيها إلى العلى مسراكا
كان جبريل خادما وسفيرا … ولسبع الطباق قد رقاكا
جزت حجبا وكم علوت بساطا … ما علاه من الأنام سواكا
وصرير الأقلام من مستوى قد … سمعته حقا كذا أذناكا
وأتاك الندا من مالك المل … ك أدن مني وسل تفز بمتاكا
وتجلى الجبار جل علاه … وتدلى إليك بل واصطفاكا
وتلذذت بالخطاب عيانا … ولقاب للقوس قد أدناكا
وتلاشيت في الغيوب بلا أي … ن فمن ثم لم تزل قدماكا
وتولاك إذ هداك ووال … اك عطاء وبالجمال كساكا
جمع الله فيك كل فخار … بل وأعطاك كل ما أرضاكا

خـاتم الرسـل سـيد الخلـق طـرا	**كلهـم في المعـاد تحـت لواكـا**
فعليـك الصـلاة تـترى دوامـا	**وعلـى الآل والتـابعين هـداكا**
وعلى الصحب من حموك وآووا	**بـل وفي الله جاهـدوا أعـداكا**
وعلـى كـل تابـع ومـوال	**مقتـف أثـرهم يريـد رضـاكا**
عـد خلـق الإلـه مـني لترضـى	**وليرضـى الإلـه عـني بـذاكا**

وقوله متغزلاً:

يا هنـد جـودي بوصـال ولـو	**مقـدار رد الطـرف إذ يطـرف**
وروحـي روحـي بـرؤياك يا س	**ؤلي فمـا غـيرك بي يلطـف**
فقـد فـنى صـبري وطـال المـدى	**وحبـذا وصـل بـه تعطـف**
راقـت ورقـت ورقـت في العـلا	**ونورهـا كـالبرق قـد يخطـف**(1)

---

(1)الاقتباسات السابقة خلاصة الأثرج2، ص 159،158،

حين نشرت ما كتبته هنا عن العلَّامة ذهل بن علي الحشيبري، ضمن حلقات من هذا الكتاب نشرتها على صفحتي بموقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك) منتصف عام 2017م، اطلع صديقي الكاتب والباحث الجاد أحمد حسن عياش يعقوب، على بعض الحلقات ولم يطَّلع على الحلقة التي ورد فيها ذكر ذهل هذا وشيىء من سيرته وأخباره، فاستدرك عليَّ ببحث رائع ومعمَّق وفيه فوائد جليلة تتعلق بشخصية ذهل ومظان ترجمته. ومما جاء في بحثه (ولم أقف على أحد ترجمه من معاصريه أو ممن جاء بعده غير العلامة المؤرخ محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المشهور بالمحبي في كتابه (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) فقد كان معاصرا له، أدرك من حياته ثمانية وثلاثين عاما، وعنه نقل كل من:

الشيخ العلَّامة المؤرخ إسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة 1339هـ / 1920م، في كتابه (هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنَّفين) في باب الدال، حيث ذكره وضبط اسمه كما يلي: دهل (بالدال المهملة) بن علي بن عبد الله بن الذهل (بالذال المعجمة) بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن عمر حشيبر الحشيبري العدناني المعروف بالغيثي.

وذكر مصنَّفاته السابق ذكرها.

كما ذكره البغدادي أيضا في كتابه الآخر المسمى (إيضاح المكنون) الذي جعله معجما لأسماء الكتب المصنَّفة.

الأستاذ عمر رضا كحالة (1323 – 1408)هـ / (1905 – 1988)م في كتابه (معجم المؤلفين) حيث ذكره، وذكر مصنَّفاته المذكورة في حرف الدال.
وتبعهم في الترجمة له الدكتور عبد الولي الشميري – حفظه الله – في (موسوعة الأعلام)
نعم ذكره السيد العلَّامة الحافظ المحدِّث المؤرخ محمد مرتضى الزبيدي (1145 – 1205)هـ / (1635 – 1205)م في (تاج العروس) ذكرا عابرا في حرف (الدال) فقال: ((وكصرد: دهل بن علي بن أحمد بن عبد الله بن دهل العدناني الحشيبري الغيثي، حدَّث عن علي بن محمد بن أبي بكر بن مطير الحكمي، وعبد الواحد بن محمد الحباك، ومحمد بن أحمد صاحب الحال، وألف حاشية على المنهاج، سماها (إفادة المحتاج) واجتمع به شيخ مشايخنا العلَّامة مصطفى بن فتح الله الحموي، وعبد العزيز بن أبي دهيل الخضري كزبير)) انتهى.
ويلاحظ مخالفة المرتضى الزبيدي للمحبي في التبويب للاسم، ولعل الصواب في اسمه ما أثبته المحبي كونه معاصره.
وعلى الرغم من اقتضاب كلام الزبيدي عنه فإنه أفادنا في مشايخه شيخ لم يذكره المحبي، وهو العلَّامة المحدِّث عبد الواحد بن محمد الحباك – من أعلام القرن الحادي عشر الهجري، كما أفادنا أيضا بتحديث الشيخ ذهل عن هذا الشيخ والشيخين السابقين مطير وصاحب الحال.
وأفادنا أيضا باجتماع الشيخ ذهل بشيخ مشايخه – أعني شيخ مشايخ المرتضى – العلَّامة الرحالة المؤرخ ضياء الدين مصطفى بن فتح الله الحموي، المتوفى بمدينة ذمار سنة 1117هـ / 1705م، وقيل: سنة 1123هـ / 1711م، وأفادنا أيضا باجتماعه بالشيخ العلَّامة عبد العزيز بن أبي دهيل الخضري، ولعلهما أو أحدهما أو الملا محمد شريف الكوراني الصدِّيقي كان السبب في ظهور ترجمة الشيخ ذهل في كتاب المحبي، إن لم يكن قد التقى به شخصيا.
كما أن ما ذكره الزبيدي من التقائه بالعلَّامة الرحالة المؤرخ مصطفى بن فتح الله الحموي ربما يعطينا مصدرا آخر لمصادر ترجمة الشيخ ذهل الغيثي، فالشيخ مصطفى ينسب إلى مدينة حماة في سوريا بالشام، فهو حموي الأصل، مصري المولد، دمشقي النشأة، حيث درس وقرأ على علماء دمشق، ثم رحل إلى مكة المكرمة، واستفاد من مشايخها، واشتغل بالتجارة، وكان مركز تجارته بمكة، وظل يتردد بين اليمن ومكة، حتى كانت وفاته بمدينة ذمار من اليمن، والتقى خلال ذلك بجملة من علماء وأدباء وأعيان اليمن، وعلى رأسهم الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن، المشهور بصاحب المواهب (١٠٤٧ – ١١٣٠)هـ / (١٦٣٧ – ١٧١٨)م، وترجمه السيد العلَّامة إبراهيم بن عبد الله الحوثي (١١٨٧ – ١٢٢٣)هـ / (١٧٧٣ – ١٨٠٨)م في كتابه (نفحات العنبر في تراجم نبلاء اليمن في القرن الثاني عشر) والعلَّامة محمد بن خليل المرادي (١١٧٣ – ١٢٠٦)هـ / (١٧٥٩ – ١٧٩١)م في كتابه (سلك الدر في أعيان القرن الثاني عشر) وخلال رحلاته العلمية والتاريخية والتجارية ألف كتابه (فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر) في ثلاثة مجلدات – مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم (1093) ترجم فيه لجملة من علماء وأدباء وفضلاء اليمن والشام والعراق وغيرها.
ومن المؤكد العثور على ترجمة للشيخ ذهل الغيثي في هذه المخطوطة، التي ربما نقل عنها الشيخ المحبي.
وقد أفادتنا هذه التراجم جميعها بزيادة لقب آخر لبني الحشيبر، وهو لقب الغيثي نسبة للولي الكبير المكمَّل أبي الغيث

بن جميل، المتوفى – رحمه الله يوم 25 من جمادى الأولى سنة 651هـ، الموافق 22 يوليو سنة 1253م، وهذا اللقب يشاركهم فيه تلميذ ابن جميل الذي اشتهر باسم (فيروز الغيثي) المتوفى – رحمه الله – سنة 671هـ / 1273م.

أخلص من هذا إلى ما يلي:

كيف غفل عن ترجمته السيد العلَّامة المؤرخ محمد بن الطاهر بحر (1002 – 1083)هـ / (1594 – 1672)م في (تحفة الدهر) رغم تعاصرهما سبعا وأربعين عاما ؟ هل قصر تراجمه على من توفى في عصره ؟ لا أظن ذلك، فقد ترجم لبعضهم في حياتهم.

كيف غفل عن ذكره السيد العلَّامة أبو القاسم بن أبي الغيث الأهدل (1185 – 1248)هـ / (1771 . 1832)م في كتابه (الدرة الخطيرة) ؟ هل قصر تراجمه على سادات المنيرة فحسب ؟

وكيف تبعهم في ذلك السيد العلامة المؤرخ القاضي إسماعيل الوشلي ؟ فلم يترجم له.

أما السيد العلَّامة أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل فقد توفي قبل ميلاد الشيخ ذهل بعام.

وأما السيد العلَّامة الحافظ المؤرخ البدر حسين الأهدل (779 – 855)هـ / (1377 – 1451) م، فهو متقدم على الشيخ ذهل بنحو قرنين.

هذا يعني أن هناك غيره الكثير من بيت الحشيبري تم إغفالهم في كتب التاريخ والتراجم، مما يستدعي تكريس الجهود والبحث والتحري والتدقيق عن بقية أعلام هذا البيت، لا سيما من لهم ثقلهم العلمي والمعرفي.

وأسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير والسداد، وجمع ما تناثر وتفرق وضاع من تاريخ تهامة وأعلامها المبرزين. فهو ولي ذلك والقادر عليه، فنعم المولى ونعم الوكيل.

أحمد حسن عياش يعقوب

في 10 ربيع الأول سنة 1439هـ

الموافق 28 نوفمبر سنة 2017م

وسيتكفل كتاب (الدَّرة الخطيرة في تاريخ سادات المنيرة) لأَبي القاسم بن أبي الغيث الأهدل (1185هـ / 1248هـ) بإمدادنا بمعلومات واسعة عن بني حشيبر في القرن الثاني عشر الهجري وصولاً إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر إضافة إلى معلومات أخرى بحكم أن المؤلف من أهل المنيرة. بل هو أحد مناصبها المشهورين، ومن هذا الكتاب سيتبين لنا أن مكانة العلماء والأولياء من بني حشيبر تزداد اتساعاً وتمكناً، كما سيتضح لنا أن الكتَّاب والمؤلفين قد حسموا الميل تماماً لذكر لقبهم بـ(أل) التعريف و(ياء) النسبة، هكذا: (الحشيبري).

نعرف أيضاً أن الصلة القوية بينهم وبين الأولياء والعلماء من بني الأهدل قد صارت أكثر تمكناً ورسوخاً، و(صاحب الدَّرة) يشيد بمكانة الحشيبريين وأستاذيتهم للأهدليين أهل المنيرة، خاصة في علم الحديث، وهذا نص كلامه: (وللأهل اتصال عظيم ببني حشيبر، وأكثر أسانيدهم مروية عنهم، وشهرتهم تغني عن وصفهم، ولم يزل العلماء والأولياء منهم إلى وقتنا هذا، ثم إلى يوم القيامة)[1].

وأول من نتوقف عنده ممن ترجم لهم صاحب (الدَّرة الخطيرة) هو الفقيه العالم الولي المساوى بن إبراهيم الحشيبيري (ت في نهاية ستينيات القرن الثاني عشر الهجري تقريباً)، ولد في بلاد الحشابرة، -كما يقول الوشلي – لكننا سنعرف لاحقا أنه ولد في دير الحندوب ببلاد صليل – له رحلات علمية متعددة، فقد رحل إلى مكة والمدينة، كما رحل إلى بيت الفقيه وزبيد والمخا وتعز، سكن المنيرة واشتغل فيها بالإفتاء والتدريس وإقراء الحديث، وكان له باع طويل في إسناد الحديث، حدَّث عن الحافظ يحيى بن عمر الأهدل (ت 1147هـ) وحدَّث عنه تلاميذه، وكان إلى جانب

(1) الدرة الخطيرة في تاريخ سادات المنيرة، أَبي القاسم بن أبي الغيث الأهدل، مخطوط.

ذلك صوفياً، من ذوي الولاية الفارهة، فهو كما يقول الأهدل: (شيخ وقته عملاً وعلماً، الجامع بين الشريعة والحقيقة)[1]،

وقد سكن مدينة المنيرة في ذروة دورها العلمي والثقافي، وتحلَّق حوله علماء المنطقة في ذلك الوقت خاصة أبناء الأسرة الأهدلية، ويذكر الأهدل (صاحب الدَّرة) أن من بين من تتلمذوا له:

(العلَّامة، الفهَّامة المحقق، عبد الله بن مُحَّد العالم، فإنه أخذ عنه حتى صار إماماً في جميع العلوم) و(العلَّامة الفهَّامة، المربي للسادة، وغيرهم من طلبة العلم: مُحَّد بن عبد الله الأهدل) الذي (أخذ عنه العلم وانتفع به كثيراً).

كذلك أخذ عنه (كثيرون من أهل العلم والصلاح) مثل (ولده العلَّامة الفهَّامة، إبراهيم بن المساوى بن إبراهيم الحشيبري) و(العلَّامة الفهَّامة، أحمد ابن المساوى) و(الفقيه العلَّامة الفهَّامة مُحَّد بن علي نجار الحشيبري).

و(العلَّامة الفهَّامة أحمد بن علي المشلاّ) و(العلَّامة أبو بكر بن عبد الهادي القديمي)، و(الفقيه الفاضل الصالح أبو بكر مهندس، وغيرهم).

وقد كان تأثير المساوى الحشيبري على العلم والحركة العلمية كبيراً جداً، فالأهدل يذكر أن العلم ازدهر في زمنه، وأنه (اشتهر في زمنه ببلدة (المنيرة) بالعلم والعمل والولاية) وقد بلغ من تأثيره على من تتلمذوا عليه واتصلوا به أن أصر سادات المنيرة على دفنه بـ(مقبرة السادة بينهم لحبهم له واعتقادهم فيه، مع أن مقبرتهم خاصة لهم، لم يدفن بها غيرهم).

ويبدو أن ارتباط هذا العلم الحشيبري الكبير وأسرته بهذه التربة الأهدلية كان كبيراً جداً، فهذا ابنه إبراهيم بن المساوى يقول: (كان في ركن قبر سيدي الشيخ عبد الله بن عمر الأهدل ـ نفع الله به ـ حجَرة من الشرق إلى (اليمن)، من وقف عندها وقرأ سورة تبارك {الملك} قضيت حاجته)، ويقول أيضاً (حصل برأسي ورأس أخت لي أكبر مني ـ في زمن سيدي الوالد ـ ثبورات ترطبت وأضرت بنا، قال: فذات ليلة ألبسني قميصاً وعمامة، وألبسها قميصاً وعمامة، ثم خرج بنا لزيارة ضريح سيدي الشيخ عبد الله بن عمر الأهدل، ولزيارة ضريح سيدي الشيخ أبي الغيث بن مُحَّد

(1) المصدر السابق، مخطوط.

المعتكف (صاحب المخبر) وكنت أسمعه يقول: أتيناكم بالأولاد، قال: فشُفِيْنَا بحمد الله من ذلك الأثر، ولم يعد إلينا بعد ذلك) [1]، ولعل هذا الارتباط الكبير بالتربة وصاحبها ثم بأسرته من بعده، ثم مكانة الرجل العلمية الكبيرة وكثرة مريديه وتلاميذه وولايته وبركته كانت كلها مؤهلات ليرغب الأهادلة في الاستئثار به ودفنه عندهم.

وقد ارتحل إليه عدد من أعلام زمانه لطلب العلم على يديه والاستجازة منه، وكان أشهرهم العلَّامة الكبير (محمَّد مرتضى الزبيدي (ت 1205هـ)، وهو يذكر ذلك في موسوعته (تاج العروس، مادة نور) حيث يقول: (والمنِيرة: قريةٌ باليمن سمعتُ بها الحديثَ على الفقيه المعِمِّر مساوى بن إبراهيم الحشيبري ﷺ) كما ارتحل إليه العلَّامة الكبير عبد القادر بن أحمد الكوكباني (ت1207هـ) وأخذ عنه[2].

ولعل أكثر من ارتحلوا إليه جدوى فيما يتعلق بما نقلوه لنا من سيرته هو تلميذه العلَّامة الإمام إبراهيم بن محُمَّد بن إسماعيل الأمير المتوفى بمكة سنة 1213هـ. وسيرد ذلك في موضعه.

ومن الشذرات الكثيرة التي يوردها (صاحب الدَّرة) عن المساوى بن إبراهيم الحشيبري يتضح لنا أنه كان صاحب خلق عال، وشخصية كارزمية، وأسلوب في التربية، يحبب الناس إليه، من ذلك بثه روح العلم والثقة بالنفس في تلاميذه الذين كان يتوسم فيهم مخائل النجابة والتفوق. كما كان يفعل مع تلميذه العلَّامة المحقق (عبد الله بن محُمَّد العالم) حيث كان إذ (أتي إليه بسؤال يقول له: أجب عنه) وكان (يثني عليه كثيراً).

وكان يقول لمجالسيه والمتصلين به: (إذا أخبركم السيد عبد الله بن محُمَّد العالم بما في خبر السماء فصدقوه، فإن علمه لدُنِّيّ).

وكان من نتيجة ذلك أن صار تلميذه هذا من أهم أعلام زمانه، كذلك انعكس صلاحه وقوة حضوره على تلاميذه، فتلقوا العلم منه تلقياً حسناً، قال ابنه: (كان سيدي الوالد يقرئ في كل

([1]) الاقتباسات من نفس المصدر

([2]) إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: خليل عثمان السبيعي، دار بن حزم، بيروت، ط: 1 1420 هـ ص/165، 170

علم، ومن قرأ عليه، فتح الله عليه) وكان للجانب الصوفي في شخصيته دور كبير في تأثيره على تلاميذه وأصحابه ومن حوله، فقد كانت له (المكاشفات العظيمة، على أحوال أولاده وتلامذته ينبههم بها).

ومما يدل على التقدير العالي الذي اكتسبه بين تلاميذه وأصحابه ما يورده الأهدل أيضاً عن أحد تلاميذ المساوى الحشيبري وهو (مُحَّد بن عبد الله الأهدل) الذي كان (يخدم شيخه المساوى، يملأ بالليل سراديب مدرسته وكُدَّاها)، ويروي أن المساوى الحشيبري بسبب هذه الخدمة التي كان يخدمه، دعا له ذات ليلة: (الله يرزقك القبول في الدنيا والآخرة، فرزقه الله من القبول في الدنيا عند الخاص والعام أمراً عظيماً).

على أن حياة المساوى بن إبراهيم الحشيبري ومكانته في المنيرة لم تخل من منغص، لعل سببه كان المنافسة العلمية أحياناً، فـ(صاحب الدَّرة) يذكر أن مخاصمة حصلت بين المساوى الحشيبري وبين بعض بني الأهدل حتى عزم الحشيبري على الخروج من المنيرة لولا إشارة تلقاها من الولي الكبير الشيخ عبد الله بن عمر الأهدل (ت 770هـ) (مؤسس مدينة المنيرة وزاويتها ورباطها) تأمره بالبقاء في المنيرة، ونشر العلم بها.

وممن ترجم لهم (صاحب الدَّرة) الفقيه العلَّامة الفهَّامة المحقق الصوفيّ، عمر بن أحمد الحشيبري (ت قبل نهاية القرن الحادي عشر تقريباً) الذي شهد فيه أولياء زمانه، بأنه من أهل القلوب، واشتهر بأنه: (من أهل العلم والعمل والولاية)، أخذ العلم عن مجموعة من علماء عصره، على رأسهم العلَّامة أبو القاسم الأهدل الشهير بـ(صاحب القميصين) (ت 1088هـ) وهو يروي في كتابه (تثبيت القدم، للمشي سويا على صراط السند الأتم) عن علاقته بأستاذه وشيخه، وإجازته له في آخر حياته على نحو تتجلى فيه خصوصية المكان وأهله وتقاليدهم الاجتماعية بشكل كبير، يقول: (وصحبت بعده –يعني بعد والده– السيد الجليل الولي ابن الولي ابن الولي، القطب شرف الدين أبا القاسم بن مُحَّد بن أبي القاسم الأهدل (صاحب المنيرة) ذا الكرامات الظاهرة، والبراهين الباهرة، باستدعاء منه لي إلى ذلك؛ لكونه في أكثر عمره مصطحباً لوالدي –رحمهم الله تعالى– فمكثت معه نحو خمس سنين، أكثر أوقاتنا نسيح معه، ويصلح بين المسلمين في الوقائع المهمات،

ويتبركون بحضوره في المسرات، والفقير له من سائر الخدام، فلما كان آخر عمره، زرنا معه آخر رجب الحرام، زيارة سيدي الشيخ أبي الغيث ابن جميل -قدَّس الله سره- في جمع من أولاده وأصحابهم، ثم خرجنا يوم السبت عقب الزيارة، إلى محل السيد أحمد بن حسن بن مُحَمَّد عَدِيْلَة الميل، ثم بعد عصر ذلك اليوم، خرج بي معه وحدي، إلى بيت أبي الخل للاجتماع بالفقيه الصالح أبي الغيث بن أحمد الخلّي، فبتنا عنده ليلة الأحد، ولعلها سلخ رجب الحرام، فلما كان بعد صلاة العشاء، برزت معه في رحبة مسجدهم، فلما راق لنا المجلس ساعة نفيسة، قلت له: يا سيدي، لي عليكم مسموعات في الصحيحين، وتفسير الإمام البغوي، ومدارسات في كتاب (البركة) للحبيشي، وفي الفقه، وقد منّ الله -من فضله- عليَّ بصحبتكم، من غير حول مني ولا قوة، بل بركة على علو همتكم، والحمد لله على ذلك، والمطلوب من تفضلكم إجازة، فاستوى جالساً وكان مضطجعاً وأنا أغمزه، فتربع وقال: قد أجزتك في جميع مروياتي ومسموعاتي، ولما كان ضحى ذلك اليوم (الأحد) سرت معه إلى قريب من الزيدية ثم قال: خذ لبلدك فتودعته، وسرت حيث أمرني).

إلى جانب ذلك كان شاعراً، جيد الشعر، يورد له (صاحب الدُّرة) هذا المقطع من قصيدة امتدح بها شيخه (صاحب القميصين):

بالله بالله بالمختار من مضر	**وبالضجيعين والأصحاب الاثنان**
بالسادة الجل أهل الفضل قاطبة	**أهل العلوم وتدريس وإحسان**
بأهلك الغر أهل الكتب أجمعهم	**أهل (الجدار) وأبناء وجيران**
بالقطب ذي الصخرة السوداء هبّ لما	**بنا تنبه وفرج كل أشجان**
وحام سوحك سود النائبات وكن	**للمسلمين يداً في جسم عدوان**
واشفع إلى الله في كشف الكروب وفي	**ستر العيوب وتوفيق وإحسان**

وهي قصيدة حافلة بمديح النبي ﷺ وأسلاف أهل المكان من العلماء والفضلاء والأولياء، يصفها (صاحب الدُّرة) بأنها: (قصيدة عظيمة مشهورة).

كما يورد له (صاحب الدُّرة) مطلعاً لقصيدة أخرى نونية، ذكر أنه امتدح بها شيخه (صاحب القميصين) (مطلعها:

قل للمطي التي طاب السرى الهاني لها قفي على الحي قصي علم أشجاني)

وأشار أنه قد يثبتها كاملة في آخر الكتاب لكونها محفوظة عنده، ولكنه لم يفعل.

وقد أخذ العلم عنه جماعة، منهم: عبد الله بن أبي الغيث الزواك، وهم الذين دفعوه إلى تأليف كتابه (تثبيت القدم) كما يذكر (صاحب الدُّرة) وكتابه (تثبيت القدم) رسالة في التصوف والأسانيد مع بعض التراجم، لم تحقق بعد مع الأسف حتى الآن.

ومن الحشيبريين الذين ترجم لهم الأهدل الفقيه عمر بن أحمد الحشيبري (ت 1200هـ) الذي يصفه بـ(الولي المجذوب، المكسر المجبر، خليفة سيدي الشيخ أبي بكر بن إبراهيم الدهل) يذكر (صاحب الدُّرة) أنه كان يتردد إليه (مراراً عديدة، صحبة سيدي العم أحمد بن أبي القاسم الأهدل) ويذكر أنه كان شديد الحفاوة به: (كنت إذا وصلت إليه يقول: جاء الأمير، وإذا نزلت يقول: مرحباً بالأمير). وأنه كان يبشره ببشارات تتحقق، ويعد هذا الحشيبري من جملة رجال هذا البيت الاستثنائيين العاملين على خدمة الناس، والحدب على الفقراء والمساكين والعلماء والمتعلمين، وحماية المجتمع من جور المتسلطين، وقد كان وجوده سبباً في كثرة الزائرين للزيدية ولمقبرتها التي تضم الأولياء من علماء هذا البيت وأوليائه ومن جاورهم، يقول الأهدل إنه (كان آية عظمى في بلده الزيدية من إطعام الطعام، وانتفع الناس به نفعاً عظيماً، وعمرت التربة وكذا البلدة في وقته عمارة رائقة، وقصدها الناس من كل ناحية، وأذعنت له الأمراء والقضاة). و(كان كثير العطب لأهل الزيغ والنفاق). ومما يدل على مكانته ما يذكره الأهدل من حزن أصاب الناس بموت هذا العالم الجليل، فقد (عظم به المصاب، وتحيرت أولو الألباب؛ لكونه -ﷺ- كان رحمة عامة للمسلمين، وخصوصاً هذه البلدة الزيدية)، ويذكر الأهدل أنه بعد موته سطا الوهابيون على المكان: فـ(خربت التربة) و(صارت أرضاً لا تعمَّر، وكذا البلدة، وفرت أهلها، ولم يبق فيها إلا مجرد الاسم).

ومن معاصري الأهدل مُحَمَّد بن على نجار الحشيبري (ت1219هـ)، يقول الأهدل أنه ممن أدركه من متأخريهم، وشاهده والتمس بركاته، ويصفه بـ(الفقيه القطب) ويقول: (كان -رحمه الله-

على قدم عظيم من العلم والتقوى والزهد، ساعياً بالإصلاح بين المسلمين، متخلقاً بالأخلاق النبوية) وهو يشبِّهه بـ(مُحَّد بن أحمد الأهدل، أحد أقطاب الصوفية في المنيرة إبان ذاك) (في جميع أحواله؛ لكونه هو القائم مقامه، ومحله للوارد والصادر) وهذا الحشيبري وشيخه الذي شبهه المؤلف به هما من جملة كبيرة من متصوفة وعلماء تهامة ممن آثروا الفقر رغم ازدحام الدنيا عليهم، وتوافرها لهم، يقول (صاحب الدَّرة) عنه أنه: (لم يكن له معلوم، إلا ما فتح به عليه الحي القيوم).

ثم يستطرد مترجماً لابنه علي بن مُحَّد نجار الحشيبري الذي كان حيًّا عند ترجمة الأهدل له، وهو يصفه بـ(الفقيه الأكمل) ويذكر أنه كان مقتفياً آثار والده (من تلقي الوافدين، والسعي في منافع المسلمين، صافي السريرة، متنوّر البصيرة، سليم الصدر، قلّ ما تراه إلا متبسماً، مؤنساً للجليس).

يذكر (صاحب الدَّرة) حشيبرياً آخر يصفه بأنه (من الخواص ومن أهل الله) هو الفقيه عمر غبيش الحشيبري، الساكن قرية المِحَال (إحدى قرى الحشابرة) ويصفه بالخمول والدروشة، وهذه كانت صفة إيجابية من صفات الزاهدين، الذين لا يأبهون للدنيا، وقد كان كما يقول الأهدل: (صوفياً صافياً، متقشّفاً في لباسه وأكله،) مستشهداً بما جاء عن الولي الفقيه العالم مُحَّد بن علي نجار الحشيبري أنه كان يقرأ على طلابه وأصحابه (صفات القوم (أهل الله) وعلومهم، فسأله أحد الحاضرين: سيدي، هل أحد من هؤلاء موجود في زماننا هذا؟ فأجابه: نعم، منهم الفقيه عمر غبيش، والفقيه عبد الله بن مُحَّد فايز الساكن قرية الضَّحِي).

وآخر من يترجم لهم الأهدل من أعلام البيت الحشيبري (الفقيه الأكمل، أحمد بن عمر قادري الحشيبري (ت1240هـ).

****

نشر الثناء على الأولياء

سيعيد كتاب (نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن) للمؤرخ العلَّامة إسماعيل بن مُحَمَّد الوشلي (1356هـ) تذكيرنا بكثير مما أسلفه السابقون عن علماء وأعلام بني حشيبر، مستفيداً من كتبهم المخطوطة التي كانت تحت نظره في مكتبات مناصب بني الأهدل بالمنيرة، وأهمها: (تحفة الزمن) و(طبقات الخواص) و(تاريخ الخلي) و(الدَّرة الخطيرة) و(خلاصة الأثر) ومستفيداً أيضاً من الوجادات التي كانت بحوزة العلماء من معاصريه أو بحوزة أسر أو وجهاء من بني حشيبر، فهو ينقل عن إفادات من المنصب الشهير السيد مُحَمَّد بن يحيى الأهدل، وينقل عن وجادة بخط الفقيه عمر بن أحمد دحبب الحشيبري، وينقل عن العلّامة عبد الرحمن بن عبد الله القديمي، وينقل عن العلّامة مُحَمَّد بن عبد الله الزواك نقلاً عن الفقيه إسماعيل ابن أحمد بن نجار الحشيبري، وينقل عن وجادة بخط الفقيه حسن بن يحيى هبة الحشيبري نقلاً عن الفقيه العلّامة المساوى بن إبراهيم الحشيبري، وينقل عن وجادات لا يسمي كتَّابها، ولكنه يكتفي بالقول مثلاً: (وقد رأيت بيد عبد الله قادري منهم ورقة عليها تقارير العلماء) وينقل عمن يسميهم الثقات، ويروي عن أشخاص أخبروه عن أنفسهم، وآخرين يكتب عن معرفة بهم، فيقول: (وقد عرفت منهم) كما أن وجوده في نفس الحيز الجغرافي الذي يضم بني حشيبر، واحتكاكه الدائم بهم علماء وصلحاء ووجهاء ومشائخ وعامة، جعل لما كتبه عنهم ميزات واضحة تجعل التفاصيل التي أضافها إلى تراجم بني حشيبر الذين عاشوا قبل زمنه وترجم لهم سابقوه إضافات مهمة وجوهرية، بيد أن إضافته الأهم ستكون في تغطيته المفصلة لتاريخ اللامعين من بني حشيبر في الفترة التي تلت موت (صاحب الدَّرة الخطيرة) أي الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر الهجريين.

بداية يؤكد الوشلي على:

- أن أصل حشيبر هو (حُشي بِراً) التي (لقب بها أحد أوائلهم)[1].
- أنهم انتشروا الآن وتفرقوا في البلدان، وهو يذكر في الفصل الذي خصصه لهم أو في ذكره لهم في سياقات كتابه المختلفة ما يؤكد انتشارهم في مساحات واسعة في شمال تهامة وجنوبها، فهم موجودون في الزيدية والمنيرة والضحي والمهجم والقناوص والزعلية واللحية ووادي مور والحديدة وبيت الفقيه وزبيد[2].
- أنهم بيت علم وصلاح وفلاح، اشتهر بالعلم والولاية التامة[3]، مؤكداً على استمرارية الولاية والصلاح والعلم بذكر مجموعة من الأعلام العلماء والأولياء، على رأسهم: الولي الشهير إبراهيم بن حسن جيلان الحشيبري، صاحب بيت الفقيه (ت 1268هـ) والولي الكبير عمر بن قاسم الحشيبري، الملقب بهلول (ت1286 هـ) والولي الكبير عمر بن أحمد الحشيبري (ت 1300هـ تقريباً) والعلّامة المفتي مُحَّد بن إبراهيم الحشيبري (القرن الثالث عشر) صاحب الحديدة، والعلّامة الشاعر المسمع مُحَّد بن إبراهيم الحشيبري (القرن الرابع عشر).

إضافة إلى الولية الصالحة سعادة بنت الولي عمر بن أحمد بن هبة الحشيبري (القرن الثالث عشر) وهي المرأة الوحيدة التي كتب عنها فيما اطلعنا عليه من تاريخ الأولياء والصالحين من بني حشيبر.

يذكر الوشلي ما يؤكد على استطراد نمو الوجاهة الاجتماعية للأسرة الحشيبرية التي تكبر بالتوازي مع تراكم مكانة الأسرة علمياً وثقافياً وولاية، وهو إذ يذكر صلات الأسرة الواسعة بالأسر العلمية والثقافية الصوفية المتصلة بها والمتواصلة معها من مساكنيهم ومجاوريهم أو من أقاصي الأمكنة في جميع الاتجاهات، مثل صلاتهم بالأسرة الأهدلية، والأسرة القديمية، وأسرة بيت صائم الدهر،

(1) نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن، محمد بن إسماعيل الوشلي، تحقيق إبراهيم المقحفي، ط2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 2008م، مج 2، ص 122.

(2) انظر المصدر نفسه، ص 102، 114، 119، 122-142، 172، 192،

(3) نفس المصدر، ص 122.

وأسرة بيت الزواك، وأسرة بيت العجيل، وأسرة بيت المكرم، يذكر أيضاً صلاتهم في مجال المشيخة والوجاهة الاجتماعية والاتصال بالحكام والنافذين التي كان من أهمها صلاتهم بالأشراف بني حيدر أيام حكمهم لتهامة وصلاتهم بالدولة العثمانية، حيث يمثل ذلك بقوة الشيخ علي بن أحمد الحشيبري، الذي يؤكد الوشلي أن (أسلافه أهل رئاسة تولوا مع الأشراف في مدة ملكهم باليمن وما زالوا يتوارثون الولاية معهم، ثم مع الدولة العثمانية) [1] وقد وصلت رئاستهم ذروتها أيام الشيخ علي بن أحمد الحشيبري الذي اتصل بالأتراك اتصالاً قوياً، فكان صاحب سلطات واسعة جعلته يصبح شيخ (مشايخ مخلاف الزيدية) [2] وقد عظمت مكانته أيام الحاكم العثماني مُحَمَّد بك كمندار، الذي حكم المنطقة منذ سنة 1297هـ، فكان (بمنزلة الوزير له، لا يصدر (الكمندار) ولا يورد إلا عن رأيه ومشاروته) وقد توفي الشيخ علي بن أحمد الحشيبري سنة 1309هـ[3].

ويمدنا الوشلي بمجموعة من الألقاب التي اشتهر بها بعض أولياء بني حشيبر، منذ القرن الثامن الهجري، وهي ألقاب لم يذكرها سابقوه من المؤرخين الذين رجعنا إليهم، وكانوا مصادر لنا في هذه الدراسة، وممن ذكر ألقابهم الوشلي:

- الولي موسى بن مُحَمَّد بن عمر الحشيبري (ت القرن الثامن)، اشتهر بـ(مسير الشوك) [4].
- الولي أحمد بن مُحَمَّد الحشيبري (ت القرن الثامن) اشتهر بـ(صاحب القضية)[5].
- الولي علي بن مُحَمَّد حشيبر (ت القرن الثامن)، المشهور بـ(الدمل) [6].

وهؤلاء الثلاثة من أولاد الولي الكبير مُحَمَّد بن عمر حشيبر (ت 718هـ).

يضاف إليهم ابن أخيهم أبو بكر بن إبراهيم حشيبر (ت 802 أو 803 هـ)، الذي اشتهر بـ(الدهل) وهو الوحيد الذي كانت المصادر التاريخية قبل الوشلي تذكر لنا لقبه.

---

[1] نفس المصدر، ص 127.

[2] نفس المصدر، ص 128.

[3] نفس المصدر، نفس الصفحة.

[4] نفس المصدر، ص 135.

[5] نفس المصدر، نفس الصفحة.

[6] نفس المصدر، نفس الصفحة.

- الولي علي بن أحمد حشيبر (ت 822هـ) اشتهر بـ(صاحب الخطوة) [1].
- مُحَمَّد بن حسن حشيبر (ت قرب نهاية القرن الثامن) اشتهر بـ(المشعف) [2].
- أحمد بن حسن حشيبر (من أولياء القرن التاسع) اشتهر بـ(المحاظر) وبـ(بحر الدجرا) [3].
- عمر بن قاسم الحشيبري (ت 1286هـ) اشتهر بـ(البهلول) [4].

يذكر الوشلي أيضاً ثلاثاً من زوايا بني حشيبر التي كانت عامرة ناشطة قبل منتصف القرن الرابع عشرالهجري:

- زاوية الولي الكبير علي بن أحمد حشيبر في القرية، وكان القيِّمون عليها جماعة من بني النجار الحشيبري[5].
- زاوية الولي الكبير إبراهيم بن أبي بكر الدهل في الزيدية، وكان يقوم عليها جماعة من بني الشبيلي[6].
- زاوية الولي الكبير عمر بن قاسم البهلول في قرية المحال، وكان يقوم عليها جماعة من بني البهلول[7].

وقد كانت تلك الزوايا إلى جانب دورها العلمي والثقافي تمارس دوراً اجتماعياً وإنسانياً مهماً، يتمثل في (إطعام الطعام وتلقي الزائرين والمسافرين بالإكرام) [8].

---

(1) نفس المصدر، ص 124.

(2)نفس المصدر، ص 126.

(3) هذا الولي. هو حفيد الولي محمد بن حسن حشيبر، وترجمة الوشلي له إضافة جيدة.. فهو رغم قدم زمنه (القرن التاسع) إلا أن أحداً ممن اطلعنا عليهم لم يترجم له.. وقد أورد المقحفي محقق كتاب (نشر الثناء الحسن) في الحاشية أنه قرأ في هامش النسخة التي حققها أن (بحر الدجرا) اسم قرية بجهة عرج، قرب البحر، نسب إليها ذلك الولي بسكناه بها

(4) نفس المصدر، ص 128.

(5) نفس المصدر، ص 127.

(6)نفس المصدر، ص 140.

(7)نفس المصدر، ص 129.

(8) نفس المصدر، ص 127.

يهتم الوشلي بذكر الألقاب العائلية الفرعية لبيوت الأسرة الحشيبرية ومواضع سكناها، من أمثلة ذلك:

- بنو المشعف (في دير المشعف).
- بنو عسلة (في دير عسلة).
- بنو المعافا (في القرية).
- بنو البهلول (في المحال).
- بنو حمادة، بنو هاشم، بنو الطويل، (قال الوشلي: انتقل جدهم من بيت الفقيه الأيمن وسكن في قراهم المشهورة في قرى الحشابرة يماني بلاد الجرابح).
- بنو المدني
- بنو المشلا (في الزيدية).
- بنو القصير (في الزيدية).
- بنو الملاح (في الزيدية).
- بنو نميص (في الزيدية).
- بنو الناخوذة (في الزيدية).
- بنو زقنة (في الزيدية).
- بنو المعلم (في الزيدية).
- بنو الخليل (في محل الخليل شرقي الزيدية).
- بنو الشبيلي (في بلاد العطاوية وفي الزيدية، وفي الحريقية).
- بنو الحظا (في الضحي).
- بنو الدهل (في اللحية).
- بنو حربان (في المنيرة) (قال إنهم فرع من بني عجلان الحشيبريين).
- بنو عبد (في المنيرة، وفي دير عبد ببلاد الزعلية).

- بنو الأخرش (في دير الأخرش ببلاد الزعلية) [(1)].

ويذكر الوشلي أن بيت الفقيه ابن حشيبر تنسب إلى الولي مُحَّد بن عمر حشيبر وأنها هي نفسها التي تعرف اليوم في بلاد الحشابرة بـ(القرية) وأن قبره بها وقبور ذريته وأهله، مشهورة، مقصودة للزيارة والتبرك، وهو يؤكد على ذلك مراراً وتكراراً[(2)]، وهذا لا يخالف ما وقر في أذهان كثير من المؤرخين الذين مررنا بهم مثل (العيدروس صاحب النور السافر، والمحبي صاحب خلاصة الأثر، وابن الديبع صاحب بغية المستفيد والفضل المزيد) من أن الزيدية هي أيضاً بيت الفقيه ابن حشيبر وقد صارت تعرف بذلك منذ القرن الحادي عشر وقد مربنا سابقاً أنه في زمن المؤرخ البحر كان التمييز بينهما يتم عن طريق إضافة الجهة فيقال (بيت الفقيه بن حشيبر الأيمن) لقرية الحشابرة الأم و(بيت الفقيه بن حشيبر الأشيم) لمدينة الزيدية [(3)].التي سنجدها فيما بعد تترسخ باسم بيت الفقيه الزيدية في مؤلفات مؤرخي الدولة القاسمية الذين ازدهرت مؤلفاتهم في صنعاء وما جاورها بدءاً من اشتداد أوار حروب مؤسس تلك الدولة ضد الأتراك العثمانيين قبيل منتصف القرن الحادي عشر، نجد ذلك مثلاً في (تحفة الأسماع والأبصار)للمطهر بن مُحَّد الجرموزي (ت1077هـ/1666م) حيث يقول في أحداث شهر محرم سنة خمس وخمسين بعد الألف(فبراير1645م) (فأرسل مولانا مُحَّد بن الحسن الشيخ مُحَّد بن ناصر المحبشي لولاية مدينة زبيد وما إليها، وأن تبقى للسيد علي بن هاشم ولاية بيت الفقيه أحمد بن عجيل وولايته بيت الفقيه الزيدية وساير تهامة)[4]، كذلك نجده عند المؤرخ أحمد بن مُحَّد الشرفي (ت 1055هـ/ 1645م) في كتابه (اللآلي المضيّة في أخبار أئمة الزيدية) حيث يقول

([1]) المصدر نفسه، الفصل الخاص بالحشابرة، ص 122-142. إضافة إلى ص 92، 114، 119.

(2) انظر مثلاً ص 123، 132، من المصدر نفسه.

([3]) انظرأيضا العيدروس في النور السافر وعنه أخذ ابن العماد الحنبلي في(شذرات الذهب) وعنهما أخذ المحبي في (خلاصة الأثر) حيث تم الخلط بين بيتي الفقيهين الحشيبرين –قرية بني حشيبر الأم – وبيت الفقيه بن حشيبر (الزيدية) التي ورثت أبيات حسين وازدهرت بعدها، ربما حدث هذا الخلط بسبب مركزية بني حشيبر، فما يجب أن يكون مفهوماً هو أن الزيدية التي تسمت فيما بعد باسم الزيديين نسبة الى زيد بن ذؤال (المعروفة بصليل اليوم)، نشأت أصلاً حول ضريح الولي ذهل بن إبراهيم بن حشيبر.

([4]) تحفة الأسماع والأبصار، عبدالحكيم عبدالمجيد الهجري نسخة الكترونية، المكتبة الزيدية ص 283

في سياق ترجمته للإمام أحمد بن الحسين (كانت في وقته –عليه السلام– أبو الغيث بن جميل من نواحي بيت الفقيه الزيدية بتهامة)[1] وعلى نفس المنوال سنجدها ترد في مؤلفات أخرى مثل (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) للمؤرخ يحيى بن الحسين (ت 1099هـ)، ومثل (مطلع البدور ومجمع البحور) للمؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال (ت1092هـ/1681م) وغيرهم.

نعود من هذا الاستطراد إلى الوشلي الذي يقدم لنا أيضاً معلومة أخرى مخالفة لكل ما جاء في كتب سابقيه، وهي أن أحمد بن عمر الحشيبري والد الولي الشهير علي بن أحمد حشيبر هو الولي المعروف بـ(صاحب الغصن) [(2)] شرق القناوص في بلاد بني عويدان، نفس المعلومة يؤكد عليها مرة أخرى في سياق ترجمته للولي عمر بن أحمد الحشيبري (ت 1300هـ تقريباً) [(3)] في حين تذكر الكتب التي سبقت وعلى رأسها (تحفة الزمن) و(طبقات الخواص) وغيرها أن (صاحب الغصن) هو الولي الشهير مُحَّمد بن عبد الله المؤذن تلميذ الولي مُحَّمد بن عمر حشيبر، وشيخ الملك المجاهد السلطان الرسولي (722-764هـ) وأحد الأولياء العشرة الكبار الذين ذكرهم الإمام اليافعي في منامه الشهير.

إضافة أخرى يقدمها الوشلي، فكتاب الولي الكبير مُحَّمد بن عمر حشيبر الذي توره لنا المصادر التاريخية باسم (منثور الحكم) يورده الوشلي بزيادة هكذا: (منثور الحكم في علوم الحقائق)[4].

وفي ترجمته للولي أبي بكر بن إبراهيم حشيبر الملقب بـ(الدهل) (ت 802 أو 803هـ) يضيف أنه (صاحب المشهد الأنور بمدينة الزيدية) كما يضيف أن له (الباع الأطول في علمي الظاهر والباطن) وأن (له فيهما مؤلفات)، مضيفاً (لم أقف وقت رقم هذا على أسماء المؤلفات ولا على كمال ترجمته) والوشلي أول من يشير إلى أن للولي الدهل مؤلفات، إذ لم يذكر ذلك أحد ممن

([1]) اللآلي المضية في أخبار الأئمة الزيدية، (القسم الخاص بتاريخ بني رسول وأئمة الزيدية المعاصرين لهم) تحقيق سلوى المؤيد، نسخة الكترونية، المكتبة الزيدية ص 217

(2) نفس المصدر، ص 124.

(3) نفس المصدر، ص 132.

([4]) في النسخة التي حصلت عليها من مكتبة الأحقاف، والتي أنا بصدد نشر تحقيقي لها يرد عنوان الكتاب هكذا (منثور الحكم).

ترجموا له قبله، كما يفيدنا أنه كان شاعراً، وهو يورد له نصاً شعرياً قدم له بقوله: (ومما ينسب إلى صاحب الترجمة هذه الأبيات):

على الصمت دم ما دام روحك في — الجسد وفر من الناس الفرار من الأسد

ولا تحسبن الخلق يملك غير ما — قضى الله شيئاً، فهو أخبث معتقد

ولا تحتفل بالمدح والذم واحتمل — أذاهم بلا غل عليهم ولا حسد

تسلّ فلا والله تنجو من الأذى — ولا قد نجا ممن على ظهرها أحد

وهل ملك أو صالح قد وقي الأذى — وأي لسان لم تضر وأي يد

خذ النصح واعلم أن صبرك ساعة — على ما ذكرنا بعده راحة الأبد) (1)

وثمة حشيبري تجاهلته المصادر التاريخية التي استعرضناها فيما سلف، ذلك هو الفقيه عمر بن علي معافا حشيبر، وقد ذكره في سياق ترجمة الفقيه العلَّامة المحدِّث الشاعر مُحَّد بن أبي بكر الأشخر(945-991هـ)، ولم يذكر لنا الوشلي أي معلومات عنه غير أن الأشخر درس علي يديه النحو والفقه، لكنا نستدل على مكانة الرجل وأهميته من طريقة تعامله مع تلميذه الأشخر الذي كان من عجائب الزمان في القرن العاشر الهجري، فقد استشف الحشيبري ذكاء تلميذه وعبقريته منذ صغره، فراح يحتفي به ويعامله معاملة العلماء الكبار، وينقل الوشلي عن الخلي أنه كانت للحشيبري مع تلميذه الأشخر (حكايات عجيبه تدل على براعته وجودة فهمه). وهو يورد لنا ثلاثا من تلك الحكايات مروية على لسان الأشخر، الأولى: أنه قال كنت كثير المطالعة والمذاكرة له بماحفظته، فكنت أورد عليه مسألة مسألة، فكان يعجبه ذلك مني، وكان امرءًا يعظِّم الفائدة، وكان يذكرني عند بعض من يحضره، مما تفرّسه مني، مما لا أحب ذكره لما فيه من الثناء على النفس إذ هو الصدق القبيح.

---

(1) الاقتباسات السابقة من نفس المصدر، ص 124، 125، 126.

الثانية: أني كنت أصلي خلفه الظهر، أنا وجماعة، وإلى جانبي آخر من الطلبة، فمر هرّ بين أيدينا فحمله على ظهر رجله ثم ألقاه، فلما سلمت، قلت له أعد، قال: لم ؟ قلت لأنك حملت الهر ومنقذه وغيره نجس، فقال لي: فيه نظر، فضحكت، فسألني الشيخ عن السبب فأخبرته، فتبسم ثم قال لي: قل له: في النظر نظر، ثم أمره بالإعادة.

الثالثة: أنه استأذنني في كتب شهادتي في مسطور وقال لي: وإن كنت صبيّاً فلعلك تودي بعد الكمال، فقال له بعض الحاضرين على جهة المزح: كيف تكتب شهادته وقد لقيني يأكل اليوم في السوق كباناً، فقال لي: ما تقول ؟ فقلت: إذا كان الصبي لا يأثم بارتكاب أكبر الكبائر إجماعاً فما الظن بخارم المروءة، على أن هذا إنما هو مجرد تحمل، وقد سمعت بصحته في نحو الصبي فكيف لا يصح مع خارم المروءة، قال: فضحكا معاً تعجباً وقبّل ذلك الرجل رأسي.[1]

(1) نفس المصدر ص 146، 147، وثمة ارتباط كبير بين الأسرتين الحشيبرية والأشخرية، فهما تتداخلان في مواطن السكنى، والولي الكبير محمد بن علي الأشخر المتوفى سنة 818هـ مدفون في دير عمر من بلاد الحشابرة ذكر ذلك الوشلي مج 2 ص 149، قال وبقي الآن جماعة من بني الأشخر يسكنون بجهة بلاد صليل في محل ينسب إليهم وبعضهم في دير عمر من بلاد الحشابرة وهو المحل الذي به مشهد الشيخ محمد بن علي الأشخر (نفسه) وقد أرسل لي الصديق بكاري الأشخر صورة ضريحه في دير عمر بتاريخ 8 يوليو 2017م

الأنوار في أهل الأسرار

إضافة إلى ذلك كله سيمدنا الوشلي بعديد النصوص الشعرية التي قالها غير واحد من شعراء وعلماء البلاد في مديح الحشيبريين، ورثاء أعلامهم من العلماء والأولياء، والتأكيد على مكانتهم الكبرى في قلوب الناس.

في المدة المشار إليها –أعني المدة التي اختص الوشلي بالتاريخ لها، وهي الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين سنقف على ذروتين من ذرى البيت الحشيبري جمعتا بين العلم والولاية، وهما: الولي الكبير إبراهيم بن حسن جيلان الحشيبري (ت 1268هـ) وهو مدفون في تربة الولي أحمد بن عجيل[1]، انتقل جده حسن من مدينة الزيدية إلى بيت الفقيه بن عجيل أوائل القرن الثالث عشر، ونسبه يرجع إلى الولي موسى بن مُحَمَّد بن عمر الحشيبري المشهور بمسير الشوك، وصف الوشلي إبراهيم بن حسن بـ(الولي الشهير القطب المكاشف بأسرار الغيوب، كبير الشأن) ويقول أيضاً: (إنه كان من أولياء الله الكبار، صاحب كرامات ظاهرة، وإشارات باهرة، أشهر من نار على علم، كثير العبادة والتلاوة لكتاب الله الكريم، يحفظه عن ظهر قلب، وكان ورده كل يوم تلاوة جميع القرآن، وقراءة كتاب (الدلائل في الصلاة على النبي) للإمام الجزولي) [(2)] إضافة إلى خروجه كل ليلة لزيارة ضريح الولي الكبير أحمد بن موسى عجيل[(3)].

وفيما يذكره الوشلي عنه نلاحظ تناصاً بين سيرته وكراماته، وسيرة وكرامات الولي الشهير مُحَمَّد بن يعقوب الشهير بأبي حربة (ت 724هـ) فقد وقعت أذية –حسب تعبير الوشلي- (من الباشا صبري (الحاكم المصري للمنطقة إبان ذاك) على السيد العلَّامة مُحَمَّد بن عبد الباري الأهدل

([1]) نفسه ص 135

([2])الاقتباسات السابقة من نفس المصدر، ص 135.

([3])نفس المصدر، نفس الصفحة.

وإخوته، فاستغاثوا بإبراهيم بن حسن بن جيلان الحشيبري، وأرسلوا إليه رسولاً يبلغه استنجادهم به، فلما وصل إليه الرسول كوشف بما أرسل به قبل أن يخاطبه، فقال: (سادتنا ما يقدرون عليه، يرسلون إلى خادمهم الفقير الذليل، فلو اجتمعوا عليه وقالوا كما قال أبو حربة مُحَّد بن يعقوب هكذا، وأشار بإصبعه السبابة نحو القبلة إلى الجهة التي فيها الباشا، فرآها الرسول تقطر دماً، وفي ذلك الوقت مات الباشا) [1].

مجابهاته للمتسلطين والظلمة ربما كانت من أسباب محاولة هؤلاء مضايقته، فاتهموه بأنه لا يصلي الجمعة، جراء تلك التهم الكيدية قبض عليه أيام الشريف الحسين بن علي (من الأشراف آل خيرات الذين كانوا يحكمون تهامة آنذاك، ت 1273هـ) وحبس وقيد ولكنه كعادته استطاع أن يفهمهم ويكف أذاهم عنه بخارقة من خوارقه التي اعتادوها منه، ، ولعل جزءاً من الإنكار عليه كان السبب فيه كثرة الخوارق التي يأتي بها من كرامات ومكاشفات، لم تستطع عقولهم استيعابها، مضافاً إليها حالات الجذب التي كانت تنتابه، وهي حالة لازمته بشدة قبل أن يموت.

هناك تناصات بين كرامات أخرى له وكرامات الولي الشهير مُحَّد بن حسين البجلي (621هـ) فقد كان نائماً في مسجد المشرع ببيت الفقيه -كما يذكر الوشلي- وإلى جانبه اثنان من الجبرت، يقرآن القرآن، (إذ جاء اثنان فوقفا عليهم وقال أحدهما للآخر: هذان أو هذا؟ وهو يسمع كلامهم، فأجاب عليه الآخر بأن هذين ممتحنان، ولكن هذا، ثم ألقيا في فمه شيئاً وطارا من عنده، فكان ذلك مفتاح السعادة) [2].

([1]) نفس المصدر، ص 135، 136، وهو يشبه ما فعله الفقيه محمد بن يعقوب الشهير بأبي حربة (ت 724هـ) وكان من كبار العارفين، وسمي بأبي حربة لقتله بعض الظلمة بإشارته إليه بإصبعه المباركة، فشبهت بالحربة، تحفة الزمن، ج2، ص 88، وقد ذكر هذه الكرامة كثير من المؤرخين وكتَّاب التراجم والطبقات، مثل: الشرجي في طبقات الخواص، واليافعي في مرآة الجنان وغيرهم.

([2]) نفس المصدر، ص 136، جاء في طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، لأحمد بن عبد اللطيف الشرجي أن الفقيه محمد بن حسين البجلي (كان في بدايته يقرأ على الفقيه إبراهيم بن زكريا (أحد الفقهاء الكبار في القرن السادس الهجري) فاتفق أنه مرض فلم ينتظره أصحابه الذين زاملوه في القراءة، فلما عوفي ذهب إلى بلد شيخه هو وأخوه الفقيه علي (بن حسين البجلي) وكان صحبه ليستمع منه القراءة، فلما حمي عليهما النهار عدلا إلى ظل شجرة، فنام الفقيه محمد، فجاء طائر فجعل فمه (منقاره) في فمه، وجعل يصب فيه شيئاً له رائحة طيبة، وأخوه ينظر إليه، فلما استيقظ

وتناص بين منام له والمنام الشهير للإمام عبد الله بن أسعد اليافعي (ت 768هـ) فقد قرر اليافعي زيارة النبي ﷺ، وقبل دخول المدينة رآه في المنام يأمره بزيارة عشرة من أولياء اليمن كما هو معروف[1].

أما الولي إبراهيم بن حسن جيلان فقد رأى النبي ﷺ يأمره بزيارة السيد حاتم الأهدل (1013هـ) صاحب المخا، فزاره وبقي هناك أربعة أشهر، لم يستطع خلالها العودة إلى بيت الفقيه، لأنه كان ينتظر إشارة بإذن من السيد حاتم الأهدل، حتى رأى في المنام الفقيه أحمد بن موسى

الفقيه (محمد) قال لأخيه: ارجع بنا، فرجعا إلى بلدهما، فاتفق أن مرض الفقيه محمد بعد ذلك، فوصل إلى شيخه الفقيه إبراهيم (بن زكريا) يزوره في جماعة من الدرسة، وألقى عليه الفقيه إبراهيم عدة مسائل، فأجاب عنها جواباً شافياً، فقال له: يا فقيه محمد هذا علم أعطيته، ليس هذا من القراءة، ثم فتح الله عليه بعد ذلك بمعرفة تامة في دقائق العلوم، وكان له في الحقائق مصنَّف سماه (اللباب)، ص 267-268.

([1]) أورد الشرجي في طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص في سياق ترجمته لليافعي، ص 173: (يروى أنه لما قصد المدينة لزيارة النبي ﷺ قال: لا أدخل المدينة حتى يأذن لي النبي ﷺ، فوقفت على باب المدينة أربعة عشر يوماً فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: يا عبد الله أنا في الدنيا نبيك، وفي الآخرة شفيعك، وفي الجنة رفيقك، واعلم أن في اليمن عشرة من زارهم فقد زارني، ومن جفاهم فقد جفاني، فقلت: ومن هم يا رسول الله؟

قال: خمسة من الأحياء، وخمسة من الأموات، فقلت: من الأحياء؟

فقال: الشيخ علي الطوشي، صاحب حلي، والشيخ منصور بن جعدار صاحب حرض، ومحمد بن عبد الله المؤذن، صاحب منصورة المهجم، والفقيه عمر بن علي الزيلعي، صاحب السلامة، والشيخ محمد بن عمر النهاري، صاحب برع، والأموات أبو الغيث بن جميل، والفقيه إسماعيل الحضرمي، والفقيه أحمد بن موسى بن عجيل، والشيخ محمد بن أبي بكر الحكمين والفقيه محمد بن حسين البجلي.

قال: فخرجت في طلب القوم وليس الخبر كالمعاينة، ومن شك فقد أشرك، فأتيت الأحياء فحدثوني، وأتيت الأموات فحدثوني، فلما أتيت الشيخ محمد النهاري قال: مرحباً برسول رسول الله ﷺ، فقلت له: بم نلت هذا؟

فقال: قال الله عز وجل: {واتقوا الله ويعلمكم الله} فأقمت عنده ثلاثة أيام ثم انصرفت إلى مدينة النبي ﷺ، فوقفت على بابها أربعة عشر يوماً أيضاً، فرأيته ﷺ فقال: زرت العشرة؟

فقلت: نعم، إلا أنك أثنيت على أبي الغيث بن جميل، فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال: أبو الغيث غدا أهل من لا أهل له.

فقلت: أتأذن لي بالدخول؟

فقال: ادخل إنك من الآمنين، انتهى.

عجيل يشفع له عند السيد حاتم الأهدل فيسمح له بالخروج من المخا([1]، ويبدو أن حالاته هذه كانت تستلفت الأنظار إليه كثيراً في بيئة ذهنية كانت تحتفي بثقافة الخوارق من كرامات ومكاشفات ومنامات حفاوة بالغة، فعند خروجه من المخا تلقاه شيخ الإسلام عبد الرحمن بن سليمان الأهدل (ت 1258هـ) إلى موشج (قرية على ساحل البحر الأحمر جنوب مدينة الخوخة)[2]،

ومن المكاشفات التي رواها عنه الوشلي تنبؤه بموت السلطان، وقد كتب ذلك إلى العلّامة عبد الله بن إبراهيم الأهدل (ت 1263هـ) -أحد سادات المنيرة- في قطعة من خزف، وبعد مدة وصل الخبر بما تنبأ به[3]،

وله قصائد في مديح الولي أحمد بن موسى عجيل وابنه يحيى من مثل قوله:

يا إمامان فؤادي خرب، فعليكم يا إمامان البنا

يا إمامان اغسلاني ظاهراً، من ذنوبي طهراني باطنا

يا إمامان فمن حبكما، لم يمت في الظن إلا مؤمنا

يا إمامان أغيثا عاجلاً، أنتما في كل خطب غوثنا

وصلاة الله تغشى المصطفى، ما همى القطر مليا هَتِنا[4]

يذكر الوشلي أيضاً أن مراسلات مشتملة على معارف وإشارات ولطائف (صوفية) كانت بين الولي إبراهيم بن حسن جيلان الحشيبري والعلّامة الشاعر أحمد بن عبد الرحمن صائم الدهر (ت 1267هـ) وهو - مع الأسف الشديد - لم يورد لنا من تلك المراسلات إلا قصيدة حافلة بالإشارات، أرسلها إليه صائم الدهر نصها:

([1]) نشر الثناء الحسن مج 2 ص 136

([2]) نفس المصدر ص 136

([3]) نفسه

([4]) نفس المصدر ص136،137

عبـد الإسـاءة واقـف بالبـاب، متـذللاً ومقبّـل الأعتـاب
يبكى الدموع دماً على ما قد جنى، منـه ويخشـى مـن ألـيم عقـاب
يرجو النجاة وليس يعمل صالحاً، ويـروم بالتخلـيص حسـن مـآب
كيـف الخـلاص ولم يكـن في، فعله حسن وليس له جزيل ثواب
إذ قـد ثـوى في قلبـه وفـؤاده، حـب الخليفـة سـيد الأقطـاب
فـرد الوجـود وغـوث أهـل زمانـه، وإمـام حضـرة زمـرة الأحبـاب
إنسـان عـين العـين في الأعيـان، بل هو لب لب اللب في الألباب
مـولاي إبـراهيم إني خـائف، في الحشـر أعطى بالشمال كتابي
مـولاي إبـراهيم بحـرك إن طمـا، غسل الذنوب فليس يظهر عابي
مـولاي إبـراهيم جئتـك عاصـياً، فقبلتـني فضـلا بغـير ثـواب
مولاي إبراهيم إنَّ لنا أخا أغناه حبكمـوا عـن الأسـباب
مـولاي إبـراهيم وهـو محمَّد مـن حـاز عـنكم أشـرف الآداب
مـولاي إبـراهيم هـل مـن جذبـة للقلـب ترفـع عنـه كـل حجـاب
مـولاي إبـراهيم هـل مـن شـربة جلـت عـن الكاسـات والأكـواب
مـولاي إبـراهيم هـل مـن توبـة، مـن فضـلكم تأتي مـن التـواب
مـولاي إبـراهيم هـل مـن نظـرة أنجـو بهـا يا صـاحب المشـباب
مـولاي إبـراهيم أفقـك قـد سمـا، فمـتى يكـن منـه طلـوع شـهابي
ثم الصـلاة علـى النـبي المجتـبى، والآل والأصـحاب والنـواب
وعلـيهم أزكـى سـلام ماشـدا، الشـادي فأحيا كل قلب صابي[1]

([1]) نفس المصدر ص137

والقصيدة فوق كونها تحفل بالإشارات الصوفية العميقة، تتدفق عاطفة وحلاوة وتشي بمقدار المكانة التي كانت لهذا الولي الحشيبري عند أهل زمانه، وابن صايم الدهر في أحد أبياتها يماثل بينه وبين شمس الشموس أبي الغيث بن جميل، وذلك حين يخاطبه بقوله:

مولاي إبراهيم هل من نظرة أنجو بها يا صاحب المشباب

أي يا حامي الديار والبلاد والناس، تشبيها له بالحامي الذي يحمي الزاهيب (الزرع) من العابثين به من طير ودواب وبشر، والإحالة هنا على كلمة أبي الغيث بن جميل الشهيرة حين قتل جنود السلطان أحد أتباعه فقال (ما في الفقير إلا الكبير نزل الحامي من على المشباب)[1]

تعليق الولي إبراهيم بن حسن جيلان الحشيبري على قصيدة ابن صائم الدهر كان كشفيّاً موغلاً في إشاريته. فقد قال إن ابن صايم الدهر سيموت بعد أسبوع، وإنه سيعيش بعده المدة التي عاشتها السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد أبيها، وكانت تلك آخر كشوفاته الخارقة، فقد كان الحال كما قال، وقد رثاه أهم علماء زمانه السيد مُحَّد بن عبد الله الزواك بقصيدة دامعة نصها:

جفـــن يفـــيض بمـــدمع ذراف ... يربـو علـى فـيض الحيـا الوكـاف

لا غـرو إن أجـرى العقيـق مـن المقـا ... حـزناً لفقـد الجـوهر الشـفاف

القطـب إبـراهيم غـوث زمانـه ... بـدر الكمـال سـناه لـيس بخـافي

بحـر المعـارف والكرامـات الـتي ... مـا مثلهـا حكيـت عـن الأسـلاف

الطـاهر الأسـرار والظـاهر الأحـوال ... عنـــد موافـــق ومـــواف

ملجـا الـورى عنـد الحـوادث ينجلـي ... عـنهم بدعوتـه دجـى الأسـداف

إن غبـت عـن أبصـارنا يا سـيدي ... فلقـد ثويـت بوسـط كـل شـغاف

لهفـي ومـا لهفـي عليـك بنـافع ... والصبر أحسـن مـن أسـى متـلاف

---

(1) وقد ذكرها المؤرخون بصيغ مختلفة ففي مرآة الجنان وعبرة اليقظان لعبد بن أسعد اليافعي (مالي ولمحراسه أنا أنزل عن أمشباب، وأترك أمزرع) ج4 ص 169، وفي (طبقات الخواص) (نزل الشارح من المشباب) ص 115

سُقياً لقبر قد حواك وحبذا — قبر تضمن درة الأصداف

لا زال قبرك روضة من جنة — سقيت بصوب الوابل الغرَّاف

وكساك رب العرش من رحماته — حللا عليك سوابغ الأطراف

وحباك بالحسنى بأعلى رتبة — والقرب منه غاية الإتحاف[1]

وفي القصيدة تقديس كبير لهذا الرجل وإشادة بمكانته في الولاية، وهو تقديس يكتسب مكانة خاصة حين يصدر من رجل مثل الزواك كان يعد في رتبة كبار المجتهدين من علماء زمانه وهاهو ذا يقول:

مولاي إبراهيم علك ذاكري — والناس في زحف وفي إيجاف

والنار من غيظ على أصحابها — ترمي بكل شرارة كطراف

والأولياء لهم محل نازح — عنها وظلهم ظليل ضاف

فأكون لوّاذاً هناك بظلكم — وأُحف يوم الحشر بالألطاف

وهو يذكِّره بصاحبه ابن صايم الدهر الذي مضى للقاء ربه قبله كما توقع تماماً:

مولاي أحمد قد مضى بدر الدجى — وقضى عليه الدهر بالإكساف

فتعزّ لا شيء يدوم وقد قضى — رب الورى بتفرق الألاّف [2]

أما الذورة الثانية من أعلام بني حشيبر في الفترة المشار إليها، فتتمثل في الفقيه عمر بن أحمد الحشيبري (ت 1300هـ تقريباً) الذي يصفه الوشلي بـ (العلاّمة الولي الأكمل) ويذكر أنه (كان من عباد الله الصالحين، المكاشفين، ذا كرامات وإشارات، جمع الله له بين العلم والعمل والولاية، فكان فقهياً نحوياً فرضياً، مؤثراً للخمول، دائم الفكر والمراقبة لله، كثير الخشية والإخبات

([1]) نفس المصدر ص 138

([2]) كل الاقتباسات السابقة من نشر الثناء الحسن مج2 ص 137،138

والإنابة إلى الله، سريع الدمعة والبكاء من خشية الله، إذ تلى القرآن في الصلاة أو خارجها، أو سمعه من أحد لا يملك نفسه، وكان يحفظ القرآن عن ظهر قلب، وكان مبارك التدريس، إذا قرأ عليه أحدهم فتح عليه) يذكر الوشلي أيضاً أنه (قد نجب على يديه جملة) من طلبة العلم، أشهرهم: المنصب الشهير مُحَمَّد بن يحيى الأهدل (ت 1352هـ) الذي قرأ عليه في الفقه والنحو، وبه تخرج[1]، وأخوه العلَّامة قاسم بن يحيى الأهدل (ت 1297هـ) الذي قرأ عليه أيضاً في الفقه والنحو والأصول، وبه تخرج[2]، والعلَّامة عبد الباري بن مُحَمَّد الأهدل (كان موجوداً عند منتصف القرن الرابع عشر الهجري) [3]. والعلَّامة عبدالله بن مُحَمَّد الأهدل (ت 1312هـ) [4]، والوشلي لا يشبع من التفنن في أوصافه، فهو يقول عنه مرة أخرى: (كان نفع الله به بالغاية القصوى من حسن الاستقامة، والورع، والعفاف، وصدق اللهجة، والزهد، والتقشف، والمجاهدة لنفسه، والإقبال على مولاه، والإعراض عما سواه، رامياً ببصره إلى الأرض، لا يرفع رأسه إلا قليلاً، وأظن أن ذلك حياء من الله تعالى)[5] وقد ذكر الوشلي جملة من جهابذة العلماء، أغلبهم من بيت الأهدل، كانوا شيوخاً له، الوشلي أيضاً يذكره في أكثر من موضع في سياقات ترجمته لعلماء بيت الأهدل بالمنيرة، ويصفه بـ(العارف بالله عز وجل) [6].

ويبدو أن هذا الفقيه كان يمتلك قدرات خارقة، فقد روى الوشلي أنه عندما مات العلَّامة قاسم بن يحيى الأهدل أسف عليه أخوه المنصب الشهير مُحَمَّد بن يحيى الأهدل، (فقال لشيخه الولي الأكمل عمر بن أحمد الحشيبري: أريد أن أرى الصنو قاسماً يقظة، فلما كان ذات ليلة وقت السحر وهما سامران في محل ليس بينهما ثالث رآه الفقيه قائما عند دعامة هناك فأشار الفقيه للسيد(مُحَمَّد بن يحيى الأهدل) بيده يطلب منه النظر إليه فلم يفهم مقصود الفقيه فغاب فلم يشعر السيد إلا بالفقيه

---

(1) نشر الثناء الحسن، مج1، ص 133.

(2) نفس المصدر، ص 154.

(3) نفس المصدر، ص 166.

(4) نفس المصدر، ص 256.

(5) الاقتباسات السابقة، نفس المصدر، ص 130، 131.

(6) نفس المصدر، ص 154.

يبكي بكاء شديدا فسأله عن بكائه فقال له الرجل كان قائما عندنا وأشرت لك لتنظر إليه فلم تفهم إشارتي ، فحينئذ طلب السيد من الفقيه الدعاء بعصمة قلبه والثبات على الصبر فكان ذلك سبباً في التسلي وترك الأسف والحزن عليه) [1] ويبدو أن الأسف على رحيل العلّامة قاسم بن يحيى الأهدل لم يكن يقتصر على أخيه، بل إن شيخه الفقيه عمر بن أحمد الحشيبري كان يعاني من نفس الوله تجاه رحيله، . فالوشلي يذكر أن الفقيه (توجه إلى دير الشبيلي وهي قرية ببلد العطاوية وذلك عند قرب وفاته وبينما هو ذات ليلة يصلي المغرب إذ رأى تلميذه (قاسم بن يحيى الأهدل) بعد موته قائما قبله بذاته وصفته غير أن عليه لباسا من الحرير والذهب لا يشبه لباس الدنيا، وعقب ذلك رجع الفقيه إلى بيته بدير مُحَمَّد من بلد الحشابرة فمرض أياما ومات رحمه الله) [2] ويذكر الوشلي: (من الإشارات المنامية التي رُئيت له، ما رآه تلميذه السيد العلّامة مُحَمَّد بن يحيى الأهدل أنه قال: رأيت شخصاً يقول لي: شيخكم الفقيه عمر ورث مقام المتوسط بين الشيخ أبو الغيث بن جميل (ت 651هـ) والشيخ سود بن الكميت (ت 436هـ) فسأله عن المتوسط، فقال: هو صاحب الغصن أحمد بن عمر الحشيبري) [3].

([1]) نفس المصدر، ص 156.

([2]) نفس المصدر، مج1، ص 156، مج2، ص 132.

([3]) نفس المصدر، ص 132. يبدو من تكرار الإشارة هنا أن أحمد بن عمر الحشيبري والد الولي الكامل علي بن أحمد حشيبر (822هـ) قد مات بجهة القناوص / الغصن، لكنه بالتأكيد ليس صاحب الغصن المشهور محمد بن عبدالله المؤذن، كما وهم الوشلي في غير مكان من كتابه.

علماء وأولياء وشعراء

لا نستطيع أن نأتي بكل من ترجم لهم الوشلي من أعلام البيت الحشيبري ممن عاشوا بين منتصف القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، فهم كثيرون جداً، ولكننا بعد أن أسلفنا الأهم سنذكر منهم من لا يمكن تجاوزه، مثل:

- الولي الكامل عمر بن قاسم الملقَّب بهلول الحشيبري (ت 24 شوال 1286هـ) قال الوشلي: (كان من عباد الله الصالحين، مكاشفاً بكثير من المغيَّبات، وكان يعتريه جذب في بعض الأوقات، وفي أخرى يصحو، وفي أوقات الجذب تجري على لسانه مكاشفات وإشارات فتقع كما ظهرت منه) ويذكر الوشلي أن البهلول (قد ورث هذا المقام من أمه الصالحة سعادة بنت الولي الكبير عمر بن أحمد هبة) الذي شهد له العلَّامة أبو الغيث بن أبي القاسم في (الدَّرة الخطيرة) بـ(القطبية)، ويذكر الوشلي أن الصالحة سعادة الحشيبرية (كانت من عباد الله الصالحين، كثيرة المكاشفات بالأسرار، ولها مشهد تزار ويتبرك بها في قرية المحال) [1].

- والولي مُحَّد بن عمر (ابن البهلول) كان أيضاً: (مجذوباً مستغرقاً في الجذب في غالب أوقاته، وكانت له إشارات وكرامات، كأبيه، وقد شهد الثقات بأنه كان يرمي نفسه في البير العميقة ثم عقب ذلك يرى خارجها، ما زال على حاله هذا إلى أن توفي رحمه الله) [2].

- الفقيه العلَّامة الشاعر مُحَّد بن إبراهيم الحشيبري (1290 -1341هـ، 1873-1922م) ولد في قرية المحال في بلاد الحشابرة (وتوفي في مدينة صبيا عاصمة الإدريسي وقتذاك، ، قضى حياته، متنقلاً لطلب العلم ثم للتعليم، فقد أخذ علومه الأولى في قريته ثم ارتحل إلى مدينة

---

(1) الاقتباسات السابقة، نفس المصدر، 128.

(2) الاقتباسات السابقة، نفس المصدر، ص 128، 129.

المراوعة حيث درس على بعض كبار علمائها، وتخرج على شيخه مُحَمَّد بن عبدالرحمن الأهدل، كما درس على آخرين مثل حمزة بن عبدالرحمن، ، ومُحَمَّد طاهر الأهدل وعلي باري عبدالرحمن وحسن معوضة، وتصدر للتدريس في جامع مدينة مور، كما كان خطيبًا فيه[1]. ترجم له الوشلي رغم أنه كان شاباً وقتها، ولكن مزاياه العلمية والثقافية وصلاحه وصفاته الخلقية فرضته على كتاب الوشلي، الذي يقول عنه (إنه حفظ القرآن عن ظهر قلب مع التجويد وحسن الأداء والتلاوة) ودرس على مجموعة من كبار علماء زمانه، الفقه والنحو وأصول الدين والمعاني والبيان، والقوافي والفرائض والحساب، وأنه لفرط (ذكائه وفهمه أدرك في كل فن إدراكاً نافعاً حتى صار مشاركاً في أكثر الفنون) إلى جانب ذلك كان شاعراً مبدعاً ومسمعاً باذخ الصوت، وهذا ما جعل الناس يتهافتون عليه، وما سهَّل اتصاله بالحكام خاصة الإمام الإدريسي الذي كان ممدوحه الأول. وكان في شعره يعرب عن اعتقاده بأن الإدريسي هو المهدي المنتظر، كما في هذا النص الذي أورده له الوشلي:

أبــدرُ أُفْـقٍ بــدا فــي اللـــيل، إذ دَهَمَــا   أم الــمُحَيّا بــدا فــي مـــــرسلٍ فَحِمَــا

وذا هـــلالٌ ببــــدرٍ زاد جوهــــــرهُ   أم ابتســـامةُ ذي ظلْــمٍ بـــه ابتسمـــا

أم بــارقٌ قــد ســرى مــن نحــو بـــارقةٍ   ومــاء عينــي بــه قــد صــار منسَجِمــا

أحييــتُ إذ شِمْتُــه لــو نلــت وصْلـــتَهُ   وهـل لصـبٍّ صبـا فـي حـاله رُحمـــا

ومـذ تـنسَّمت نشـرًا للحمـــى فَحَمَـا   عينــي كراهــا ادِّكــاري للــذي صرَمــا

قـد شفَّ جسمي وأضنـــاه وضنَّ جَفَا   بِوَصْـلهِ وجَـوَى قلبــي وقـــــد كُلِمَــا

وقسَّـم القلــب أقســــامًا فأقســم أنْ   لـو كـان مـن قسَمـي مـا زادني سَقَمــا

([1]) بتصرف من (معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين) http://www.almoajam.org/poet_details.php?id = 5741 الشكر هنا للأستاذ المؤرخ علي إبراهيم العقيلي الذي راسلني على الفيس بتاريخ 15 /6 / 2017م ولفت انتباهي إلى مصادر أخرى تتعلق بالشاعر وقد حفزتني تلك المراسلات إلى توسيع ماكنت قد كتبته عنه

يَسْبي العقول بسحر المقلتين فما جازت رميَّتهُ إلا وقد هَضَما

يرمي له غرةٌ ظَلْمًا فيأسرها كأسر ذي العدل فتكًا بالذي ظلما

محمد القائم المهدي بشرعةِ مَن كانت له أمّةٌ قد فاقت الأمما

من جاء باليُمن والإيمان وانتشرت آياته لم تفت عُرْبًا ولا عَجَما

هذا الذي في صلاح الدين مجتهدٌ في أمره ما وَنَى عنهُ ولا سَئِما

هذا الذي جاءنا والأرض قد مُلئت جَورًا وقد صار ليل الظُّلم منبهما

فعاد يملؤها عدلاً كما مُلِئت جورًا فحمدًا لمن أَوْلى به النِّعما

هذا الذي عمّ جودًا فضلهُ فسرى كالبحرِ حين طمى والغيثِ حين همى

هذا الذي أَوْحُشُ البيداءِ أَدَّبَها لم تعدُ عن حُكْمهِ فيما به حكما

هذا معاليهِ لا تُحصَى ظواهرُها كيف الخفايا فذِكري بعضُ ما فُهِما

عليك بالميم يا ذا اللُّب فابتَغِهِ فإن بالميم للشيطان قد رُجِما

فثِقْ به إن تُرِدِ فوزًا ومغفرةً فإن تابعَهُ من نارها سَلِما

يا سيّدي يا صفيّ الدين خذ بيدي وأولِني منك ما أمَّلْتُه كَرَما

محمّدٌ نجلُ إبراهيم خادمُكم يرجو شفاعتكم من أرحم الرُّحَمَا[1]

كذلك أورد له الوشلي نصاً آخر في مدح الإمام الإدريسي يقول فيه:

سرى برق نجدٍ فاستضاءت سواحلُهْ ومن نحو صَبْيَا قد بَدَرْنَ زواجلُهْ

فأعجِبْ له من ضاحكٍ قد بَكَت لهُ سواكبُ مُزْنٍ قد هَطَلن هواطلُه

([1]) الاقتباسات السابقة، من نفس نشر الثناء الحسن، ص 129، 130.

فحرَّك شوقي لاعجًا في جوانحي   وهيَّم قلبًا هيَّجته بلابلُه
فَأَغْنِيَ بذا المومَى إليه محمّدًا   ومَن جدُّه أومَت إليهِ دلائلُه
بنصّ حديثٍ والكتابِ مفصَّلا   له شَمَلت رمزًا إليه فواصله
له قد غدا خضرٌ خليلاً مُرَبّيا   وقد نال منهُ كل ما هو نائله
فشكرًا لمن أسدى وأولى ولاءَه   لنا عَمَّنا بالعدل والجود نائله
فنحن به نعلو على الغير مُجْمَلاً   فما انجملت آياتُه وجمائِلُه
كفصل خطابٍ شِيمَةٌ نبويّةٌ   لقد عَسَلت أخلاقُه وشمائله
فأحيا منارَ الدين من بعد موتهِ   وإن كان قِدْمًا قد ندبن حلائله
وضاعت حدود الله والبغيُ قد فشا   وغاضَ ذوو رأيٍ كما فاض جاهله
فصار به الإيمان والأمن عائدًا   قويّاً متينًا واستتبَّت قبائله
ودُمِّرَ طاغوتٌ وإبليس بائسٌ   طنابيرُه قد كُسَّرت وجلاجِله
وغُلَّت يداهُ بعدما جال هادرًا   شقائقُهُ قد مُزِّقت وجحافله
فمن يتفرّس ذا فأهلُ بصيرةٍ   أواخرُهُ تنبيك عنها أوائله
سيأتيك بالأخبار من لم تعُدّهُ   وتبدي لك الأيام ما أنت جاهله
فمن كان لا يدري سيعلم في غدٍ   حقيقة هذا حيث سُمَّت مناهله
أقولُ ولم أَنْظره قبل منافقٌ   منافيه من تخشى عليه غوائله
فيا فوزَ من قد شاهد الوجه وارتوى   من النّور أو شُدَّت إليهِ رواحله
وسحقًا لمن لا يستظلُّ بظلِّهِ   وأضحى يعاديه وصار يقاتله

وإن عــاف قــومٌ هديــــــهُ لضــلالةٍ فقــلْ إن تعافــوا العــدل نــارٌ قــواتِله

فيــا ربّنــا أتــمِمْ لنــا نورَنــا عــلى صــراطٍ مبيــنٍ لا شكـــــوكَ تداخِلــه

فيــا ليــت شعــري هــل أزور محـــمّدًا وقــد زيــح عــن قلبــي المُعنَّى شــواغِله؟!)1

والنصان السابقان بمقدار ما يشهدان على قوة اعتقاد الشاعر بالإمام الإدريسي، فإنهما أيضاً يقدمان لنا شاعراً من طراز رفيع، يمتلك اللغة ويعرف كيف يستعملها، ويبدع بشكل يجعلنا نأسف لعدم توافر شعره.

- العلَّامة مُحَّد بن إبراهيم الحشيبري (من علماء القرن الثالث عشر) يقول الوشلي إنه (كان من جهابذة العلماء، اشتهر في البندر (الحديدة) بالعلم ودرّس وأفتى، ونجب على يديه كثير من جلة العلماء، وكان متضلعاً من العلوم، جائلاً في ميدان منطوقها والمفهوم، ومات ودفن في الحديدة، والوشلي يعتذر لعدم وقوفه على كمال سيرته، غير أن مكانته رغم هذا القصور تتضح أكثر من خلال القصيدة التي رثاه بها أهم علماء زمانه السيد مُحَّد بن عبد الله الزواك[2].

مــا للرمــوس عــن النفــوس بمعــزل وإلى مـــتى غمراتهـــا لا تنجلـــي

ياضــيعة العمــر النفــيس بغــير مــا يــدني إلى الملــك الكــريم المفضــل

يانفـــس إن الســـابقين إلى العـــلا رحلــوا ويوشــك بعــدهم أن ترحلــي

قصــرت خطــاك عــن اقتفــاء عصــابة وردوا مــن العرفــان أعــذب منهــل

قـــوم قلـــوبهم صـــفت لـــوليهم وتبـــوّؤوا في العـــز أعلـــى منـــزل

هـــم حـــاملو علـــم الشـــريعة والحقيقـــة إن ذا الشـــأن العلـــي

([1]) نشر الثناء الحسن، مج1 ص 167

([2]) نفس المصدر، ص 133.

وهـــمُ نجـــوم الاهتـــداء لســـالك وعلـــومهم أنوارهـــا لم تأفـــل
فلــذاك جلّــت في الــورى أرزاؤهــم إذ لــيس غــيرهم لحــل المشــكل
وإذا العلــوم هــوت نجــوم سمائهــا خــبط الأنام بليــل جهــل أليــل
فلـنحن في زمـن بـه اغـترب الهـدى ومضـى مـن العلمـاء كـل مكمّـل
كمحمّـد أسـفاً ومـن كمحمـد شـيخ الـدروس ومـن لديـه فـتح المقفـل [1]
العــالم العلــم الشــهير ومــن هــو البــدر المنــير وذو المقــام الأكمــل
أعــني ابــن إبــراهيم نجــل حشــيبر أهـل التقـى والعلـم والفضـل الجلـي
مــن جــاء مــنهم يقتفــي أســلافه فــأخيرهم في الفضــل مثــل الأول
هـــذا علـــي فيـــه ســـرّ جـــدوده أكـرم بنجـل ذوي الفخـار الأطـول
صبراً جمال الدين للأقدار إذ فجعت فَجعـت بشـيخ العلـم زيـن المحفـل
فلقـد شـجى نفسـي وأذكـى حزنهـا لمـــا نظـــرت إلى مجـــالس عطّـــل
فـــالله يعظِّـــم أجـــركم وينـــيلكم حســن الخلافــة بعــده فهــو الــولي
وتعــز فــيمن قــد مضــى لســبيله وأتــى إلى الملــك الــذي لم يبخــل
فأحلـــــه رضـــــوانه ونعيمـــــه مـع أهلـه السـلف الكـرام الكمّـل [2]

والقصيدة كما هو ملاحظ تعبر عن مكانة الأسرة من خلال مكانة هذا العلم من أعلامها، وقد استدعى الزواك واحدة من المأثورات الشهيرة في تاريخ الأسرة، وهي إحدى المأثورات المؤسسة لمكانتها حيث لا يكاد يخلو كتاب من الكتب التي ترجمت لهذه الأسرة دون أن تذكرها، أعني قولة

([1]) الوزن هنا مكسور لعل ذلك حدث من استبدال الناسخ لكلمة أولعله قُرأ خطأ من المحقق
([2]) نفس المصدر ص 133

الولي الشهير أبو بكر بن أبي حربة (ت 794هـ) عن الولي الشهير على بن أحمد حشيبر (ت 822هـ) (كل أرباب المناصب خلفهم في بركة سلفهم إلا بني حشيبر فإن سلفهم في بركة خلفهم وهو الفقيه علي بن أحمد) وقد استدعى الزواك تلك المأثورة مع تعديل بسيط لمدلولها في قوله:

من جاء منهم يقتفي أسلافه　　　فأخيرهم في الفضل مثل الأول

الوشلي أيضاً يترجم لمجموعة من فقهاء وصلحاء الصف الثاني -إن جاز التعبير- من مثل القيمين على زاوية الفقيه علي بن أحمد حشيبر في القرية (ممن عاصرهم) ومنهم: الفقيه علي بن عمر نجار (1313هـ) الذي كان خطيب جامع القرية، وإمام الصلاة والمؤذن، الذي يصفه بـ(الصلاح وسلامة الصدر، وحسن الاستقامة وحلاوة الصوت) ثم ابنه مُحَّد بن علي الحشيبري (1320هـ) الذي كان مجتهداً في تلقي العلم، درس على أيدي علماء الحديدة، وتخرج على يد واحد من أعلام أسرته هو الفقيه العلَّامة مُحَّد بن إبراهيم الحشيبري (وكان له في كل علم مسكة صالحة يتوصل بها إلى غيرها) إضافة إلى ذلك (كان حسن الخَلق والخُلق، ذا شارة حسنة، وله صوت حسن إذا تلى القرآن أو أملى الحديث أو شيئاً من الشعر أطرب السامعين) ثم أخوه عمر بن علي الحشيبري، الذي كان ما زال حياً عندما أنهى الوشلي تاريخه[1].

****

(1) الاقتباسات السابقة من نفس المصدر، ص 127.

رجال السند من بني حشيبر

جانب كبير من الاشتغالات العلمية للأسرة الحشيبرية استأثر به علم الحديث، وكان هذا العلم بطبيعة الحال جزءًا من اهتمامات الأسرة التي توزعت على الفقه وعلم الأصول والحديث والتفسير والتصوف والتاريخ والأدب وغيرها من العلوم التي راجت في أزمنة الأسرة المتعاقبة، وفي كتابه (علم الحديث في اليمن وعناية اليمانيين بصحيح البخاري وتراجم رجال سنده)، سيمدنا البروفيسور عبدالله قاسم الوشلي –الذي سار على خطى جده المؤرخ الكبير إسماعيل الوشلي – بمعلومات وفيرة عن المسندين من بني حشيبر، والكتاب في الحقيقة جهد كبير يستحق التقدير والاحترام، ، فهو رحلة طويلة تقع على الورق في (461 صفحة)، أما في الزمن فتبدأ من القرون الأولى للإسلام وتتسع مع الوقت باتساع اشتغال أهل اليمن بالحديث، ثم اتخاذهم تقاليد خاصة بهم في قراءة الصحيحين (صحيح البخاري بشكل أخص) وهي طريقة انفرد بها أهل تهامة وشاركهم فيها إلى حد مّا أهل تعز وعدن، حيث تترادف طقوس قراءة الحديث والعادات المختصة به مع طقوس الرواتب القرآنية والعادات المختصة بها من ابتداءات وختومات ووضعيات خاصة للقراءة وتوجيهها والأغراض المرتجاة منها، وهي أغراض تعبدية وعلمية تحولت بحكم تراكم الأزمنة إلى إرث ثقافي وتراث روحي صار جزءاً من طبيعة المكان وناسه.

وقد غاص البروفيسور الوشلي في بطون المصادر الكثيرة على اختلاف تخصصاتها (تاريخ، تراجم وطبقات، مؤلفات فقهية وحديثية، ، ومتون أسانيد) ناهيك عن التجربة والمعارف الشخصية كونه ينتمي إلى معقل علمي من أهم المعاقل التي تحتفي بموضوع كتابه، إذ هو وريث هذا العلم أباً عن جد، وقد جاء كتابه ليلبي رغبة جارفة عند النخبة العلمية في الزيدية عبَّر عنها شيخه العلَّامة أحمد عامر المتوفى سنة (1334- 1421هـ) حين قال له ذات يوم (لوتكتب لنا تراجم رجال

السند، وتبحث عن الإشكالات التي لم نجد لها حلولاً)[1] يقول الوشلي (فاعتبرت ذلك تكليفاً، ووافق رغبة وهوى سابقاً في نفسي).

يقدم المؤلف جهد الأسرة الحشيبرية في علم الحديث ضمن سياق عام يقدم رديفاتها وجاراتها من أسر العلم في تهامة وسائر أرجاء اليمن، حيث سيتركز نطاق الشغل الأساسي لعلماء هذه الأسرة في الزيدية والمنيرة والضحي وهي المدن الثلاث التي تقع في نطاق حاضنة الحشيبريين الأم، يأتي بعد ذلك امتداد اشتغالاتهم إلى الحديدة وبيت الفقيه والمنصورية وزبيد متثاقفين أو معلِّمين ومتعلمين، ثم تلقيهم وفوداً من علماء صنعاء وما جاورها وعلماء بلدان أخرى كانت تأتي للاستجازة منهم.

والملاحظ أن بروز رجال هذه الأسرة على صفحات علم الحديث وأسانيده قد بدأ في الربع الأخير من القرن العاشر الهجري، حيث سيتواتر تتابع ثلاثة عشر مسنداً من نوابغ هذا البيت بكثافة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، ثم بدرجة أقل في القرن الثالث عشر لتنتهي مشاركتهم الفاعلة فيه في آخر سنة من ذلك القرن بوفاة العلّامة عمر بن أحمد الحشيبري سنة (1300هـ). ولعل مؤلف الكتاب كان يقصد فيما يقصد الأسرة الحشيبرية حين قال بعد أن عدد الأسر المهتمة بالسند في الزيدية، (وقد كاد العلم ينقرض من بعض هذه الأسر فإنّا لله وإنّا إليه راجعون)[2]، وهي نفثة حزينة فيها من نوستالجيا الحنين ما فيها، فثمة صعوبة كبيرة في تقبل تراجع الأسر التي توارثت العلم عن مكانتها، وما قاله الوشلي الحفيد هنا يذكِّرنا بما نقله الوشلي الجد في (نشر الثناء الحسن) من وجادة كتبها العلّامة عبد الرحمن بن عبد الله القديمي (1254-1330هـ) عن بيت المدني، وهم أسرة حشيبرية أنجبت عظماء توقفنا عندهم خلال استعراضنا لكتابي (تحفة الدهر) و(خلاصة الأثر)، وسنتوقف عندهم فيما سيأتي كونهم ساهموا بنصيب وافر في رجال إسناد الحديث، ويبدو أن حديث القديمي عنهم جاء بسبب ضيم نالهم في زمنه، أو بسبب رغبة منهم في

([1]) علم الحديث في اليمن وعناية اليمانيين بصحيح البخاري وتراجم رجال سنده، عبدالله قاسم الوشلي، جامعة صنعاء، ط1 2005م، ص 14

([2]) نفس المصدر ص163

الإشادة بهم بعد تراجع شأنهم إثر تراجع العلم في مقر سكناهم – محل المدني– يقول القديمي (الحمد لله وحده وبعد فإن من بيوت بني حشيبر المشهورة بالعلم والصلاح بيت بني المدني، فإنهم من أحسن بيوت الفقهاء في بني حشيبر، بيت علم وصلاح، وقد ذكر أسلافهم بالعلم والولاية ورواية الحديث والفقه، ولم يزالوا على خير إلى الآن، في بيتهم من يوصف بالخير وإطعام الطعام وإكرام أهل الخير النازلين بهم، ولا يقصِّرون في الصلوات فلهم الاحترام والمزيّة على غيرهم من بقية العوام)

يضيف القديمي (وقد قرر العلماء أن من في أسلافه عالم لا يكافئه من ليس بتلك الصفة ولو تباعد العلم في الأجداد فلذريته الفضيلة في ذلك) مستدلاً بالآية القرآنية (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) وبما ذهب إليه المفسرون في تفسير قول الله تعالى (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) حيث يذكرون أنه ليس الأب المباشر إنما هو الأب التاسع، فعمل الخضر المعروف معهم (بإقامة الجدار لأجل صلاح أبيهم الأبعد) [1]

ما قاله القديمي عن بني المدني هنا يلفتنا إلى المعاناة التي يمكن أن تشعر بها أسر العلم في حالة غروب مجدها، بمقدار ما يلفتنا إلى التعاطف الحميم من كبار علماء الأسر الأخرى تجاه مثل هذه التداعيات، والحقيقة أن غياب أسرة علمية في منظومة كمنظومة أسر العلم في تهامة يشبه ضياع حبة من حبات المسبحة، يؤثر كثيراً على قيمتها، مجموعاً وفرادى. ويخبرها عما يمكن أن ينتظر أبناءها مستقبلاً، وما حدث خلال العقود الستة الماضية لأسر العلم في تهامة أبعد وأشد إيلاماً بكثير مما كان يتصوره القديمي أو غيره.

نعود إلى مساهمة الأسرة الحشيبرية في إسناد الحديث كما يقدمها كتاب الوشلي الحفيد فنجد أن أول البارزين منهم وفاة هو العلّامة يحيى بن أحمد الحشيبري المتوفى سنة (1041هـ)، ولم نكن نعلم عنه فيما عرضناه في الفصول السابقة إلا ماذكره عنه البحر في كتابه (تحفة الدهر) في موضعين، الأول في معرض حديثه عن حادثة أهل الجدار التي وقعت في المنيرة سنة 1031هـ حيث يقول (وأُسر أيضاً معهم الفقيه العارف العلّامة شيخ مشايخنا يحيى بن أحمد الحشيبري، وبنو حشيبر هؤلاء قوم يسكنون الزيدية، علماء أخيار نجباء، فيهم العلماء الأخيار والسادة الأبرار، قل من

([1]) الاقتباسات بتصرف عن نشر الثناء الحسن مصدر سابق مج 2 ص132

يدانيهم في العلم والعمل والصلاح والتقى والخوف والوجل، أكبرهم الفقيه المشار إليه، نِعم العبد الزاهد الأواب، وتلميذه الفقيه النحرير البحر الزاخر الغزير، جمال الدين، بركة المسلمين، مُحَّد بن عمر حشيبري، وتلميذهما شيخنا الصالح القانت الزاهد العابد، العلَّامة الحافظ المحدَّث، نور الدين علي بن أحمد بن الفقيه العلَّامة المقرب أحمد المدني (الحشيبري)، نِعم العبدان الصالحان).

الموضع الثاني عند حديثه عن وفاته حيث يقول (وفي نهار الأربعاء ثامن شعبان منها – يقصد من سنة 1041هـ- توفي الفقيه العلَّامة شيخ مشايخنا، المحدث المحقق، عماد الدين يحيى بن أحمد الحشيبري – هو واحد ممن أسره الأتراك في حادثة الجدار- وهو بقيّة تلامذة الأشخر، وحصل بموته التعب والأسف لعموم نفعه، وكان عبداً صالحاً ورعاً، زاهداً عابداً عديم النظير، نفع الله بعلومه ورحمه رحمة الأبرار)

وهنا تأتي ميزة الإضافات التي يقدمها لنا الدكتور عبدالله قاسم الوشلي، فهو يذكر نقلاً عن (سند العلَّامة مُحَّد بن يحيى الأهدل) نقلاً عن (القاسم بن مُحَّد الأهدل) –تلميذ الحشيبري – وصف عماد الدين يحيى بن أحمد الحشيبري بـ (الإمام الحافظ المتقن الحجة القدوة، خاتمة المحققين المعمَّر ملحق الأحفاد با لأجداد).

ويضيف أنه وجد (في هامش سند السادة بني الأهدل في الزيدية: أنه كان موجوداً في عام (1031هـ) وأنه (كان يسكن الزيدية مع جملة من عشيرته الحشابرة)، ونعرف منه أيضاً أن صاحب (نفحة المندل) العلَّامة أبو بكر ابن أبي القاسم بن أحمد الأهدل قد لقيه (بقرية المنيرة لما وصل فيها وقرأ عليه قطعة من أول شرح الرياض لزكريا الأنصاري، إذ كان معه جزء استصحبه معه واستجاز منه، فأجاز له فيما قرأ وأجيز له، وذكر أنه من تلامذة الأشخر)[1]

وقد كان هذا الحشيبري محوراً من محاور تلقي السند. فعنه تواتر تلقيه في أسانيد أهل الحديث في مدينة الزيدية عبر ستة عشر مسنداً تتابعوا على مدار أربعة قرون أولهم الولي العلَّامة أبوالقاسم بن مُحَّد الأهدل المتوفي(1088هـ)، وآخرهم الدكتور عبدالله قاسم الوشلي نفسه، وهو عند كتابة هذا كان في التاسعة والستين من عمره (ولد 1369 – 1949م).

(1) التنصيصات كلها من كتاب علم الحديث ص 184، 185

يشترك مع العلّامة يحيى بن أحمد سابق الذكر في التلمذة على الأشخر حشيبري آخر هو العلّامة أحمد بن مُحَمَّد المدني الحشيبري، وهذا مع الأسف يكاد يكون مجهولاً، وكنت بعد أن اقتصر البحر على تعريفه بوصفه والد شيخه علي بن أحمد الحشيبري، أتوقع أن أجد ما يغني من المعلومات عنه في (الدُّرة الخطيرة) أو (نشر الثناء الحسن) فلم أجد، ثم كان التوقع أكبر بترجمة له في كتاب (علم الحديث في اليمن) بحكم تخصص الكتاب واعتماده على أسانيد العلماء وتعليقاتهم في حواشي الكتب، لكني وجدته هو أيضاً يعتذر لعدم توافر ما يفيد عنه [1].

وبسند هذا الحشيبري اتصلت أسانيد حشيبريين آخرين، يذكر الوشلي الحفيد منهم العلّامة مُحَمَّد بن عمر الحشيبري المتوفى (1050هـ) أو(1051هـ)، والعلّامة على بن أحمد المدني الحشيبري المتوفى (1058هـ)[2] وقد استوفينا الحديث عنهما في عرضنا لبني حشيبر في كتابي (تحفة الدهر) و(خلاصة الأثر).. ليس فيما كتبه الوشلي الحفيد هنا إضافة تذكر، ومن علي بن أحمد المدني امتد السند إلى حشيبري آخر هو العلّامة شرف الدين اسماعيل بن مُحَمَّد الحشيبري، وهذا من الحشيبريين الذين ظلمهم المؤرخون، غير أن الوشلي الحفيد ينجح في تجميع نتف وردت عنه في مصادر مختلفة ويضمها إلى بعضها من أجل توضيح بعض جوانب صورته، فهو ينقل عن (نشر العرف) لزبارة أنه يعد شيخاً للعلامة الكبير المساوى بن حشيبر (في الفقه والفرائض والحساب)، وهو نقلاً عن (النفس اليماني) للعلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل (يروي عن الفقيه عبدالواحد الحشيبري، عن الفقيه، يحيى ابن أحمد الحشيبري عن الفقيه مُحَمَّد بن أبي بكر الأشخر)، ثم يختم محاولة الترجمة له بالاستدراك على العلّامة مُحَمَّد علي عجلان في تاريخ وفاته مستبعداً أن تكون سنة (1088هـ) كما ذهب عجلان.

غير أن من أهم ماسيسديه لنا كتاب (علم الحديث في اليمن) من جديد عن الأسرة الحشيبرية، هو تلك المعلومات الإضافية المتعلقة بالعلّامة الكبير المساوى بن إبراهيم حشيبر، وهي معلومات تتعلق بمولده وجوانب مختلفة من حياته وتلاميذه تضاف إلى ما أسلفناه عنه نقلاً عن

([1]) نفس المصدر ص 192

([2]) نفسه ص 191، 190

مظانّ أخرى أبرزها (الدَّرة الخطيرة في تاريخ سادات المنيرة)، وأهم تلك الإضافات مانقله الوشلي عن (نشر العرف) لزبارة، وميزة هذا النقل أن مصدره هو العلَّامة الإمام إبراهيم بن مُحَّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (1099 هـ - 1182 هـ / 1687 – 1768م)، وهو واحد من مشاهير العلماء الذين رحلوا إلى المنيرة لأخذ العلم عن هذا الحشيبري.

ومن المعلومات التي يذكرها ابن الأمير عن شيخه المساوى بن حشيبر أنه ولد في شهر رمضان سنة (1096هـ)، وأن مولده كان في دير الحندوب من جهات صليل، وأنه انتقل إلى المنيرة لقراءة القرآن، وبعدها انتقل إلى بيت الفقيه الأيمن، - يقصد قرية الحشابرة الأم – وقرأ على الفقيه اسماعيل بن مُحَّد حشيبر في الفقه والفرائض والحساب، ثم انتقل إلى زبيد سنة (1130 هـ)، وأخذ على الفقيه مُحَّد بن زياد، والفقيه سليمان حميضة في القراءات، وعلى الفقيه عبد الرحمن الذهبي الشامي في العربية، والمنطق، والأصول، وعلى السيد يحيى بن عمر الأهدل في الحديث.

ويذكر أنه استقر بعد ذلك في المنيرة، وأنه – أي ابن الأمير- اجتمع به في المنيرة في المحرَّم سنة (1167هـ)، وقد انكف بصره – عمي- فرآه آية في الصلاح وحفظ القواعد والأدب مع الله، وإصلاح الباطن، ومراعاة حقوق الحق والخلق بما لم يره في غيره [1].

ثم يقول (وقد أخذت عنه صحيح البخاري، ما أرجو به النفع في الحال والمآل، وذلك في محله بالمنيرة في التاريخ المذكور، يعني سنة 1167هـ.)[2]

وعن المساوى روى خلق كثير في علوم شتى ومنه اتصل سند الحديث بمسندين آخرين سيظل اسمه يرد في أسانيدهم ففي الزيدية أخذ عنه العلَّامة أبو القاسم بن عبد الله الأهدل المتوفى (1199هـ)

وفي تراجم رجال الإسناد في مدينة الضحي ستقابلنا مجموعة من الحشيبريين منهم من سبقت الإشارة إلى قلة المعلومات عنهم وانعدامها في المصادر التاريخية مثل العلَّامة أحمد بن مُحَّد المدني الحشيبري المتوفى سنة (1058هـ)، والعلَّامة علي بن مُحَّد بن الصديق الحشيبري الذي يبدو

---

(1) بتصرف عن نفس المصدر ص 188، 189

(2) نفسه ص 189

أنه كان أديباً إلى جانب علمه بالحديث وغيره من العلوم الدينية، إلا أننا سنحظى بمعلومات جيدة عن علم حشيبري مميز من رجال الإسناد هو أحمد بن علي الحشيبري المتوفى سنة (1083هـ)، يقول الوشلي الحفيد (لم أقف له على ترجمة. إلا أن ولده عمر بن أحمد ذكر أنه حفظ القرآن علي يد والده، ثم شرع في الأخذ عليه في الفقه مختصر أبي شجاع، والمنهاج للنووي، وإرشاد ابن المقري، حفظاً وشرحاً، كما ذكر أنه قرأ عليه في النحو والتفسير والمواريث، وسَمِعَ عليه صحيح البخاري ومسلم مراراً بقراءته عليه، وقراءة غيره عليه وغير ذلك من السنن، وفي السيرة وغيرها)

يعلِّق الوشلي على ما سبق قائلاً: (وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه كان عالما كبيراً في العلوم الشرعية)، ثم يعود للنقل عن ابنه عمر (كما ذكر أنه أخذ عليه علماء آخرون منهم صدقة الله بن سليمان بن صدقة المليباري) ويؤكد (من استعراضي لكتاب تثبيت القدم، يلحظ أن والده كان عالماً كبيراً، مشهوراً، أخذ عليه علماء الضحي وزبيد وعلماء الحديدة وغيرهم، وكان علماء هذه البلاد يذكرونه في إجازات ولده بالفقيه وصاحب العلوم الكثيرة، كما يعترفون له بالمشيخة عليهم) [1].

كما سنحظى بمعلومات جديدة عن ابنه الولي المحدِّث العلَّامة عمر بن أحمد الحشيبري منقولة من كتابه (تثبيت القدم للمشي سوياً على صراط السند الأتم)، وهي معلومات تضاف إلى ما كنا أوردناها عنه نقلاً عن (الدَّرة الخطيرة)، حيث سنعرف من كتاب (علم الحديث في اليمن) أن صاحب التثبيت ولد سحر ليلة الجمعة 10 من ذي الحجة عام (1049هـ)، وأنه لازم والده وظل يتلقى عنه مختلف العلوم حتى توفي والده سنة (1083هـ)، كما سنعرف أنه كان كثير الارتحال لطلب العلم، فقد تنقل بين الضحي وزبيد ومكة والمدينة، وأخذ على علمائها وأجازه الكثير فيما أخذ عليهم وفي مقروءاتهم ومسموعاتهم، وسنعرف أنه في مجال السند يروي عن والده وبطريقة عالية كما في سنده الذي رسمه في ثبته، ويفهم من كلام الوشلي هنا أنه لم ينقل ترجمة الحشيبري لنفسه بكمالها كما هي في (تثبيت القدم، فهو يؤكد أنه ترجم لنفسه ترجمة وافية ذكر فيها طريقة تعلّمه من صغره للقرآن الكريم، كما ذكر تعلّمه وتفقهه على علماء في الضحي وزبيد ومكة والمدينة، وأن آخر

([1]) الاقتباسات السابقة من المصدر نفسه ص 290

لقاءاته بعلماء الحرمين كانت في حجته الأخيرة بأبنائه الثلاثة مُحَمَّد والقاسم وموسى وأمهم سنة (1109هـ) [1]، أي حين كان في الستين من عمره، مما يؤسف له أن هذا العلم الكبير مثله مثل أعلام مميزين من نوع المساوى بن حشيبر لم يؤرخ أحد لوفاتهم مع أنهم كانوا ملء سمع الزمان وبصره، وربما أن تواريخ وفاتهم كتبت في أوراق أو سفائن تلفت ضمن ما تلف من تراثنا، أو أنها ما تزال في حوزة من لا يعرفون قيمة إتاحتها للمهتمين.

أما آخر رجال الإسناد من بني حشيبر فهو الفقيه العلَّامة عمر بن أحمد الحشيبري المتوفى سنة (1300هـ)، وقد وقفنا طويلاً عند علمه وولايته وكراماته ومكانته الكبيرة كما قدمها كتاب (نشر الثناء الحسن) للوشلي الجد، أما الوشلي الحفيد فسنضيف من كتابه، أن هذا الحشيبري ولد في دير مُحَمَّد وهو دير من أديرة الحشابرة يقع يماني المحال[2] ودفن فيه.

وكما سبقت الإشارة فإن مما يؤسف له أنه بوفاة هذا العلم توقفت المشاركات الحشيبرية في علم الحديث كرجال إسناد مميزين، وإن بقيت، منازلهم وزواياهم خاصة في القرية الأم، والمحال، والزيدية تحتفي بقراءة الحديث في رجب وشعبان من كل عام.

***

(1) المصدر نفسه ص 288، 289

(2) عبارة الوشلي (بقريته دير محمد قرية يماني قرية المحال) وهو يخطىء كما يخطىء كثيرون اليوم حين يكتبون متحدثين عن ديرمّا فيقولون (قرية ديركذا) فالدير يجب أن يكون ديراً والقرية قرية والمحل محلاً والبيت بيتاً فلا نقول (قرية دير مهدي، أو قرية دير كزابة) مثلاً، بل نقول: دير كزابة، دير مهدي بدون إضافة قرية إليها، كي تظل القرية قرية والدير ديراً فتلك خصوصية تهامية في التسميات هكذا: قرية الجيلانية، قرية المغيدفية قرية الحشابرة، دير العنواش، دير القادري، محل برشيش، محل الخليل الخ

قبلة المستجيزين

خارج الترتيب السابق للمؤلفات التي منحت الأسرة الحشيبرية فسحات واسعة على صفحاتها، سأحاول هنا تتبع شوارد عن أعلامها تناثرت هنا وهناك في مؤلفات ومصادر مختلفة بغية استفياء ما يتعلق بهم قدر الإمكان، عبر استقصاء كل المظان التي كتبت عنهم حتى ولو كان في سياقات لا تخصهم مباشرة، وسأبدأ هنا من عبد الحي بن أحمد الشهير ب ابن العماد الحنبلي، فهو يذكر في كتابه (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) فقيه بيت الفقيه باليمن عبدالله بن الخطيب بن أحمد بن حشيبر اليمني، ويذكر أنه (كان فقيه بلده وعالمها) وأنه (توفي ببلده يوم الإثنين خامس عشر ربيع الآخر سنة (915هـ)([1])

ثم سنجد مزيداً من الأضواء على علماء بني حشيبر الذين ذاع صيتهم بعد القرن العاشر الهجري يمدنا بها كتاب (النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة) للمطهر بن مُحَمَّد الجرموزي (ت 1077)، فالشيخ أحمد بن أبي السعود الحشيبري وابنه الشيخ الأكمل إبراهيم بن أحمد الحشيبري، كانا على صلة جيدة بالإمام الحسن بن القاسم، وبمؤلف النبذة [2].

وفي (طبقات الزيدية الكبرى) للعلامة إبراهيم ابن القاسم بن الإمام المؤيد بالله (ت 1152) سنجد معلومات أخرى عن علماء من بني حشيبر كانوا قبلة للدارسين والمستجيزين من علماء المذهب الزيدي، فقد جاء في ترجمة العلّامة المعمَّر عبد الحفيظ بن المهلا النيسائي (ت 1077) المروية بلسانه، (وسمعت (الجامع الصغير) و(صحيح مسلم) على الفقيه مُحَمَّد بن عمر

([1]) شذرات الذهب ج10، ص99

(2) النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، المطهر بن محمد الجرموزي، نسخة الكترونية من المكتبة الزيدية ج1، ص 341.

الحشيبري في بيت الفقيه الزيدية و[كان] يحضر في قراءة هذه الكتب ما يتعلق بها من المصنَّفات في علم الحديث ورواته)[1].

وفي موضع آخر يترجم لمحمد بن عمر الحشيبري، ويصفه ب(الفقيه العالم المحدِّث الحافظ الزبيدي)، سكن بيت الفقيه الزيدية، سمع [بياض في المخطوطة].وسمع عليه القاضي عبد الحفيظ بن المهلا (صحيح البخاري) وأجازه إجازة عامة [بياض في المخطوطة].) ثم يعتذر عن عدم التوسع في ترجمته بقلة معلوماته عنه (قلت: ولم يظفر حال الرقم بشيء من طرقه، فإن يسر الله جمعها ألحقت بهذا الكتاب بمشيئة الله وعونه) [2]

وفي (مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار) للعلَّامة الحسن بن حيدرة الذماري (ت 1170هـ).

ترجمة للعلَّامة عبد القادربن أحمد الكوكباني (ت 1207هـ) يرد في سياقها تلمذته للولي العلَّامة المساوى بن إبراهيم الحشيبري[3]

وفي كتاب (نفحات العنبر في تراجم أعيان وفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر) للعلَّامة إبراهيم بن عبد الله الحوثي (ت1123هـ) نجد ذكرا لواحد من علماء بني حشيبر هو العلَّامة الشيخ عمر بن أحمد الحشيبري بوصفه أحد مشائخ العلَّامة عبد الخالق بن الزين المزجاجي علَّامة زبيد الشهير (1103-1152هـ)[4].

وفي كتاب (أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة) للعلامة مُحَمَّد بن مُحَمَّد زبارة (ت 1380هـ) نجد ذكراً لفقيه من فقهاء بني حشيبر هو: الفقيه مُحَمَّد إبراهيم الحشيبري في سياق ترجمتي

---

(1)طبقات الزيدية الكبرى) للعلَّامة إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، نسخة الكترونية من المكتبة الزيدية ج1،ص 500

(2) نفس المصدر، ج 3 ص 447

(3)مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار، الحسن بن حيدرة الذماري، نسخة الكترونية من المكتبة الزيدية ص 302.

(4)نفحات العنبر في تراجم أعيان وفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر) للعلامة إبراهيم بن عبد الله الحوثي، نسخة الكترونية من المكتبة الزيدية ص 212.

الحافظ مُحَمَّد عبد القادر الأهدل التهامي (ت 1326)[1]
والفقيه العلَّامة عبد الله يحيى مكرم الحديدي (ت 1327هـ) [2].

ويمدنا كتاب (جامعة الأشاعر) للمؤرخ عبد الرحمن الحضرمي بمعلومات أخرى عن أسماء حشيبرية بعضها قد تحدثنا عنه سابقا غير أن الحضرمي يذكر عنهم معلومات جديدة، فهو يذكر اجتماع الجابري بالعلَّامة يحيى بن أحمد الصابون المتوفى سنة1043، والعلَّامة أبو بكر بن شرح ملاح الحشيبري خطيب جامع زبيد.[3] والعلَّامة مُحَمَّد بن أحمد الحشيبري (من علماء القرن الحادي عشر، أخذ عنه عبد الخالق المزجاجي (ت 1125هـ) [4]

العلَّامة إبراهيم بن حسين جيلان (الحشيبري من علماء القرن الثالث عشر الهجري) أخذ عنه العلَّامة أحمد البهكلي (ت 1301هـ)[5]

الفقيه علي بن أبي الغيث بن حسن بن ناخوذه الحشيبري (من علماء القرن الثالث عشر) أخذ عنه العلَّامة عبد الرحمن القديمي (ت 1330هـ)[6]

مؤلفات وأسانيد

وتمدنا مؤلفات ومواقع الكترونية بمعلومات أخرى عن بني حشيبر، فهناك مثلاً كتاب اسمه (شفاء السقام فيما يتعلق بالجن من الأحكام) ذكر المؤرخ عبدالله الحبشي أنه توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة أحمد عبد القادر الأهدل بزبيد، لكن الحبشي ينسبه للولي الشهير مُحَمَّد بن عمر بن حشيبر المتوفى سنة 718هـ[7]، ولا أدري إن كان الخطأ في نسبة الكتاب مصدره المعلومات المثبتة على

([1])أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة، للعلَّامة محمد بن محمد زبارة، نسخة الكترونية من المكتبة الزيدية ص170.

([2]) المصدر نفسه، ص 201.

([3])جامعة الأشاعر، عبد الرحمن الحضرمي نسخة الكترونية ص 175

(([4] نفس المصدر، ص 200

([5]) نفس المصدر ص44

[6] نفس المصدر ص 82 الشيخ الفقيه أبى الغيث بن حسن ناخوذة بن على بن أبى الغيث بن على بن أبى القاسم بن محمد بن أحمد الحشيبري، قال الوشلي: كان حسن الخلق، سليم الصدر، لين الجانب، تعلم القرآن على يده خلق كثير حتى اشتهروا ببني المعلم، توفي سنة 13177 هـ، رحمه الله، انظر: نشر الثناء الحسن للوشلي 2/ 544

([7])مصادر الفكر الإسلامي في اليمن،عبد الله محمد الحبشي،المجمع الثقافي، أبو ظبي ص206، ط 1425هـ،

المخطوط أم أنها وهم وقع فيه الحبشي حين ظن أن صاحب الاسم هو الولي المذكور فكتب أمامه تاريخ وفاته (718هـ)، لكنَّ أسباباً أخرى تجعلنا نذهب إلى أنه ليس له بل لحشيبري آخر هو: مُحَمَّد بن عمر الحشيبري المتوفى سنة 1052هـ أولا لأن هذا المؤلف لم ينسبه أحد من مؤرخي هذه الأسرة للولي الشهير المتوفى (718هـ) رغم أنهم جميعاً كانوا يذكرون مؤلفه الأشهر (منثور الحكم)، ثانياً: أن تشابه الاسمين وتطابقهما هو مصدر اللبس المحتمل، ثالثاً وهو الأهم أن عبد الله بن سعيد بن مُحَمَّد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (المتوفى: 1410هـ) صاحب كتاب (منتهى السول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ)، يوكد ما نذهب إليه من أن الكتاب هو لمحمد بن عمر بن حشيبر المتأخر الزمن وهذا نص ما ورد فيه: وفي كتاب «شفاء الأسقام فيما يتعلق بالجنّ من الأحكام» للشيخ العلَّامة المحقّق الفهّامة: مُحَمَّد بن عمر الحشيبري المتوفى سنة: إحدى وخمسين وألف هجرية رحمه الله تعالى:

الجنّ والشياطين جنس واحد، أبوهم إبليس؛ وهم ذريته، فالجنّ المؤمنون والشياطين الكافرون. قال تعالى حكاية عنهم وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ- وهم الجن- وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ الكافرون الجائرون؛ وهم الشياطين فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا- قصدوا- رَشَداً (14). وأما القاسطون الجائرون بالكفر، أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً

(15) [الجن]. وسمّوا جنّا!! لاستتارهم عن أعين الناس غالبا، وسمّوا «شياطينا» !! لبعدهم عن رحمة الله تعالى، ومنه بئر شطون؛ إذا كانت بعيدة العمق.

وسمّي إبليس!! لأنّه أبلس من رحمة الله عزّ وجلّ، أي: يئس، وامبلس:

الكئيب الحزين الآيس؛ كما في «التهذيب» للنووي. وفيهم أهل السّنّة، والمبتدعة؛ حتّى الشيعة والرافضة، والمرجئة والقدرية. وغير ذلك على مذاهب الإنس الذين يسكنون معهم في بلادهم، ولهم ملوك كبار، وأسماء ملوك يخضعون لها، ويطيعون للإقسام عليهم بها، وقد يخضعون لأسماء من أسماء الله تعالى القاهرة، ويُستخدمون بها مسخّرين، ولذلك صفات وهيئات معروفة عند

2004م

المعزّمين الذين يفتتنون بذلك، وقد يصيبهم منهم مصائب؛ نسأل الله العافية، ولهم سلطة على بعض المسلمين، ويتولّجون في باطن الحيوانات، وينفذون من منافذها الضيقة؛ نفوذ الهوى المستنشق.

وفي الحديث الصحيح في البخاري «إنّ الشّيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم». قال الشّرّاح أي: يدخل فيه. لما تقرّر أنّه جسم لطيف، وحمل الحديث على الحقيقة؛ أخذا بظاهره أولى من حمله على المجاز؛ وهو الوسوسة[1]. انتهى.

الحبشي أيضاً يذكر كتابين آخرين لمؤلفين حشيبريين هما: مُحَّد علي حشيبر الذي ينسب إليه مؤلف عنوانه (كشف العام فيما يتعلق بالحي من الأحكام) يذكر أن نسخة مخطوطة منه تم نسخها (سنة 1182هـ في 10 ورقات) وأنها موجودة في (جامعة الملك سعود بالرياض برقم 3324.)[2] وفي نفسي شيء من ناحية اسم المخطوطة، فكأن في العنوان تصحيفًا لاسم المخطوطة التي توقفنا عندها سابقاً وأكدنا ميلنا لنسبتها إلى مُحَّد بن عمر حشيبر المتوفى سنة 1051هـ، وإن كنت لا أملك ما أدلل به علي هذا، لذلك أكتفي بالتحفظ هنا.

أما الكتاب الآخر فهو بالنسبة لي مهم جداً، ولكم أحلم بالوصول إليه، ذلك هو (تاريخ الحشيبري) ومؤلفه كما ورد عند الحبشي هو مُحَّد بن علي الحشيبري، وتوجد نسخة مخطوطة منه في مكتبة (بوهار بالهند برقم / 219.)[3]

من جهة أخرى يتردد ذكر بني حشيبر كثيراً في أسانيد رواة الحديث، وفي سلسلة علم مثل الشوكاني نجد أسماء عدد من الحشيبريين يأتي ذكرهم متواترين على هذا النحو، (عن المساوي بن إبراهيم الحشيبري عن أحمد بن مُحَّد الحشيبري عن عبد الواحد بن مُحَّد الحباك الحشيبري عن مُحَّد بن عمر الحشيبري عن ير بن أحمد الحشيبري)[4]

([1])منتهى السول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ، المؤلف: عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (المتوفى: 1410هـ)الناشر: دار المنهاج – ط2، ج2 ص 510، 511،جدة، 1426 هـ / 2005 م

([2]) مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص 151

([3]) نفسه ص 506

([4]) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني اليمني،حققه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي»

بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن ج3 ص، 1497 بدون ت



بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن ج3 ص، 1497 بدون ت

112

مهد الحشابرة على صفحات الأحداث

منذ الثلث الأخير من القرن التاسع الهجري ستكون مكانة الأسرة الحشيبرية اجتماعياً وسياسياً وروحياً قد توطدت أكثر فأكثر، وسيتجلى ذلك في المركزية العلمية والثقافية والروحية التي اكتسبها مركز تجمعهم الرئيسي بيت الفقيه ابن حشيبر (سبق أن بيّنّا خلط بعض المؤرخين بين بيت الفقيه بن حشيبر وهي قرية الحشابرة الأم الواقعة جنوب غرب الزيدية بحوالي خمسة كيلو مترات ومدينة الزيدية نفسها) ففي سنة 862هـ دمرت (أبيات حسين) المركز العلمي والثقافي الشهير إثر معركة بين قبائل الزيديين والدولة الطاهرية الناشئة آنذاك، فانتقل معظم سكانها إلى بيت الفقيه ابن حشيبر (المقصود هنا الزيدية) الذي أصبح الوارث العلمي والثقافي لأبيات حسين، قال العيدروس (فَلَمَّا خربَتْ بَيت حُسَيْن على يَد بني حفيص وانتهكت فِيهَا الْمَحَارِم ونُهبت الزوايا الَّتِي فِيهَا وَقتل جمَاعَة من بني عُبَيْدَة على جَامع بني حفيص وَذَلِكَ فِي سنة اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَمَانمِائَة انْتقل غَالب سكانها إِلَى بَيت الْفَقِيه ابْن حشيبر وَصَارَت مَدِينَة عَظِيمَة وَهِي مُحْتَرَمَة معظَّمة يَأْمَن بهَا الْخَائِف)[1] ولم يكن انتقال سكان (أبيات حسين) إلى بيت الفقيه ابن حشيبر اعتباطياً، بل كان مسبباً بما لبني حشيبر من ثقل علمي وثقافي وروحي يجعل مدينتهم (الزيدية) ذات حرمة مجللة يأمن فيها الهاربون من محارق الحروب على أنفسهم.

وستتضح تلك المكانة التي اكتسبتها الأسرة الحشيبرية ومركزها بيت الفقيه ابن حشيبر في بروزها بقوة على ساحة الأحداث السياسية إبان حروب قبائل تهامة على الدولة الطاهرية وتمرداتها ضدها، منذ ستينيات القرن التاسع الهجري وحتى سقوط الدولة الطاهرية على يد المصريين سنة 925هـ.

(1) النور السافر مصدر سابق ص413

وفي كتاب (بغية المستفيد وذيله الفضل المزيد) للمؤرخ عبد الرحمن بن الديبع (ت 944هـ) كما في (قلادة النحر) للمؤرخ مُحَمَّد الطيب بن عبد الله بامخرمة الحضرمي (ت 947هـ) معلومات واسعة عن دور الأسرة الحشيبرية ومركزها بيت الفقيه ابن حشيبر في تلك الأحداث، ففي 13 رجب سنة 874هـ نجد الشيخ أحمد بن أبي الغيث حفيص شيخ قبائل الزيدية[1] المتمردة في شمال تهامة آنذاك يلجأ إلى بيت الفقيه بن حشيبر بعد خسارته لمعركة خاضها ضد القائد الطاهري ابن سفيان الذي استولى على قرية الشريج، وهي معقل كان ابن حفيص قد حصَّنه وجهَّزه ليخوض الحرب انطلاقاً منه[2].

ويبدو أن استجارة ابن حفيص بحرمة بيت الفقيه ابن حشيبر، حيث يصعب على الدولة كسر حرمة المكان كما كانت العادة جارية باحترام تُرب الأولياء ومعاقلهم، وزواياهم وأربطتهم، قد جعلته يتمكن من لملمة فلول محاربيه، وبعد 13 يوماً (يوم 26 رجب سنة 874هـ) تمكنت قبائله من استعادة قرية الشريج وإلحاق هزيمة فادحة بالدولة الطاهرية.[3]

على أن الأسرة الحشيبرية لم يقتصر دورها في تلك الأحداث على إجارة الهاربين والخائفين فقط، بل كان من أفراد الأسرة الحشيبرية من هم ضمن قادة التمرد القبلي المزمن في تلك الفترة، ففي شهر محرم سنة (876هـ) اجتاحت الدولة الطاهرية المنطقة الشامية من تهامة بجيوش جرارة، وأسرت

([1]) تعرف اليوم ب (قبيلة صُلَيْل) وتنتشر في مديريات القناوص والزيدية والمنيرة والمغلاف. وقد بدأ اسم (قبيلة صليل) يحل محل (قبائل الزيدية) منذ نهاية القرن العاشر الهجري تقريبا، يذكرهم أبو بكر بن أبي القاسم بن أحمد الأهدل المتوفى 1035هـ، وفي كتابه (الأَحْسَاب العَلِيّة في الأَنْسَاب الأَهْدَلِيّة) وفي كتابه (تحفة الدهر في نسب الأشراف بني بحر ونسب من حقق نسبه وسيرته من أهل العصر) يذكرهم المؤرخ محمد بن الطاهر البحر المتوفى سنة 1083هـ في معرض حديثه عن أهل الجدارمن سادة المنيرة الذين نكبهم الأتراك مع مجموعة من بني حشيبر سنة 1038هـ. في حادثة شهيرة سردنا بعض ما يتعلق بها في سياق سابق من هذا الكتاب.

([2])الفضل المزيد على بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد –عبد الرحمن الديبع – تحقيق يوسف شلحد مركز الدراسات والبحوث اليمني – ص 136، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، محمد الطيب بن عبد الله بامخرمة الحضرمي، عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، دار المنهاج – جدة،ط1 2008م، ج6،ص 462،

([3]) الفضل المزيد نفس الصفحة،قلادة النحر نفس الصفحة،

مجموعة من قادة التمرد على رأسهم على بن أبي الغيث بن حفيص، والفقيه مُحَّد بن أبي بكر بن حسين، والفقيه علي بن حشيبر واقتادتهم مكبلين إلى زبيد[1]

وفي تاسع شعبان سنة 885هـ نجد بني حشيبر جزءاً من صلح كبير بين الدولة الطاهرية وقبائل شمال تهامة فقد (قدم المنصور –عبد الوهاب بن داوود بن طاهر (833 - 894 هـ - 1479 - 1489م) - إلى زبيد، وجهَّز الأمير عمر بن عبد العزيز وسليمان بن جياش إلى الزيدية في عسكر عظيم، ثم رجعا إلى زبيد على صلح من بني حفيص والزيديين كافة، ووصل معهم جماعة من بني حفيص، والفقهاء بني حشيبر، وبني مطير، والقاضي جمال الدين مُحَّد بن أحمد الأشخر، ووصلوا بأولاد أحمد بن أبي الغيث على سبيل الرهائن)[2]

وفي جمادى الآخرة سنة (888هـ) أرسلت الدولة حملة عسكرية كبرى إلى تهامة الشام، فنهبت قرى قبائل الزيدية وانتهكت حرمة بيت الفقيه ابن حشيبر فشردت أهلها وأحرقتها.[3]

ويبدو أن هذ الانتهاك لحرمة الأسرة الحشيبرية ومركزها بيت الفقيه ابن حشيبر (الزيدية) قد جعل أبناء المنطقة أكثر تمسكاً بهم وإقبالاً عليهم، كما جعلها تتحول إلى مركز للتمرد ومنطلق للحرب ضد الدولة الطاهرية، فلم تمض سنتان على انتهاك حرمتها وتشريد أهلها وإحراقها حتى كان الناس قد عادوا إلى التجمع فيها وإعمارها، وعادت القبائل المتمردة للانطلاق منها في حربها ضد الدولة الطاهرية، وهذا ما حدا بصلاح الدين عامر بن عبد الوهاب (833 - 894 هـ- 1479-1489م) – وكان وقتها بمثابة ولي عهد لأبيه، إلى اجتياح المنطقة في عسكر عظيم عند منتصف شوال سنة (890هـ) حيث حاصر قبائل الزيدية في حازة بلادهم، وقطع عليهم الماء حتى أدوا الطاعة، وسلموا مائة وثلاثين فرساً وأربعين جملاً من الجمال البحرية النفيسة، وأربعين ألف دينار، ثم

(1) الفضل المزيد ص140، قلادة النحرج6،ص464،

(2) الفضل المزيد ص 156، قلادة النحر ج6، ص497،

(3) الفضل المزيد ص 160،قلادة النحر ج6 ص 500،

أمّنهم ورفع الحصار عنهم شريطة أن يسكنوا القرى القديمة من الخبت وألا يتديروا ببيت الفقيه ابن حشيبر.[1]

بعد هذا التنكيل بقبائل الزيدية والإصرار من الدولة الطاهرية على تدمير مركزية بيت الفقيه ابن حشيبر في المنطقة، عينت الدولة حاكمين لها في بيت الفقيه ابن حشيبر هما الجمال مُحَّد أبو الفتح الأحمر، والفقيه أبو القاسم بن علي راجح، يقول ابن الديبع أنهما: (أفحشا في الظلم والعسف) فانتفضت بيت الفقيه ابن حشيبر ضدهما في ربيع الآخر سنة (892هـ) وتم قتلهما على يد أناس من سكان المدينة (من بني غبيق) وعندما علم السلطان بانتفاضة المنطقة من جديد جهَّز إليها حملة من تعز، ودخلها في جمادى الثانية سنة (892هـ) وقد انسحب منها أهلها فخرّبها ونقض أبنيتها وأحرقها.[2]

وفي جمادى الأخرى من سنة 921هـ تعرضت بيت الفقيه ابن حشيبر لتهديد بالهجوم عليها من الشيخ عبد الوهاب بن عامر الطاهري بعد تمركزه بجنده في مدينة الضحي، (فدخل عليه الشريف القديمي وجماعة من الفقهاء والمشايخ، وتكفلوا بأداء الخيل والصلح)، ثم انتقض الأمر بين الطرفين وقام ابن عامر بالتنكيل ببيت الفقيه ابن حشيبر وكل جهاتها حتى أذعنت[3]

بعد انقضاء دولة بني طاهر سنة (923هـ – 1517م) ومجيء المماليك من مصر ثم العثمانيين ومن ثم الدولة القاسمية، مرت قرابة ثلاثة قرون، من (923هـ و1217هـ)، ازدهرت فيها بيت الفقيه بن حشيبر كثيراً، وامتلأت بالعلماء والأولياء من بني حشيبر وآل القديمي والزواك وصائم الدهر وبني مطير وآل الأشخر وغيرهم، ولم يعكر صفو الحشيبريين –حد علمنا – إلا ما أصاب بعض علمائهم ضمن ما أصاب الأهادلة أهل المنيرة سنة 1031هـ في قضية أهل الجدار التي عرضنا لها سابقاً – وقد ظلت ريح الحشيبريين تسير رخاءً حتى نُكبوا مع سائر أرجاء تهامة بدخول الوهابيين إليها سنة 1217هـ حيث يذكر أبو القاسم بن أبي الغيث الأهدل (ت1248هـ) في

(1) الفضل المزيد ص 163،قلادة النحر ج6، ص5001

(2) الفضل المزيد ص 165، قلادة النحرج6، ص 503،

(3) الفضل المزيد ص، 364قلادة النحر ج6 ص 571،

كتابه (الدَّرة الخطيرة في تاريخ سادات المنيرة) إنه لما كان تاريخ أواخر سنة ألف ومائتين وسبعة عشر (حصل باليمن الميمون من أهل الزيغ والإلحاد، ما فتّت الأكباد، وأورث السهاد، وما حصل ببلدتنا المنيرة من الامتحان والأنكاد، مالا أحصيه بالأقلام والمداد)[1]

وفي غير موضع من الكتاب يذكر الأهدل ما أصاب بني حشيبر ومدينة الزيدية على أيدي الوهابيين من تنكيل وتخريب للآثار والأضرحة وتدمير للنسق العلمي والثقافي الذي بنوه مع الأسر المجاورة لهم في المكان بمثابرة لا حدود لها منذ قرون مضت، من ذلك على سبيل المثال ما أورده في ترجمته للولي العلَّامة عمر بن أحمد الحُشَيْبِرِي حيث يقول (وكان ـ رحمه الله ـ آية عظمى في بلده الزَّيْدِيَة من إطعام الطعام، وانتفع الناس به نفعاً عظيماً، وعمرت التربة وكذا البلدة في وقته عمارة رائقة، وقصدها الناس من كل ناحية، وأذعنت له الأمراء والقضاة، وكان ـ ﷺ ـ كثير العطب لأهل الزيغ والنفاق، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى، في حدود سنة ألف ومائتين (1200 هـ) ودفن في تربة سيدي الشيخ أبي بكر بن إبراهيم الدُّهْل، شرقي الباب، وعظم به المصاب، وتحيرت أولو الألباب؛ لكونه ـ ﷺ ـ كان رحمة عامة للمسلمين، وخصوصاً هذه البلدة –الزَّيْدِيَة –وقد خربت التربة مع نزول الفرقة الوهابية، وقد صارت أرضاً لا تعمر، وكذا البلدة، وفر أهلها، ولم يبق فيها إلا مجرد الاسم، واليوم هي في أيادي أجلاف العرب، فإنّا لله وإنَّا إليه راجعون ومنقلبون)[2].

وقد أبلى أولياء بني حشيبر بلاءً حسناً في تثبيت الناس أيام تلك الفتنة، يذكر ذلك الأهدل في سياق ترجمته للفقيه (الخامل الدرويش، عمر غُبَيْش، الساكن قرية المَحَال والذي يصفه بأنه كان (صوفياً صافياً)، وذات مرة اشتد امتحان الوهابيين للناس وحصل نقاش بين كبيرهم في بلدة الزيدية وأحد الفقهاء وكان ذلك يوم الجمعة، ويبدو أن الموقف قد تأزم يقول الأهدل (وحصل الحرج الشديد بالأمة، حتى همّ بعض العسكر بقتل المناقش المذكور، واشتد الخطب فقلت له — يقصد الولي غبيش – يا سيدي، اليوم هلاك! فتبسّم وقال: ما حاصل شيء، إلا الله يلاطف الخلق

([1]) الدَّرة الخطيرة مخطوط

([2]) الدَّرة الخطيرة مخطوط

من أحوالها، فما كان بعد قليل، والخطيب على المنبر والناس تموج، إلا وقد خرجت نار من أيمن المدينة، وعمت القرية، وفرّت الناس من الجمعة ولم يتمّوها، وكفى الله شره المسلمين) [1]

وثمة فصل آخر من فصول دفع الحشيبريين فاتورة المكانة التي يتبوأونها، فقد ذكرنا في سياق سابق ونحن نتحدث عن بني حشيبر خلال القرن الثالث عشر وحتى مطلع القرن الرابع عشر الهجريين أنه من علامات مكانتهم في مجال المشيخة والوجاهة الاجتماعية الاتصال بالحكام والنافذين التي كان من أهمها صلاتهم بالأشراف بني حيدر أيام حكمهم لتهامة، ثم صلاتهم بالدولة العثمانية وأن الشيخ علي بن أحمد الحشيبري، الذي يؤكد الوشلي أن (أسلافه أهل رئاسة تولوا مع الأشراف في مدة ملكهم باليمن وما زالوا يتوارثون الولاية معهم، ثم مع الدولة العثمانية) (كان يمثل ذلك بقوة) وقد وصلت رئاستهم ذروتها حين اتصل الشيخ علي بن أحمد الحشيبري بالأتراك الذين أعقبوا الأشراف اتصالاً قوياً، فكان منذ دخولهم اليمن (سنة 1869م) صاحب سلطات واسعة جعلته يصبح شيخ مشايخ مخلاف الزيدية وقد عظمت مكانته أيام الحاكم العثماني مُحَّد بك كمندار، الذي حكم المنطقة منذ سنة 1297هـ، فكان (بمنزلة الوزير له، لا يصدر (الكمندار) ولا يورد إلا عن رأيه ومشاروته وقد توفي الشيخ علي بن أحمد الحشيبري سنة 1309هـ).

ونضيف هنا اعتماداً على معلومات جمعها الأستاذ علي قادري الحشيبري والأستاذ موسى أحمد إسماعيل شيخ الحشيبري وأرسلها لي الدكتور عبدالحفيظ فقيه الحشيبري، وهي في بعضها منقولة عن مراسلات ووثائق أرسلت لي صور منها، وبعضها منقول عن المعمر شيذلي عمر بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن أبي الغيث بن علي الحشيبري البالغ من العمر (110) مائة وعشر سنوات، وقد عاصر جده اسماعيل بن علي – وفحواها (أن الشيخ الأكبر علي بن أحمد الحشيبري المتوفي سنة 1309هـ، من ذرية المعافا بن عبدالله وكان له تسعة من الأولاد الذكور وهم: أحمد وأبو الغيث وعمر وعبدالله وعبده وعلي وسليمان واسماعيل ومُحَّد)، وقد خلفه ولده الشيخ أبو الغيث في الولاية على قبيلته فقط فنشأ نشأة عظيمة وسار فيهم سيرة حسنة ثم اخترمته المنية في عنفوان شبابه

([1]) الدرة الخطيرة مخطوط

فتولى من بعده أخاه الشيخ اسماعيل)[1]، وتتساند رواية المعمَّر شيذلي وما ذكره الوشلي مع الوثائق المشار إليها وفحواها جميعاً (أن الشيخ اسماعيل بن علي قد توطدت علاقته مع الأدارسة فجعلوه في ولاية الساحل الشمالي من تهامة) وتفيد الوثائق وهي رسائل مصورة [2] موجهة من الولاة الأدارسة إليه تتضمن تكليفه بتأمين وتعبيد الطرق من اللحية الى ابن عباس، تمهيداً لوصول الموتر (السيارة) إلى الحديدة (وهي تنبي عن تلك العلاقة المميزة وما كان يتمتع به الشيخ اسماعيل من نفوذ وسلطة)

وفي رسالة مفصَّلة أرسلها لي الدكتور عبد الحفيظ الفقيه بتاريخ 28 مايو 2018م وهي مكتوبة بخط الأستاذ موسى أحمد إسماعيل شيخ الحشيبري، جاء فيها أن الشيخ علي بن أحمد الحشيبري خلف أربعة أولاد، الأول هو أبو الغيث، وقد تولى المشيخة بعد والده ثم اخترمته المنية بعد زمن قصير في المشيخة، وله ولد واحد هو المعمر شيذلي الذي يُدَاحِف عمره (110 سنوات)، وقد تولى شيذلي معقلة البلاد[3] منذ شب وخلَّف سبعة أولاد كلهم ماتوا في حياته ماعدا أكبرهم أبو الغيث شيذلي الذي يعد من أعيان البلاد، وله أربعة أولاد أبرزهم الأستاذ يحيى أبو الغيث وهو حاصل على شهادة جامعية في اللغة الإنجليزية من جامعة الحديدة.

أما ثاني أولاد الشيخ علي بن أحمد فهو إسماعيل الذي تولى المشيخة بعد الشيخ أبي الغيث وكان شجاعاً صنديداً، وتشير رسالة الأستاذ موسى إلى خلافات كبيرة وقعت بينه وبين حاكم الزيدية من قبل العثمانيين الشيخ عبد الله بوني باشا، وصلت حد قيام البوني باشا بمصادرة حصان الشيخ اسماعيل، ويبدو أن الشيخ اسماعيل كان منخرطاً في حركات التمرد التي شملت قبائل تهامة جميعها إبان ذاك، وكان البوني باشا بوصفه من رجال الدولة العثمانية طرفاً في معظم الأعمال الحربية التي شهدتها مناطق الواديين سردد ومور ومابينهما وشملت قبائل صليل والحشابرة والعطاوية والزعلية والواعظات وبني قيس، وقد وثَّق المؤرخ إسماعيل الوشلي يوميات ووقائع تلك الصدامات في الجزء

([1]) نشر الثناء الحسن مصدر سابق مج 2 ص 128

([2]) صورها الأستاذ حسن قادري الحشيبري وتلقيتها عن طريق الدكتور عبد الحفيظ الحشيبري بتاريخ 26 مايو 2018م

([3]) لعله يقصد معقلة قرية الحشابرة

الرابع من تاريخه (نُشر الثناء الحسن)، وقد نُقل البوني باشا من الزيدية نتيجة تلك الصراعات ونتيجة تشكِّي أهل البلاد به سنة 1328هـ[1] الموافق 1910هـ، وتذكر الرسالة أن مصادرة البوني حصان الشيخ إسماعيل كانت قبل فترة وجيزة من نقله من الزيدية، وأنه أثناء توجه البوني للحديدة منقولاً من الزيدية قام الشيخ إسماعيل بقطع الطريق وهدفه القبض على البوني واعتقاله – حسب تعبير موسى – لكن البوني كان يتوقع ذلك من الشيخ إسماعيل ويتوجسه، فغيَّر طريقه متجها إلى ميناء ابن عباس، ومن هناك اتجه إلى الحديدة.

بعد سنوات قليلة من رحيل البوني باشا ستخضع جهات شمال الحديدة للإمام مُحَّد بن علي الإدريسي وقد توطدت العلاقة بين الشيخ إسماعيل والأدارسة الذين حكموا تهامة بين 1908-1930م تخللتها حروب مع العثمانيين والقبائل، ثم مع الإمام يحيى حميد الدين وانحسرت قبل أن تخسر وجودها كلياً، وللشيخ إسماعيل مراسلات مع الإمام مُحَّد علي الإدريسي تدل على المكانة التي كان الحشيبري يحتلها عنده فهو يصفه ب (الماجد الهمام)، كما أن هناك رسالة أخرى من السيد مصطفى الإدريسي إلى الشيخ إسماعيل بشأن تأمين وتعبيد الطرق من اللحية إلى ابن عباس تمهيداً لوصول الموتر (السيارة) إلى الحديدة) وهي تنبي عن تلك العلاقة المميزة، وما كان يتمتع به الشيخ إسماعيل من نفوذ وسلطة كما أوضحنا سابقاً.ولعل تلك الرسالة قد وجهت للشيخ إسماعيل في جمادى الأولى من سنة 1342هـ (ديسمبر 1923م). ففي هذا التاريخ بالتحديد صباح يوم الخميس الثاني عشر من جمادى الأولى سنة 1342هـ، توجه سيف الإسلام مصطفى بن عبد العال الإدريسي مع أولاده وأخيه السيد مُحَّد العربي على الموتر من بندر اللحية إلى الحديدة فوصلها آخر اليوم، وهذا يتفق مع فحوى الرسالة الموجهة منه للشيخ إسماعيل والخلاف أنه في رسالته الموجهة للشيخ إسماعيل يقول له إن الموتر سيقوم يوم الاثنين، فإن لم تكن تلك رحلة أخرى، فهو موعد ربما تم تغييره، أو موعد للتمويه كاحتياط أمني، وكل هذا ممكن تصوره.

ولعل الشيخ إسماعيل بسبب قوة ولائه للأدارسة لم يستطع بعد ذهاب دولتهم من تهامة أن يتقبل حكم الدولة المتوكلية، فقد انخرط في التمردات التي تزامنت مع حرب الزرنيق التي اشتعل أوارها بين

---

[1] نشر الثناء الحسن مج2 ج4 ص 73، 74

1926- 1929م، فنحن نجد الوشلي سنة 1343هـ يذكر تمرداً ضد دولة الإمام يحيى شمل غالب قبائل قضاء الزيدية فأرسل عليهم الإمام جيشاً كثيفاً مجهّزاً بقيادة عبد الله بن أحمد الوزير[1] وكان ذلك قبل بدء حرب الزرانيق مباشرة وقد تمردت قبائل المنطقة بشكل واسع عند اشتعال حرب الزرانيق، وانتهى تمردها بنزع السلاح منها في حادثة عجيبة تمت في محرمً سنة 1347هـ[2] – يونيو 1928م في مدينة المنيرة.

ويبدو أن مشيخة الحشابرة لم تكن صافية للشيخ اسماعيل وحده. فثمة من كان ينافسه من الحشابرة أنفسهم، فالشيخ عبد الله مشهور يُذكر في أحداث سنة 1336هـ بوصفه شيخاً، يجيء ذلك في سياق حديث الوشلي عن حرب وقعت بين أطراف من صليل، حيث اجتمع رؤساء قبيلة كشارب وبني القحم عند منصب المنيرة للصلح، لكن جماعة من كشارب كمنت قرب ضريح الولي عبد الله بن عمر الأهدل وأطلقت النار على أناس من بني الحندوب يقول الوشلي (ثم شردوا إلى شيخ الحشابرة عبدالله مشهور)[3].

وبعد سبع سنوات من هذا التاريخ سيشن الشيخ عبدالله مشهور هجوماً على قرية الحشابرة الأم في سياق صراعه مع الشيخ إسماعيل وقد رد الشيخ إسماعيل بهجوم مماثل وحصلت تداعيات مؤسفة [4]،

وتشير روايات أحفاد الشيخ إسماعيل وأقاربه بما فيها رسالة الأستاذ موسى إلى أن خلافه مع الدولة المتوكلية بعد صفاء الأمور لها، وتوطد أمورها في تهامة، قد ظل يتجدد حتى ضاق به الإمام أحمد حميد الدين ذرعاً فأمر باعتقاله وأودعه سجن نافع في حجة مع الشيخ ماطر شيخ العطاوية آنذاك، في نفس الفترة التي سجن فيها الشيخ حسين بن ناصر الأحمر، وقد أعدم الشيخ إسماعيل بعد أيام من إيداعه السجن، وتقول الرسالة: إن ابنه الشيخ أحمد إسماعيل[5] قد ذهب لزيارته

([1]) نفسه ص 228

([2]) نفسه ص 242، 243، 244، 245، 238،239

([3]) نفسه ص 175، الشيخ عبدالله مشهور من دير البحري أحد أديرة الحشابرة في الحاضنة الأم.

([4]) نفسه ص 221

([5]) موسى صاحب الرسالة

بعد عشرة أيام من تاريخ اعتقاله، وعند وصوله علم بإعدام أبيه وتم القبض عليه، ووضع في الحبس، الأمر الذي أهاج المشائخ المحبوسين فأضربوا عن الطعام تضامناً معه، وقد غضب الإمام حين علم بحبسه وأمر بإطلاقه موجهاً اللوم لآمر السجن (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى).

وقد خلَّف الشيخ إسماعيل أربعة أولاد هم، أحمد اسماعيل، إسماعيل بن إسماعيل، أبو الغيث ابن إسماعيل، وعلي بن إسماعيل، وقد زاول الشيخ أحمد بن إسماعيل أعمال المشيخة لكنها لم تصف له فقد كان في صراع دائم مع الشيخ عبد الله هبة، الذي تفرَّد بعدها بالمشيخة.

مع ذلك فقد حصل الشيخ أحمد إسماعيل على فرصة القرب من الرئيس عبدالله السلال عقب قيام الثوة 26 سبتمبر 1962م، السبب في ذلك كما تقول رسالة موسى قصة بريطانيا، التي لم يوضح ما هي في الرسالة، وقد طلبت من الدكتور عبد الحفيظ توضيحاً بشأنها،

ثم علمت أن القصة تتخلص في أن الشيخ أحمد إسماعيل والفقيه علي بن عمر الحشيبري ومهدي محجوب الحشيبري ومعهم كثير من رجال قرية الحشابرة لم يستسيغوا نقل المشيخة من بني الشيخ، الأمر الذي لم يرق لمنافسيهم فاستغلوا سوابق تمرد الشيخ إسماعيل على الإمام وكونه قد تم إعدامه كعقوبة على تلك التمردات، ومن ثم حاكوا لهم مؤمراة زعموا فيها أنهم يشكِّلون امتداداً لذلك التمرد، وأنهم على علاقة بالبريطانيين، الذين يمدونهم بالعتاد والمال عبر سلطاتهم في جزيرة كمران، وأنهم يخططون لتنفيذ أعمال تخريبية ضد الإمام أحمد في الحديدة، وحال وصول البلاغ الكيدي للإمام أمر على الفور باعتقالهم، وسجنهم في الحديدة، وتلى ذلك صدور حكم عليهم بالإعدام، وقد كان لذلك وقع الصاعقة على قرية الحشابرة الأم، فتحرك الفقيه علي بن علي الحشيبري ومعه أحد أبناء الشيخ أحمد إسماعيل لتلافي الأمر فذهبا إلى صنعاء ومنها إلى تعز حيث تمكنا من مقابلة الإمام، وقدما إيضاحاً وتظَّلماً لما حاق بأهلهم، ولم يبرحا تعز إلا بعد أن تفهّم الإمام الموضوع، وأمر ببطلان الحكم والإفراج عن المعتقلين، ويفهم من إفادتهم أن نائب الإمام على الحديدة آنذاك قد لعب دوراً إيجابياً في رفع الحيف عنهم من خلال الإيضاحات التي قدمها للإمام بشأنهم وبشأن المكيدة التي تعرضوا لها، وقد وجه بنفسه توبيخاً بالغ القسوة لمن دبروا المكيدة وتوعدهم بالويل إن عادوا لمثلها.

ويرد في رسالة موسى أن سبب تقريب الشيخ أحمد إسماعيل من السلال هو رئيس الحرس الجمهوري (مُحَمَّد صالح الخولاني) ولم أجد اسم (مُحَمَّد) هذا لكني وجدت اسم النقيب علي صالح الخولاني ضمن أسماء الأحرار من ثوار الجناح العسكري، الذين تم سجنهم في سجون الإمام أحمد بعد فشل حركة 1948م، فافترضت أنه هو المقصود، فإن كان افتراضي موفقاً فإن الشيخ اسماعيل يكون قد تم اعتقاله ضمن تداعيات تلك الحركة، وأنه واحد ممن أعدموا بسبب تأييدهم لها، وبالتالي تكون علاقة ابنه الشيخ أحمد بالنقيب علي صالح الخولاني أيام سجنه في حجة عقب إعدام أبيه، ويُفهم من الرسالة أن الخولاني بعد قيام ثورة سبتمبر قدم الشيخ أحمد للرئيس السلال وأطلعه على قصة بريطانيا [1]، فأعظم الرئيس السلال الشيخ أحمد ومنحه أمراً بالنزول إلى مخازن الأسلحة كي يأخذ منها حصته وينزل إلى تهامة ليحمي نفسه ويحمي الثورة، لكن يبدو أن الشيخ أحمد كان قد فقد الحماسة لقيادة قومه، أو للدخول في صراع مع الشيخ عبد الله هبه، فلم يستغل الفرصة. بل وضع الأمر في جيبه وعاد إلى بلاده وكانت وفاته سنة 1974م مخلفا ثلاثة أولاد: هم إسماعيل، مُحَمَّد (توفي عام 1982م)، علي (مزارع)، وموسى (أستاذ لغة انجليزية).

على كل حال فقد انتقلت مشيخة الحشابرة من بني المشهور إلى بني الهبة، وموطن سكناهم الأصلي قرية المحال، لكنهم كانوا قد انتقلوا إلى قرية الحشابرة الأم

(وكان أول من تشيّخ منهم الشيخ عبدالله أبكر عبدالله هبه الذي توفي سنة 1401هـ – 1981م، و تولي المشيخة بعده ولده الشيخ مُحَمَّد عبدالله أبكر هبه الذي توفي سنة 1994 م، ثم آلت المشيخة بعده إلى أخيه الشيخ يحيي عبدالله أبكر هبه ومازال هو الشيخ حتى كتابة هذه السطور بتاريخ 24 مايو 2018م) [2]

(1) لم يورد موسى تفاصيل قصة بريطانيا في الرسالة، وما أوردته من تفاصيل بشأنها حصلت عليه، بعد طلب توضيح من الدكتور عبد الحفيظ، وقد جاءني التوضيح بتاريخ الخميس 7 يونيو 2018م

(2) المعلومات من مراسلاتي مع الأستاذ سلطان معتوق الحشابرة بتاريخ 24 مايو 2018م، والشيخ عبدالله هبة هو جده لأمه، والشيخان محمد ويحيى هما خالاه حسب إفادته لي.

وقد كان مؤسفاً أن تتواصل حلقات الاضطهاد التي طالت بني حشيبر بعد الذي نالهم على يد الإمام أحمد حميد الدين، ففي عام 1994م ارتكبت دولة الرئيس على عبد الله صالح جريمة شنعاء في حق قبيلة الحشابرة فقد تواطأت الحكومة مع أحد التجار، وساندهم نافذون في المنطقة، حيث قام التاجر بوضع اليد على أراض واسعة في بلاد الحشابرة تتوارث الأسرة الحشيبرية ملكيتها منذ قرون، فهي مراعي أغنامها وإبلها ونحلها، وقام ابن التاجر بتصرفات استفزازية مهينة متجاوزاً تحفظات الأهالي وممانعاتهم حتى اضطر الحشابرة أمام تغاضي المسئولين عن شكاواهم منه إلى أسره، عقب ذلك تدخلت وساطات بغرض إطلاق سراح ابن التاجر، وتم الاتفاق على أن يتم حل القضية إما صلحاً خلال ستة أشهر وإما عن طريق الشرع خلال سنة، وبعد مضي ستة أشهر تبين للحكومة والتاجر والمتواطئين أن الحق للحشابرة، ومع ذلك أوغلوا في غيِّهم، وضربوا بما تقرر عندهم عرض الحائط، فبدأت الأطقم تجوس خلال ديار بني حشيبر، وتطارد أعيانهم، وتخيف نساءهم وأطفالهم، وقد أدت تلك المطاردات التي استهدفت أهالي دير عمر إلى قتل الشيخ علي معوضة وابن أخ له اسمه عبدالله، كل ذلك والحشابرة يستنجدون ويطالبون بحكم المحكمة في قضيتهم، والحكومة لا تزيد إلا غيّا.

بعد سنة وسبعة أشهر تحديداً يوم 9 / 11 / 1994م، ضاقت الدولة بإصرار الحشابرة على حقهم فوجهت لهم تهمة الميول الانفصالية، وهي التهمة التي كان يتم توجيهها لكل معترض على أي إجراء خطأ عقب حرب 1994م، ولم يكن الحشابرة انفصاليين. لكن صالح ورجاله كانوا قد بلغوا ذورة غرورهم بعد عصفهم بالجنوب، وكانوا يشعرون بأن اليمن كلها وتهامة على وجه الخصوص يجب أن تكون مكافأتهم وغنيمتهم، وفوجىء أهالي الكدف بعدد من الأطقم يقودها سعيد الوحيدي تجتاحهم من الجهات الأربع، مستعملة الرشاشات الثقيلة، حيث تم حرق البيوت ونهب الأموال والمواشي والعسل والسمن وذهب النساء، وبلغ عدد شهداء الحشابرة سبع أنفس منهم علي أحمد معوض مشعف وعمر أحمد معوض مشعف وعلي عمر أحمد معوض مشعف وامرأة هي أم أحمد بن أحمد قديمي وكذلك عمه، وتم التمثيل بالشهداء، وسيق عديد المواطنين إلى السجون مكبلين بالحديد.

وقد حاول الحشابرة الحصول على الحد الأدنى من الإنصاف دون فائدة، وشكّلت لجان للنظر في قضيتهم منها لجنة ضمت البرلمانيين عبد الله الضحوي وعلي بغوي، وعبد الله خيرات، لكنها لم تستطع فعل شيء إزاء إصرر النافذين المدعومين من الرئيس على الظلم.

ثم حاولوا تنكيف الرئيس ذات زيارة من زياراته للحديدة بتقديم ثور لكنه سخر من تصرفهم وأصر على التلاعب بهم، من خلال تشكيل اللجان تلو اللجان، وبلغت غطرسته عليهم حد رفضه القاطع لمجرد مقابلتهم [1]،

وقد بقيت أنّات بني حشيبر ودعواتهم في الأسحار تلاحقه حتى لقي بعد ثلاث وعشرين سنة مع عدد من أفراد أسرته نفس ما لقيه الحشابرة منه.

وإذاكان الشيء بالشيء يذكر فإني سأسمح لنفسي بالاستطراد إلى مظلمة مشابهة لحقت بحاضنة فرعية من حواضن الأسرة الحشيبرية، وعلى يد الرأس الكبيرة الأخرى في نظام صالح أعني الجنرال علي محسن الأحمر، فحسب رسائل وجهها لي أبو صدام الحشيبري[2] بتواريخ متعددة من يونيو 2017 وإبريل 2018م، فإن هناك أسرة كبيرة من الحشابرة، تسكن في عنس – قرية الشعبية بمحافظة ذمار، حيث وفد جدهم الولي جمال الدين مُحَمَّد بن علي الحشيبري منذ قرون، وحيث توجد قبته (أرسل لي صورتها)، وقد أوقف جمال الدين الحشيبري لذريته أراضي تقدر بخمسمائه ألف لبنه قابلة للزراعة غير الجبال والمراعي التي تقدر بنفس المساحة أوأكثر الأمر الذي جعل أغلب أراضي الشعبية تابعة لبيت الحشيبري، ويذكر أبو صدام الحشيبري، أن الأرض التي أوقفها الحشيبري الجد هناك تقع في مديرية الفقر بين عزلتي بني جماعة والنخلة، وأنها بقيت دائماً تحت إشراف الشيخ

([1]) فيلم وثائقي على يوتيوب بعنوان: مذبحة الكدف- الأربعاء 9-11-1994م-قرية الكدف- الحشابرة- مديرية الزيدية، نشره الكاتب الصحفي مجاهد على جزءين بتاريخ 2013/05/31م، رابط الجزء الأول https://www.youtube.com/watch?v=isrFDtAHXSE ورابط الجزء الثاني https://www.youtube.com/watch?v=RHtoI647ZIk تمت المعاينة بتاريخ 28 / 3 / 2018م

([2]) أبو صدام الحشيبري هو اسمه على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي https://www.facebook.com/profile.php?id=100011970439241 أما اسمه الكامل فهو حسبما أرسله بتاريخ 24 /5 / 2018م فهو: حسين محمد عبده مهدي صالح الحشيبري.

الأكبر من الأسرة بالتتابع على المشيخة حتي صادرها الإمام أحمد حميد الدين زاعماً أنها ضمن ملكيات الدولة، وقد اعترض الشيخ صالح عبده الحشيري –شيخ حشابرة عنس وقتذاك– ثم اتفق مع حكومة الإمام أن يكون القضاء هو الفاصل بين الطرفين، وبعد جولات من التقاضي قدم خلالها آل الحشيبري وثائق وأحكامًا صادرة عن علَّامة اليمن الشهير القاضي مُحَّد بن علي الشوكاني (1173هـ 1250هـ، 1759-1834م)، حكم القاضي اليدومي بأحقية آل الحشيبري لها، وبالتالي أعادها الإمام أحمد إليهم وأعطاهم تعويضاً عن التقاضي مقداره 800قرش فرانصي.فبقيت تحت أيديهم، حتى نكبوا بفقدها قبل ثلاثين عاماً (ثمانينيات القرن العشرين) على يد الجنرال علي محسن الأحمر الذي استطاع الاستيلاء عليها بعد أن استعمل طرقه الشهيرة في التفريق بين أبناء القبائل، فأغرى جزءاً من الحشابرة بالمال، ونصَّب محامين للتقاضي وإطالة حبال الأزمة، وظل كلما استهدفوه بالتظلمات والوساطات يطرح مقترحاً واحداً باستمرار وهو أن يأخذ هو الأرض مقابل بيعها له بثمن بخس، أو يأخذها تحت طائلة وعود بتعويضهم أرضاً أخرى في مكان آخر، وقد رفض المرحوم الشيخ عبده الحشيبري في ذلك الوقت كل تلك العروض، وتوسط الحشيبريون بالشيخ عبدالله بن حسين الأحمر الذي زاربلاد الحشابرة في عنس أيام الجبهة (النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي)، وبعدها بزمن حاول مساعدتهم عن طريق مجلس النواب، حيث أصدرت لجنه تقنين الشريعة في المجلس أمراً بتبعيتها للحشيبري، لكن الأمر لم ينفذ.. فقد كانت يد الجنرال علي محسن الأحمر هي الأقوى، بدوره قام عبد القادر هلال أيام كان محافظاً لمحافظة إب بإبلاغ الشيخ مُحَّد عبده الحشيبري أن الأمر كله بيد علي محسن، وحتى اليوم لا يزال الأمر معلقاً، ولايزال آل الحشيبري في عنس الذين يبلغ تعدادهم حوالي عشرين ألف نسمة يعانون من هذه المظلمة.

سياقات ثابتة وأخرى متغيرة

الإصغاء لفكرة الإنسان عن ذاته ووعيه بالعالم هما جوهر الأداء المعرفي للثقافات المختلفة على حد تعبير الشاعر المفكر أحمد الزراعي[1]، وإعادة النظر في الأبعاد الفكرية التي يمكن للإنسانية أن تنجزها عبر التأويل المستمر لمجرى التغير الثقافي وهو جوهر اشتغالات النقد الثقافي القادم من اهتمامات الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية حيث تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بنظام الثقافة العام الذي يؤطر حياة مجموعة بشرية معينة، علما بأن الثقافة تعني (مجموع الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية وأنظمة التربية والسلطة وأنظمة التبادل واللغة والفنون والقيم والمعايير القانونية والدينية السائدة فيها، كذلك رصد المتغير الاجتماعي والثقافي والقيمي الذي تتشكَّل منه المنعطفات في لحظات تاريخية كثيرة.

لقد اتسمت الفصول السابقة من دارستنا لبني حشيبر بالتتبعية أو التأريخية، ومحاولة مقاربة إسهام الأسرة الحشيبرية في إرث المنطقة العلمي والتربوي والصوفي والاجتماعي عبر سبعة قرون مضت، وكان الهم الأول لهذا الاشتغال هو إعادة رسم المسار التاريخي لهذه الأسرة وتتبع سيرتها ومسيرتها ثم تبيّن وتبيين مدى أثرها وتطورها عبر الزمان. والتأشير على أهم مفاصل رحلتها في التاريخ أحداثاً ورجالاً وإنجازات.

وهاهي ذي الدراسة تذهب إلى مفترق جديد من خلال استعراض للمرحلة الأخيرة من زمن الحشابرة وهي المرحلة التي تتصل بزماننا وتتميز بعدة ميزات:

أولاها: أن ثمة تبدلاً ألقى بظله على حياة الأسرة خلال الثمانين عاماً الماضية، وهو تبدل يتمثل في تراجع أداء الحاضنة الحشيبرية الأم، كذلك تراجع الأسرة كمنظومة ثقافية فكرية وصوفية، الحقيقة أن هذا لم يصب الأسرة الحشيبرية وحدها. بل أصاب معظم أسر العلم في تهامة إن لم يكن

([1]) صفحة أحمد الزراعي علي موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك بتاريخ 24 / 6 / 2017.

كلها بعد فقد المنطقة لمركزيتها، واستهداف هذه الأسر بالتهميش والإفقار والقضاء على أربطتها العلمية وزواياها وتخلي الدولة عن واجباتها تجاه هذه المنظومة الفكرية والثقافية. بل محاربتها لها بشكل ممنهج خاصة بعد قيام ثورة سبتمبر سنة 1962م

ثانيها: استهداف هذه الأسرة ضمن بقية أسر العلم في تهامة من قبل تيارات دينية مناوئة استعانت في حربها عليها بالمال والسلطة والدعاية الواسعة التي شملت تسفيه المعتقدات وتحقير الرجال والتقليل من حجم المنجز وأهمية التاريخ الخاص بهذه الأسر.

ثالثها: استبعاد تاريخ هذه الأسر ورجالها ومنجزاتها العلمية والأدبية ورمزيتها الاجتماعية من المناهج التعليمية، وإبعاد القلة القابضة على الجمر والمحافظة على الإرث عن المساجد وعن منابر التعليم.

وقد أدى ذلك كله إلى تجهيل الجيل الجديد من أبناء الأسر العلمية – والحشابرة منهم – على نحو شبه تام بتاريخهم ورموزهم إلى حد أن ينظر الكثير منهم إلى هذا التاريخ بوصفه تاريخاً لا يشرِّفهم. بل يعيبهم،

وقد تلقيت رسائل أثناء نشر حلقات من هذا الكتاب منتصف عام 2017م من بعض أبناء هذه الأسرة يشتمني ويهدد بمقاضاتي جراء ما أسماه (إهانة الحشابرة من خلال الكتابة عن تاريخهم بشكل يعيبه وأمثاله بين معاصريهم اليوم)

وإذا كانت هذه الرسالة تقدم وجهاً لثمرة التجهيل المتعمد لأبناء الأسر العلمية بتاريخهم، فإن رسالة ذكية تلقيتها من أحد الحشابرة النابهين والمؤهلين تأهيلاً علمياً مميزاً تقدم دليلاً يؤازر ما ذهبت إليه ويسنده بشكل جيد، فقد وجد الرجل في هذه المقاربات التاريخية للأسرة الحشيبرية أجوبة كثيرة عما لاحظه في رحلة قادته مع أسرته إلى ماليزيا وأندونسيا، إذ وجد نفسه هناك من خلال الممارسات الدينية لأهل تلك البلاد يستعيد وعيه بذاته وبما عهده في قريته مركز قرى بني حشيبر أثناء طفولته. لقد كان أجداده الأفذاذ جزءاً من الجهد العظيم الذي بذله متصوفة اليمن لنشر الإسلام في تلك البلدان، وما عرفه في طفولته من تقاليد وطقوس دينية هو ذات ما نقله أجداده. ولقد بقيت تلك البلدان في منأى عن عواصف التكفير والتبديع والتحقير التي طالت أسر العلم في

تهامة، وحمت المؤسسات الحاكمة في تلك البلدان المنظومة التي صدَّرتها إليها الأسرة الحشيبرية وأخواتها، فيما أباحت مؤسساتنا الحاكمة المنبع لمن هب ودب يستهدفه ويزيِّف واقعه ووقائعه، ويجهّل أبناءه به.

إن الشخصيات والأمكنة ومايتصل بها مما سنقدمه في الجزء الثاني من هذه المقاربات تحتل أهمية خاصة في تاريخ الأسرة الحشيبرية فهي من جهة تحاول تجسير الهوّة بين ماضي الأسرة وحاضرها، كما تحاول من جهة أخرى ارتياد ممكنات تكشف عن جديد لا يلاحظه حتى أبناء الأسرة نفسها، إلى جانب ذلك تحاول إلقاء بعض الضوء على جغرافيات الحشابرة في العلم والروح والأمكنة.

إن مجموعة الشخصيات التي سنتناولها هنا تقدم من خلال تجليّاتها المختلفة تكويناً وظروفاً وإنجازات إضافات بيّنة امتدت على أضوائها متكآت جديدة، فهي من حيث السلوك والخدمة الاجتماعية تحتكم إلى قدر كبير من تقاليد الأسرة التي تراكمت عبر التاريخ، وهي من حيث مقياس الرجولة والوجاهة تقدم امتداداً واضحاً لهذا التاريخ المجيد، لكنها من ناحية العلم تمثل في بعضها مفصل المتغير الذي طرأ، فهي تتخلى عن ضرورات النسبة كمصدر للفخر في تقديم نفسها، كما أنها لا تمتثل للإرث الحشيبري في تقاليد معيّنة ميَّزت الأسرة على مر التاريخ، وهي في كل ذلك كانت تستسلم دون وعي ودون قصد لموجِّهات التعليم الحكومي الذي تعمّد كثيراً تهميش تهامة وإرثها العلمي، وتستجيب أحياناً لابتزاز التيارات المعادية وضغوطاتها الهادفة إلى خلق قطيعة بين أسر العلم وماضيها بهدف اقتلاعها وإحلال ما أحضروه ليحل محلها، ولا بأس في منهجهم من بعض التبجيل لهذه الشخصيات التي تستطيع أن تُقنع باستجابتها غيرها، كما أنهم من خلالها يستطيعون ذر الرماد في العيون وإقناع المعترضين عليهم بوجودها في صفهم، لكنهم في الحقيقة يضعونها في خانة التوجس وعدم الثقة ويضعون لها حداً لا تتجاوزه،

كل الشجون الواردة في هذه المقدمة لن تنفي أننا أمام قامات مميزة يحفل تاريخها بالإنجاز والتحدي من جهة وبالعلم والثقافة والحضور القوي، ثم بالعصامية والتأثير الواسع. علماً بأنني أعتمد في مقاربتي لها على معلومات غير موسَّعة أو مشبَّعة فهي إما سير تعريفية مختصرة منشورة على بعض

المواقع الالكترونية وإما معلومات حصلت عليها من أصدقاء كانوا على معرفة بهم أو على صلة بأقاربهم، أو معرفة شخصية بهم ومعاشرات مّا جمعتني مع بعضهم.

***

مشهور حشابرة، الزاهد

وأولى هذه الشخصيات هو الأستاذ المربي مشهور حشابرة، وكل حديث مر علينا في مذكّرات رجالات تهامة، أو حواراتهم خلال العشرين عاماً الماضية لا يخلو من ذكر الأستاذ والتربوي الكبير مشهور حشابرة، وأنه كان ضمن الكوكبة الأولى من التربويين والتنويريين المؤثرين في الحديدة، لكن أحداً منهم لا يتوسع في الحديث عنه منفرداً أويعرّف به ولو من خلال سطور قليلة، مع أن بصمات الرجل في مدينة الحديدة خلال خمسينيات القرن الماضي وحتى بداية التسعينيات من ذلك القرن، شاهدة على جهده وناطقة بفضله، حيث عمل في سلك التربية والتعليم مدرساً لمادة الرياضيات التي كان من عباقرتها كما يصفه زملاؤه وتلاميذه، لكن عمله لم يقتصر عليها، فقد درّس مادة اللغة العربية وكغيره من أساتذة ذلك الوقت فقد فتح أعين وآذان وعقول طلابه على المعرفة، وقادهم إلى قراءة كتب النهضة العربية الحديثة، خاصة كتب الرافعي والعقاد وطه حسين ومُحَمَّد عبده والكواكبي وغيرهم، ونتيجة لامتلائه بحس التغيير فقد كان من مناضلي ثورة السادس والعشرين من سبتمبر1962م إلى جانب زملائه في سلك التدريس والتنوير والتثقيف أمثال محمود كتري والعزي مصوعي ومُحَمَّد العديني وابراهيم صادق وعثمان عميره وعلي فاضل وعبدالله عجيلي وغيرهم.

أثر الأستاذ مشهور حشابرة كان جلياً في العدد الهائل من الطلبة الذين تتلمذوا على يديه على مدى أربعة عقود من الزمان، وما يلفت النظر هو عدد التلميذات اللائي نجبن على يديه فصرن مربيات مميزات ومنهن مديرات لبعض المدارس.

مشهور حشابرة ينتمي إلى أسرة حشيبرية انتقلت إلى مدينة الحديدة، ولا نعرف على وجه التحديد تاريخ انتقالها، وهو رغم انتمائه إلى جيل التعليم الحديث المفارق نوعاً ماً للنسق الحشيبري التقليدي، إلا أنه ظل يحتفظ من إرث بني حشيبر بثلاث خصال الأولى: تتمثل في الاشتغال التربوي والتنويري المثمر الذي أسلفنا بيانه، والثانية: تتمثل في ارتباطه بالحاضنة الأولى ومواظبته على زيارتها

وزيارة أوليائها، حيث كان يأخذ أسرته ويذهب إلى قرية الحشابرة كل سنة، الثالثة: تتمثل في الزهد والعزوف عن الدنيا وزخرفها حتى في أبسط ماهيّاتها، عُرض عليه أن يتولى إدارة التربيه والتعليم في محافظة الحديدة أيام كان الشيخ سنان أبو لحوم محافظاً لها لكنه رفض المنصب الرفيع وفضّل أن يبقى في سلك التدريس، ثم بعد زمن رضي أن يعين مديراً لإدارة التوجيه بمكتب التربية في الحديدة فحسب، وكان ذلك أيام محمود كتري، وبسبب باعه الطويل في العمل التربوي فقد كان ممثلاً لليمن عديد المرات في دورات وملتقيات وبعثات تربوية في مصر والسودان وسوريا.

ثمة خصلة أخرى يذكرها المجتمع التربوي الحديدي لمشهور حشابرة، وهي أنه كان من أكثر رجال النخبة التنويرية تشجيعاً لابتعاث الطلبة من أجل الدراسة في الخارج، وقد أسهم في ترشيح عشرات المميزين لارتياد مناهل العلم في بلدان متقدمة، وأشهر من يدينون له بالفضل في ذلك الدكتور مُحَّد إبراهيم مصطبة ومُحَّد عثمان حشابرة (أخوه)، فقد كان ابتعاثهما لدراسة الطب في روسيا منذ وقت مبكر وفي شدة حاجة أهل الحديدة لأطباء من أبنائها واحداً من منجزاته هو، فقد تخرجا سنة 1967م، وعادا ليقوما بواجبهما خير قيام.

مشهور حشابرة عاش حياته فقيراً ومات فقيراً، حتى الزواج لم يتزوج، فقد عاش في فترة ما من حياته تجربة حب لم يكتب لها النجاح لكنها صرفته عن النساء تماماً وظل عازباً حتى توفي في اكتوبر 1993م [1].

***

([1]) على صفحتي بموقع التواصل الاجتماعي فيس بوك كتبت منشوراً بتاريخ 28 يونيو 2017م انتقدت فيه غياب المعلومات التوثيقية لشخصية الاستاذ مشهور حشابرة، وقد رد الاستاذ محمد مقبول من مدينة الحديدة بتاريخ 4 / 7 / 2017م بتعليق على منشوري تضمن كل المعلومات التي وردت هنا عن ذلك المربي الفاضل.

محمد عثمان حشابرة، الرائد

كما ألمحنا سابقاً سيمتد في إطار الأسرة نفسها -أسرة حشابرة- من تجربة الأستاذ مشهور حشابرة تجارب أخرى على رأسها تجربة أخيه مُحَّد، وهي تجربة رائدة تضيف لرصيد التاريخ الحشيبري متكأً آخر هو الريادة الطبية الحديثة في تهامة.

ولد الدكتورمُحَّد عثمان حشابرة سنة 1942م في مدينة الحديدة، وهو الأخ الأصغر للتربوي ورجل التنوير الشهير مشهور عثمان حشابرة، وفي سنة 1956م عندما كان في الرابعة عشرة من عمره، انضم إلى المستشفى الأحمدي[1] بالحديدة، لم يكن وقتها ثمة طبيب يمني، كان هو وزملاؤه مجرد ممرضين، وكان الإمام قد استجلب مجموعة من الأطباء الروس والإيطاليين لتشغيل المستشفى، ورغم الخبرة العالية للأطباء الروس إلا أن تصرفات شائنة كانت تشوب عملهم كما يروي حشابرة في نتف من ذكرياته، كان التعامل مع المرضى يتسم بالعنجهية فهم مجرد حيوانات بين أيدي الأطباء، وكانت القسوة تصل أحياناً حد الضرب.

كان الممرض الصغير ومعه زملاؤه مُحَّد إبراهيم مصطبة، وعبدالله جون وأحمد صالح عبدالله،

([1])المستشفى الأحمدي وهو مستشفى بدأ الامام يحيى حميد الدين بناءه عام 1941م، على أطلال المستشفى العسكري الشهير الذي بناه العثمانيون عند منتصف القرن التاسع عشر، وتم تدميره بالكامل في 15 أغسطس سنة 1912م، جراء القصف الإيطالي لمدينة الحديدة أثناء صراع إيطاليا مع العثمانيين، ولعل ذكريات المدينة العابقة عن المستشفى الذي ظل لحوالي 60 عاماً أهم مستشفيات اليمن، هو ما حدا بالإمام لإعادة بنائه. وقد تصدى سيف الإسلام عبد الله بن يحيى حميد الدين نائب الإمام على الحديدة للإشراف على بنائه، وأطلق عليه فيما بعد اسم المستشفى الأحمدي، وقد بقي يحمل هذا الإسم حتى عام 1967م ثم أضيفت له منشآت جديدة وسمي (المستشفى الخيري) لكون المنشآت الجديدة أقيمت بتبرعات أهل الخير، ثم تم تغيير اسمه قبل نهاية عام 1967م إلى (مستشفى العلفي)، وهو لقب الضابط محمد عبدالله العلفي الذي حاول اغتيال الإمام أحمد في ذات المستشفى ليلة الثلاثاء 6 مارس 1961م، و انتحر بعد فشل المحاولة.أنظر(الحديدة من محطة للمسافرين وقرية للصيادين إلى مدينة نابضة بروح المعاصرة – صحيفة 26 سبتمبر العدد (1265)الخميس 8 يونيو 2006م)

وهم جميعاً في مثل سنه يتألمون كثيراً بسبب الوضع الشائن الذي يرونه، والمصادفة أنهم الأربعة كانوا من ذوي الطموح.

مُحَّد عثمان حشابرة الذي يتلقى شحنات التحفيز من خلال حضوره مثاقفات جيل التنوير الكبار الذين يتوسطهم أخوه التربوي الشهير مشهور حشابرة، بدأ يفكر في دراسة الطب، وتحول هذا التفكير إلى هاجس يخامره كل يوم، وبدأ يطرح الموضوع بإلحاح على طبيب من البعثة السوفيتية، الطبيب أوزبكي اسمه عبد الرحيم، كان يختلف في تعاطيه مع المرضى والممرضين عن بقية الأطباء السوفييت، وكان يلفت نظره ذكاء اليمنيين وتوقد قرائحهم، فاستغل قربه من الإمام أحمد حميد الدين وطرح عليه ضرورة إرسال طلاب يمنيين في منح إلى الاتحاد السوفيتي لدراسة الطب.

لا قى مقترح الدكتور عبد الرحيم استحسان الامام، وتم اختيار اثني عشر طالباً من الحديدة وصنعاء وتعز، وكان مُحَّد عثمان حشابرة ضمن مجموعة الحديدة، وهو يحكي أنه وزملاءه قاموا بالتموية على أمهاتهم اللائي لم يكُّن ليستوعبن سفر أولادهن الصغار إلى بلد بعيد ومجهول.

ويذكر أنه عند وصولهم إلى روسيا سنة 1957م كانوا يجهلون كل شيء عن العلوم الحديثة مما اضطر الجهة المانحة إلى تأهيلهم أربع سنوات درسوا خلالها الكيمياء والفيزياء والرياضيات واللغة الروسية ثم بعدها أدخلوهم إلى كلية الطب.

تخرج حشابرة وزملاؤه بعد عشر سنوات من بداية بعثتهم، وعادوا سنة 1967م، كانت الثورة قد قامت، وكانت البلاد تغرق في حرب أهلية طاحنة، وكان المستشفى الأحمدي قد تدهور بسبب الأحداث وكانت مبانيه التي تقع خلف مباني مستشفى العلفي اليوم لا تفي بحاجات المرضى. وقد استغل هو وزملاؤه زهو اللحظة كونهم طليعة الأطباء في الحديدة، ولهم مكانة ورأي ووزن واحترام فطرحوا على محافظ الحديدة الشيخ سنان أبو لحوم ضرورة تطوير المستشفى، وتوسيع مرافقه وتجهيزه على نحو يواكب العصر، والتقط المحافظ المبادرة ليحولها إلى واقع عن طريق دعوة التجار إلى التبرع، وبالفعل تم بناء مستشفى حديث حمل اسم (المستشفى الخيري)، هو نفسه المستشفى الذي سيحمل بعد أشهر قليلة من بدء تشغيله اسماً جديدا هو (مستشفى العلفي).

حين بدأ حشابرة عمله طبيباً، كانت الآمال والطموحات تملأ نفسه، وكان ينظر إلى مهنته

بوصفها عملاً مقدساً، لذلك كان تفانيه في العمل يفوق الحدود، فهو لا يتقيد بوقت ولا بدوام، ولم تكن علاقته بالمرضى تقتصر على المستشفى أو العيادة، بل كان يذهب لمعالجة الناس في بيوتهم، وكان هو وزملاؤه يتصدون لمواقف وحالات طبية تستوجب وجود تجهيزات يستحيل وجودها في اليمن إبان ذاك، مع ذلك فقد كانت شجاعتهم استثنائية في مواجهتها، وغالباً ماكان النجاح يحالفهم، ولم يكن هو وزملاؤه يستلمون مقابلاً مادياً فقد كانوا يعالجون الفقراء والميسورين على حد سواء دون تفكير في المقابل المادي، ولعل قصة زميله الشهيد الدكتور مُحَّد إبراهيم مصطبة تنفع هنا كشاهد على الحا لات التي كانوا يتصدون لها.. فقد تعرض عبد الرحمن شقاب وهو واحد من التجار وملاك الأراضي إلى محاولة قتل على أيدي عمال مزرعته، حدث ذلك بعد خلاف استشرى بينه وبينهم، فتربصوا له ذات ليله، وباشروا ذبحه بسكين، غير أنه أفلت من الموت، وتم إسعافه، كانت حالته حرجة فقد نال الأذى شرايينه وأوردته، حين أدخل إلى المستشفى فتصدى للحالة الدكتور المميز مُحَّد ابراهيم مصطبة، لم تكن الأجهزة والأدوات اللازمة لحالة كهذه تتوافر في المستشفى، وكان الموقف صعباً فثمة إنسان يموت ببطء، لكن شجاعة الدكتور مصطبة كانت تفوق كل تصور، فقد اجتهد طوال عشر ساعات كاملة دون كلل في ربط الأوردة والشرايين الممزقة وتركيب حنجرة عوض الحنجرة التي تلفت، كل ذلك فعله بإمكانات بسيطة وبمساعدة فريق من الممرضين ذوي التأهيل البسيط.

كان نجاح العملية مذهلاً، ومع ذلك فقد كان التاجر غير مطمئن لمعرفته بتواضع إمكانات المستشفى، وعدم ثقته بالطبيب المتخرج حديثاً، وربما كان في الخلفية من تفكيره أن الخارج أفضل أطباءً وإمكانات حسب المعتاد.

وما هي إلا أيام حتى توجه جواً إلى أسمرة التي كانت وقتها قبلة للاستشفاء يرتادها الناس من الشرق الأوسط وإفريقيا، حيث تعج مشافيها بخيرة الخبرات الطبية من إيطاليا وفرنسا وألمانيا.

قصد شقاب أفضل الأطباء شهرة وخبرة في أهم مستشفيات أسمرة. لكن حالته فاجأتهم.

سألوه: أين أجريت هذه العملية؟

قال لهم: في الحديدة — اليمن

سألوه عن المستشفى الذي أجريت له العملية فيه، ما هي إمكاناته ؟

أجابهم: لاشيء سوى الخيط والإبره والشاش

سألوه: كم عدد الأطباء الذين قاموا بالعمليه؟

قال: دكتور واحد ومعه بعض الممرضين

سألوه:ألا يوجد كنستلوا من الأطباء ؟(بروفيسور الأوردة الدموية، بروفيسور التخدير، بروفيسور جراح، . والبروفيسور الكبير الذي نفذ العملية)

ضحك وقال لهم، أنا جئت كي أجري العمليه عندكم وأنتم (زيدتم الأسئلة)

استدعت إدارة المستشفى كبار أطبائها، وأدخلوا شقاب غرفة العمليات، وشكَّل الأطباء كونستلواً كبيراً فقد وجدوا أنفسهم أمام حالة مبهرة، كيف تمت مثل هذه العملية في بلد فقير كاليمن.

التاجر عبد الرحمن شقاب الذي جاء إلى أسمرة خائفاً على حياته، وجد الأطباء يقولون له: عد إلى بلدك فعمليتك ناجحه 100% ولن يجروء أحد في العالم على القيام بها وحده، وفي ظل عدم وجود الإمكانات المتطورة، كما فعل طبيك، إن لديكم طبيباً متمكناً لا يضاها في مهارته.

بعد تلك العملية عاش عبدالرحمن شقاب زمناً طويلاً، وكان يمارس حياته بشكل طبيعي دون أية مضاعفات أو متاعب، وقد أنجب عدداً من الأبناء بعد تلك الحادثة.

وكان عقب عودته من أسمرا يحكي لزواره الكثر ما جرى بينه وبين أطباء أسمرة، وذلك أدى إلى استطالة شهرة الطبيب الشاب مُحَمَّد ابراهيم مصطبه، حتى لقد تحول إلى ملهم لجيل من الطامحين[1]

ذلك كان مجرد أنموذج لبراعة وشجاعة وتفاني مجموعة صاحبنا الدكتور مُحَمَّد عثمان حشابرة، وقد كان لابد من الاستشهاد بهذا النموذج الذي لا شك في تكرار مثله مع حشابرة ومع الآخرين،

([1]) من مقال بعنوان: الشهيد الدكتور محمد إبراهيم مصطبة للأستاذ عبد الوهاب عبدالله يوسف، على صفحته في فيس بوك بتاريخ 6 أكتوبر 2014م https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid تمت المشاهدة بتاريخ 19 يونيو 2018م ثمة استطراد هنا يتعلق بمصطبة فهذا الطبيب الموهوب الشجاع تمت تصفيته بطريقة مؤسفة، بقنبلة يدوية، على يد غادر يدعى يحيى الوادعي، وقد أعدم القاتل (التفاصيل في نفس المقال)

بيد أن سمة التواضع عند حشابرة وأمثاله من جهة، وسمة عدم التوثيق في أوساط النخبة الحديدية المثقفة من جهة أخرى قد أضاعا أشياء كثيرة مع الأسف الشديد.

أول راتب استلمه الدكتور حشابرة كان مبلغ أربعمائة ريال، وقد قال حين أدلى بهذه النتف من ذكرياته سنة 2010م، أنه أحيل إلى التقاعد عام 2004م براتب 55 ألف ريال، إلا أنه نظراً لكفاءته وخبرته الطويلة وتقديراً لدوره في تأسيس مستشفى العلفي في الحديدة، فقد تم التعاقد معه من جديد براتب إضافي (20 ألف ريال)، ليواصل عمله مديراً فنياً لمستشفى العلفي إلى جانب ممارسته لمهنته في عيادته الخاصة التي يعمل بها خارج الدوام الرسمي، وكان وقتها بكامل صحته حسب الصحفي عبد الرزاق البريهي الذي حاوره لصحيفة الجمهورية [1]

تم تكريم الدكتور حشابرة في حفل كبير أقامته محافظة الحديدة بتاريخ 6 مارس 2014م، وقد ألقى هو كلمة الأطباء المكرَّمين تقديراً لريادته ومكانته في التاريخ الطبي لمدينة الحديدة [2].

***

([1]) اعتمد هذا الملمح على مقابلة أجراها معه عبد الرزاق البريهي ونشرت في الجمهورية يوم 04 – 04 – 2010م وهي موجودةة على موقع يمرس https://www.yemeress.com/algomhoriah/2106871 تمت المشاهدة بتاريخ الثلاثاء 19 يونيو 2018م

([2]) نشر خبر االتكريم في موقع وكالة الأنباء اليمنية سبأ

http://www.sabanews.net/ar/news343891.htm تمت المشاهدة يوم الثلاثاء 19 يونيو 2018م

عبد اللّه الضحوي، الموسوعي

أما الأديب العلَّامة عبدالله إبراهيم الضحوي الحشيبري، فقد كان حالة فريدة، ليس في سلك الحشابرة عموماً فحسب. بل بين كل مجايليه في تهامة وفي اليمن كلها.

كنت في ثمانينيات القرن العشرين قد شاهدته مراراً على شاشة التلفزيون، لكن أول لقاء لي به كان في حفل أقيم في (دير المفصل) مديرية القناوص، وكان ذلك بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج في 9 فبراير 1991م، ليلتها ألقيت قصيدة في مدح النبي ﷺ،

يقول مطلعها:

هذي لذكراك تقضي بعض ما وجبا	**ياليلـــة ذاع فيهـــا النـــور وانكتبـــا**
هاجــت بلابــل أشــجاني وأشــعلني	**شــوق سـرى في الحنـايا ثمـت التهبـا**
وطوحــت بي مــع التحنــان عاصــفة	**مـن الهـواجس حتى صحـت واحـربا**
ياســـيدي يا رســـول الله معـــذرة	**إن خـــاني مقـــولي أو لج واضـــطربا**

والقصيدة طويلة جداً، طرب لها الضحوي طرباً كبيراً وحين وضع العشاء بعد الحفل قال: أنا لا أتعشى، لكني أقسمت أن أطعمك بيدي تعبيراً عن إعجابي بقصيدتك، قبَّلت رأسه ويده استعفاءً مما عزم عليه، وإجلالاً له، لكنه أبى وأصر إلا أن يفعل حتى تدخل الأستاذ عثمان زين رحمه الله وقال لي: كل من يده لقمتين أو ثلاثاً فقد أقسم، ثم إن هذا شرف لك ستذكره طيلة حياتك فتركته يطعمني وأنا أقبِّل يده بعد كل لقمة.

ولعل هذه الحادثة تصلح مدخلاً للحديث عن الضحوي فالرجل يظل في مقياس العظماء نسيج وحده، كان (عالماً فقيهاً، أديباً، شاعراً، حكيماً، ظريفاً، متواضعاً، حديدي الذاكرة، خفيف

الظل، عصامياً، كبير المنفعة لإخوانه)[1] ولعل هذا أقل ما يمكن أن يقال عنه، وهو من أعلام الحشيبريين النادرين الذين لم يحملوا لقب الأسرة، فقد انتقلت أسرته من مدينة الضحى – إحدى حواضن الأسرة الحشيبرية الأم – إلى مدينة الدريهمي جنوب الحديدة بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجري فنسبها الناس هناك إلى مأتاها [2]، وهكذا فقد ولد الضحوي سنة 1939 بمدينة الدريهمي في أسرة فقيرة تعمل في الحياكة، وقد مارس هذا العمل في مقتبل حياته.

بدأ دراسته بحفظ القرآن على يد عمه الفقيه حسن عبدالله الضحوي، وتعلَّم الخط وبعض علوم العربية على يد الأستاذ مُحَمَّد بن سيف الحارسي ، قبل أن ينضم إلى حلقات المساجد ناهلاً شتى علوم الدين والأدب على أيدي كوكبة من العلماء يتصدرهم السيد يحي بن عمر مقبول الضرير، وهو ممن أثروا فيه تأثيراً عميقاً، كما درس على أيدي المشايخ يحيى بن إبراهيم الضحوي والشيخ يحيى أحمد جزاز والشيخ أحمد عوض صديق.

انتقل بعد ذلك إلى الحديدة ليتلقى العلم على علماء من بيت المكرم، وقد استصفاه العلَّامة عبد القادر بن يحيى المكرَّم صديقاً وتلميذاً، وكان ثاني شيوخه من حيث التأثير فيه علمياً وسلوكياً.

وفي الحديدة صار الضحوي إحدى علامات المكان فهو بدون شك إضافة لها ولناسها، وقد استفاد من دأبه على خدمة الناس الكثير من أبنائها، وبدأ تميزه هناك منذ دخلها فقد انخرط في سلك التدريس مبكراً فكان يدرس نهاراً في المدرسة السيفية، ويواظب ليلاً على حلقات مشائخ العلم، وبعد أن حصل على شهادة مشاركة في دورة تدريبية عن أصول التدريس عام 1966م عيِّن مديراً لمدرسة الوعي، وهي نفسها المدرسة التي كان يدرُس فيها حين كانت تسمى المدرسة السيفية قبل ثورة سبتمبر عام 1962م (سميت بعد ذلك مدرسة خولة). أثناء هذا حصل على شهادة ثانية

([1]) انور الطيب، منتدى الدريهمي السياحي بتاريخ 10 أغسطس 2010م،تمت المعاينة بتاريخ 20 /7 / 2017م
http://aldoryhemy.yoo7.com/t36-topic

([2]) جدهم المنتقل إلى الدريهمي هو حسن علي بن أبكر بن علي الحشيبري، حقق ذلك الأديب الأستاذ أحمد حسن عياش يعقوب، في كتابه (نشر المطوي من تاريخ أعلام، بني الضحوي) وهو كتاب لم ينشر بعد، تفضَّل هو بإرسل فصل منه إليَّ بتاريخ 22 يونيو2018م

في دورة تدريبية للمعلمين العرب في بيروت عام 1965م، وفيما بعد حصل على معادلة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية سنة 1972م، وعمل خطيباً لجامع القصر الجمهوري لمدة ثلاثين سنة، إلى جانب ذلك عمل مشرفاً عاماً على التربية والتعليم والمحكمة الشرعية بجزيرة كمران، وفي عام 1974م اختير عضواً في لجنة التصحيح بالمحافظة لشئون العدل والأوقاف والتربية، وانتخب عام 1978م عضواً في هيئة التعاون الأهلي، كما اختير في نفس العام عضواً بمجلس الشعب التأسيسي، وظل عضواً فيه أحد عشرعاماً حيث كان مقررًا للجنة تقنين أحكام الشريعة الإسلامية، وفي عام 1993م انتخب عضواً في مجلس النواب ثم أعيد انتخابه في عام 1997م، أيضاً كان عضواً في جمعية علماء اليمن، وفي أثناء ذلك كله شارك في عدد من بعثات الحج مرشدًا وواعظاً، كما شارك في العديد من الوفود والبعثات الرسمية مثل الوفد البرلماني اليمني إلى كوبا والوفد البرلماني إلى سوريا عام 1982م، وحضرمؤتمر الوحدة الإسلامية في طهران، والملتقى الثاني عشر للتقريب بين الأديان في طهران أيضاً، وشارك في محافل أدبية خارجية منها مهرجان ثقافي أقيم في ليبيا، ومهرجان آخر في أبو ظبي، ناهيك عن مشاركاته في ندوات أدبية وشعرية احتضنتها المنابر الأدبية اليمنية في الحديدة وصنعاء وتعز.

وقد (مثَّل خلال خدمته للوطن كخطيب وواعظ ديني نموذجاً للوسطية والاعتدال، وقدوة حسنة في سلوكه وفي أداء واجبه) حسب النعي الرئاسي له يوم وفاته الجمعة 1 أغسطس 2008م.

نشر الضحوي الكثير من شعره في الصحف والمجلات الوطنية والعربية، وأصدر ديواني شعر هما (خلجات قلب) سنة 2000م، (تراتيل الجداول) سنة 2005م ولعل الكتاب الذي كان منتظراً ورحل قبل أن يطبعه هو كتابه (نوادر عربية ومُلح أدبية.)

يفرض محفوظ الضحوي الواسع نفسه على تجربته الشعرية، التي يجب التعامل معها بحسب امتثالاتها لذلك التراث من جهة، وبحسب تصوره هو للشعر وفهمه لوظيفته وجمالياته، وهنا سنجد أنفسنا أمام وجوه متعددة، منها الروحاني الصوفي الذي تمثله قصائد مثل (ليلة القدر) التي تتسايل أنوار السماء في ألفاظها وصورها على هذا النحو:

بسمةُ الحقِّ تجلَّتْ فَلَقَا　　　　ملأ الغربَ سنا والمشرقا

قُدُسـيّ النـورِ علْـويّ السـنا   صـيِّب الآلاء يمحـو الغسـقا

سـطَعَتْ أنـوارُهُ في ليلـةٍ   أبـدع الله بهـا مـا خلقـا

أُنـزِل القـرآنُ فيهـا والتَقـى   كـل أمـرٍ مـن سـناها فُرقـا

ليلـةُ القـدر ومـا أدراك مـا   ليلـةُ القـدر جـلالاً وتُقـى

تنـزل الأمـلاك مـن عليائهـا   وبهـا الـروح على الأرض التَقَى

بعـث الله بهـا مـن روحِـهِ   نَفَسـاً يمـلأ منهـا الأفُقـا

هي خيرٌ في هـدى الإسلام من   ألـف شـهرٍ في سمـوٍّ وارتِقـا

مهرجـانٌ أزليٌّ خالـد   وجـلال الله فيهـا أشـرقا

من غروب الشمس حتى مطلعٍ   لـرؤى الفجـر نـدياً مشـرقا

يتجلـى الله فيهـا مانحـاً   سـائلاً مـا يرتجيـه مشـفقا

ليلـة الـبِرِّ ومـن آياتهـا   منْحُهـا الأرواح طهـراً وتقـى

وجـلال الحـق فيـاض علـى   هـذه الـدنيا بطيـب عَبِقـا

مَـن لهـا بالخـير يرعـى هـدْيَها   ويواتيهـا بصـدقٍ موثقـا؟[1]

كذلك يتجلى هذا المنحى الروحاني الصوفي في قصيدة أخرى بعنوان (مناجاة) منها:

أ مـولاي يا رب السـمواتِ يا ربي   لِعـزّك أشـكو ربّ مـن قسـوة القلـبِ

([1]) القصيدة مأخوذة من معجم البابطين للشعر العربي

http://www.albabtainprize.org/encyclopedia/poet/0989.htm تمت المعاينة بتاريخ 30 يوليو 2017م

وأشكو هوى نفسي وكثرة ميلها　　　إلى بهرجِ اللذاتِ واللهو واللعب

إذا وُجّهتْ للخير فهي عصيَّةٌ　　　تفرُّ من التقوى وتجنح للعجبِ

وأشكو قصورًا عن مراتب خشيةٍ　　　تؤدي إلى كلِّ الحلالِ من الكسبِ

وأشكو ذنوبًا ناء ظهري بحملها　　　وما زلتُ منها في شديدٍ من الرعبِ

تُقفِّي متى استسلمت للنوم مهجتي　　　وتجعلني لا أستريح على جنبي

يُغصّصني ذكري لها وتخوفي　　　عواقبها حتى أجلَّل بالكربِ

لها انهلَّ دمعي فوق خدِّيَّ حسرة　　　وصرت حزينًا آسفًا ذاهلَ اللُّبِ

وأستعرضُ الأعمال منذ طفولتي　　　إلى أن بلغت اليوم مرحلة الشيبِ

فلم ألق فيها ما يطمئن مهجتي　　　سوى النَّزر منها ليس يسلم من ذنبِ[1]

ومنها الغزلي الذي تمثله قصائد من نوع (عديني بالوصال) والتي يقول فيها:

بنفسي فتاةً زانها حليةُ العِقْدِ　　　تميس كغصن البانِ في أسمر القدِّ

مرنَّحةَ الأعطاف ناحلةَ الحشا　　　وبين ربى أوجانِها روضةُ الورد

تراها تصيدُ الأُسْد وهْي غزالة　　　ومن عجبٍ صَيْدُ الغزالةِ للأُسْد

تُريكَ ضياءَ الصبح فوق جبينها　　　وتُلفِى ظلام الليل في شَعرها الجعْد

وفي وجهها ذات الوقود تسعَّرتْ　　　فواعجباً من حولها جنة الخلد!!

([1]) النص من مادة كتبها الأستاذ محمد شنيني،صفحة أعلام وقيادات ورواد التربية والتعليم بمحافظة الحديدة، بتاريخ 23 مايو 2018م،https://www.facebook.com/eduhod2014/?hc_ref تمت المعاينة بتاريخ 21 يونيو 2018م

ومقلتهـــا هـــاروتُ تلميـــذُ سِـــحْرها لفتنـــةِ خلْـــق الله صـــوَّرها الـــمُبْدي

وفي ثغرهـــا خمـــرٌ وشـــهْدٌ لراشـــفٍ فيالـــكَ مـــن خمـــرٍ، ويالـــكَ مـــن شـــهد

إذا ضـحكتْ مـا الـبرقُ عنـد لموعـه وإن أسـفرتْ مـا البـدر في ليلـة السـعد

وقالـت لهـا شمـس النهـارِ: ألا اطلعـي فأنـتِ رضـعت النـور مـنيَ في المهـد

جننـــتُ بهـــا عشـــقاً وتهـــت بحبهـــا وأُخفـي غرامـي، والـدموع لـه تُبـدي

بثثْـتُ لهـا شـكوايَ مـن سـقْم بُعْـدها وقلـــت لهـــا: بالله يا غايـــة القصـــد

سـفكت دمـي في الحـب وهْـو محـرَّم ففـي أي شـرعٍ حـلّ قتْلـي علـى العمـد

أسلْمَى إلى كم ذا التمادي على الجفا كلَمْـــتِ فـــؤادي بالقطيعـــة والبُعـــد

وأجَّجـــتِ نار البـــين بـــين جـــوانحي وأقصيت لي نـومي، وأدنيت لي سـهدي

وصـــيَّرتِني ميْـــتَ الصـــبابة والجـــوى أروح وأغـــدو راكبًـــا مركـــب الوجـــد

وأجريـــت بالبـــين المشـــتِّت عَـــبْرتي فهـذي دمـوعي هـاطلات علـى خـدي

ومنـــكِ ليَ التعـــذيب يحلـــو وإنمـــا إذا لم يكـــن يا منيـــة الـــنفس بالصـــد

ألا فعِـــدِيني بالوصـــال وأخلفـــي فـــإنَّ ســـقيم البعـــد يأنـــس بالوعـــد

فقالـت وقـد أبكـى عتـابي عيونَهـا: وحقِّ الهوى يا خِلّ ما البعد من قَصْدي

ولسـت بمـن ينسـى الـوداد ومـا أنا بناقضـةٍ عهـدي ولا حلـتُ عـن ودّي

وزارت سُـحَيراً بعـد هجعـة حسَّـدي فعطَّـرتِ الأرجـاء مـن عَرْفهـا النـدّي

وبِتْنـــا وفي بـــرد الصـــفاء اعتناقنـــا ويا حبـــذا بـــرْد التعـــانق مـــن بـــرد

كـــلانا غريـــق في المســـرة مـــؤنس يجـرُّ ذيـول اللهـو في عرصـة السـعد

إلى أن أضـــاء الصـــبح وهـــو مـــذكِّر بوجـــه نـــبيِّ الله مســـتوجب الحمـــد

عليــــه صــــلاة الله، ثم ســــلامه وآلٍ وصــحب قــد سمَــوا قمَّــة المجــد[1]

ومنها الهزلي، وقد اشتهر له في هذا الباب طرائف كثيرة، نورد هنا ما رواه الأستاذ الباحث أحمد حسن عياش يعقوب إذ يقول: كان شيخنا الأستاذ عبد الله إبراهيم الضحوي ـ رحمه الله ـ مرحاً ظريفاً فكاهياً طريفاً تلقائي الطرفة والنكات دون تكلف، يحفظ العديد من الطرائف والنوادر طريفها وتليدها، وكان يعمل بعض المقالب مع بعض الأصدقاء، ومن الطرائف التي رواها لنا بلسانه في واحد من تسجيلاته الصوتية، ورواها لنا أستاذنا ومربينا الفاضل العزي بن أحمد الناشري ـ رحمه الله ـ أكثر من مرة هذه الطرفة.

قال الأستاذ عبد الله: كان الناشري يسكن بالدريهمي، وكنت قد توطنت الحديدة، فأرسل لي طبعة تنباك هدية، فشربتها، ثم كتبت إليه:إنكم قد عودتمونا أن ترسلوا إلينا هدية من التنباك، فأرسلوا فورا

فأجاب عليَّ قائلا:يا أستاذ المدارس التِّتن جالس، ولكن من دونه ألف حارس

فأخذت هذه القوافي، وكتبت إليه من هنا أقول له:

كَتَـبْتُ أَلَيْـكَ يَا زَيْـنَ الْمَجَـالِسْ لِتُنْـــبَاكٍ تَلَـــذُّ بـــهِ الْهَـــوَاجِسْ

وَنَفْسِـــيْ تَسْـــتَرِيْحُ بِـــهِ وَعَقْـــلِيْ أَجَبْـتَ عَلَـيَّ أَنَّ التُتْـنَ جَـالِسْ

وَلَكِـــنْ دُوْنَـــهُ الْحُـــرَّاسُ أَلْـــفٌ فَقُلْـتُ وَلوْ يَـزِيْدُوْا أَلْفَ حَـارِسْ

فَمَـــا لَـكَ يَا عَــزِيْزِيْ أَيُّ عُــذْرٍ سَأَقْبَـــلُهُ أَيَا نُـــوْرَ الْحَنَـــادِسْ

فَأَرْسِـــلْ لِيْ بِتُتْـــنٍ قَـــدْ تَـــرَقَّى إِلَى العَـــلْيَا يُزِيْـلُ لِيَ الْوَسَـــاوسْ

وَعَبَّـاسِيْ يَكُـوْنُ عَلَـى مُـرَادِيْ بَلِـيْدُ الْقَـوْمِ مِـنْهُ يَعُـوْدُ سَـايسْ

فَــأِنْ أَرْسَلْـتَهُ نَحْـويْ فَقُــلْ لِيْ إِذاً أِنْ شِـئْتَ أُسْـتَاذَ الْمَـدَارِسْ

([1]) معجم البابطين للشعر العربي مصدر سابق

وَأَمَّا الْمَدْحُ لِيْ مِنْ غَيْرِ تُتْنٍ　　　كَمَنْ لِلْغَرْسِ بَيْنَ الْجَوِّ غَارِسْ

فَذَاكَ مِنَ الْمُحَالِ وَلَيْسَ يَكْفِيْ　　　فَلاَ تَكُ أَنْتَ لَلتَّحْقِيْقِ عَاكِسْ

فاشترى لي طبعة، وأرسلها إليَّ،

ومعها بعض الأبيات آخرها قوله:

وَهَاكَ إِلَيْكَ يَا فَخْرِيُّ تُتْناً　　　يَكُوْنُ لَدَيْكَ لَمَّا أَنْ تُعَارِسْ

فشربت تلك الطبعة، وكتبت إليه ننتقل من حرف السين إلى حرف الشين، فأفاد: أن القافية ستكون على(ما فيشي)فكتبت إليه:

عِزِّيْ بْنَ أَحْمَدَ يَا مَنْ صِرْتَ شَاوُوْشِيْ　　　الْبُعْدُ أَوْحَشَ قَلْبِيْ أَيَّ تَوْحِيْشِ

أَرْسِلْ إِلَيَّ بِتُتْنٍ لاَ نَظِيْرَ لَهُ　　　يَكُوْنُ أَحْسَنَ تُتْنٍ فِيْهِ تَنْعِيْشِيْ

يَسُرُّنِيْ أَنْ أَكُنْ قَفَّشْتُ مُدْعَتَنَا　　　أَوْ أَنَّ مُدْعَتَنَا مِنْ غَيْرِ تَقْفِيْشِ

يَسُرُّنِيْ سَيِّدِيْ مِنْ حِيْن أَنْظُرُهُ　　　مِنْ حِيْنَ امُدُّ يَدِيْ يَا شَهْمُ لِلنِّيْشِ

أَرْسِلْهُ لِيْ سُرْعَةً أِنِّيْ شُغِفْتُ بِهِ　　　وَاحْذَرْ وُقِيْتَ الرَّدَى مِنُ قَوْلِ مَا فِيْشِيْ

فلم يشتر لي، بل أجاب قائلا:

كَمْ مِنْ مُوَلَّعْ بِأَكْلِ الرُّزِّ وَالْعَيْشِ　　　فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مِنْهَا وَاتْرُكَ امْنِيْشِيْ

مَا يَنْفَعُ التُتْنُ وَالأَحْشَاءُ خَالِيَةٌ　　　فَلَسْتَ تَقْدِرُ مِنْهَا أَنْ تُوَطِّيْ شِيْ

حَنَّبْتُ نَفْسِيْ بِكُمْ لَمَّا وَهَبْتُ لَكُمْ　　　كَنَّكْ مُرَادَكْ أَكُنْ فِيْ النَّاس مَا ابْدِيْشِيْ

مَا فِيْشْ مَا فِيْشْ يَا فَخْرِيّ مَا فِيْشِيْ[1]

([1]) نشرها الأستاذ أحمد حسن عياش يعقوب على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك بتاريخ 14

واشتهرت له مساجلات مع صديقه وابن بلدته حسن مقبول الأهدل تقع بين المزاح والمهاجاة، وكان موضوعها تعدد الزوجات، الضحوي يرفضه أو يتحفظ عليه ويفتي بتقييده، والأهدل يدعو إليه ويمارسه، وقد لاقت تلك المساجلات وقتها (سنة 1997م)، صدى واسعاً بين عشاق هذا النوع من الشعر في حواضن الشعر التقليدية ومنتدياته.

ورغم مرحه الفائض وانبساطه وبشاشته، إلا أن دموعه كانت كثيرة، تتجلى خاصة في بكائياته على الراحلين من علماء البلاد وصلحائها وله في هذا الباب مطولات تطول وقفتنا بإيرادها، ونكتفي هتا بمقتطف مما قاله في وداع شيخ الإسلام منصب المرواعة السيد العلّامة الحسن بن أحمد بن عبد الباري الأهدل:

بحر من العلم والأداب يندفن أم كوكب في طباق الأرض يرتهن
أم أمة أزمعت عنا الرحيل إلى دار الخلود التي فيها لها سكن
أم عالم من كرامات ومكرمة بكت لفرقته في ساحها اليمن
نعم إمام علوم لا عداد لها ولا يعادلها قدر ولاثمن
نعم منار هدى عزت نظائره تدري سهول الحمى علياه والحزن
شيخ جليل عظيم ماجد علم شهم كريم تقي فاضل فطن[1]

وفي شعره حيز واسع للشعر الوطني والدعوي وغيرهما من الأغراض التي طالما اتسمت كتابته لها هو سربه من شعراء الحديدة بالمناسباتية، إذ تستدعيها الاحتفالات والمناسبات الدينية والوطنية، وكانت قدرته على النظم تجعل تدبيج قصيدة في غرض من هذا النوع سهلة يسيرة، لا إجهاد فيها ولا عنت، لذلك فإنه كثيراً ما كان يسخر من هذا النوع من الكتابة الشعرية فيسميه (خبز طاوة) [2]،

يوليو 2013م https://www.facebook.com/profile.php?id=100005366768946&hc_ref تمت المعاينة بتاريخ 21 يونيو 2018م.

([1]) الهاشمي الأهدل، المجلس اليمني، موضوع عن (السيد الشريف الحسن بن احمد بن عبدالباري الأهدل) بتاريخ 11 فبراير 2009م https: //www.ye1.org/ forum/ threads/ 103548/ page-17 تمت المعاينة في 13 يونيو 2018م

([2]) منتدى الدريهمي السياحي، مصدر سابق

إذ وجه الشبه بينه وبين (خبز الطاوة) هو كون هذا الخبز يُعمل بسر عة، وينضج بسرعة ويعد مجرد وجبة خفيفة لا طائل من ورائها.

هناك مجموعة من السمات البارزة في شخصية الضحوى، منها موسوعيته التى يجتمع فيها المحفوظ من الكتب شعراً ونثراً ونصوصاً دينية وعلمية، والمحفوظ من التراث الشفاهي حكايات وشعراً، ناهيك عن تمتعه بالحضور البشوش والجاذبية الشخصية والسرد السلس المطعم بالمُلَح والنوادر والنكات، وتميزه بخفة الظل وسرعة البديهة.

لذلك كان يجذب الناس إليه بسهولة، ويأسرهم بعذوبة بالغة. وهنا شهادة لأديب شامي تؤدي الغرض تماماً في هذا السياق، إنه الدكتور حسن الأمران الذي كتب يقول (في رمضان من هذه السنة، 1425، كنت في الإمارات العربية المتحدة، حيث حضرت مؤتمر الهدي النبوي، وشاركت في إلقاء بعض الدروس والمحاضرات التي تنظمها وزارة العدل والأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الإمارات كل رمضان، بدعوة كريمة من المغفور له سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله تعالى. وكان ممن لقيتهم هناك رجل من اليمن، عالم وشاعر، هو الشيخ عبد الله بن إبراهيم الضحوي، وقدَّر الله تعالى أن نترافق فترة من الزمن في أبي ظبي ثم في الشارقة، وكانت تلك الرفقة مناسبة للتداول في قضايا العلم والأدب، وقد أنست إلى الشيخ عبد الله وأنس لي، وأبدى سعادته لأني كنت أجاريه فيما يثيره من قضايا العلم والأدب، وكان يعجب من مجاراتي إياه. والحق أنه كان أكثر محفوظا مني، إنما كنت أجاريه – في بعض الأحيان – دراية لا رواية، ومن ذلك أنه ساق إليَّ هذا الخبر:غنت جارية بحضور عدد من الوجهاء والعلماء، وكان من بينهم أبو العباس المبرِّد:

وقالوا لها: هذا حبيبك مُعْرِضٌ فقالت ألا إعراضه أيسر الخطب
فما هي إلا نظرة بتبسم فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فقلت مُعْرِضاً)، فقال مبتسما ومتعجبا: نعم. وظن أني أعرف القصة من قبل، فطمأنته أني لا أعرفها، وطلبت منه إتمام الخبر، فقال: فطرب جميع من بالمجلس إلا المبرَّد، فقالت الجارية: دعوه، فقد ظن أنني أخطأت في إنشادي هذا: حبيبك معرض)، وما علم أن ابن مسعود قرأ: وهذا بعلي شيخٌ) بالرفع.قال: فطرب المبرَّد طربا كاد معه يشق ثوبه لفطنة الجارية وعلمها بالقراءات.

وكان الشيخ الضحوي حافظاً، فكان أن أملى عليَّ قصيدة من محفوظه في أكثر من خمسين بيتاً، في نظم أسماء سور القرآن الكريم، قال إنه سمعها من شيخه سيدي مقبول الأهدل منذ خمسين عاما.ثم افترقنا وأنا أَعجب من قوة حافظته، وأُعجب بهذه القصيدة التعليمية الجميلة.وتساءلت:لم انصرف الناس عن مثل هذه المنظومات؟ وما المانع من إحياء هذا النمط من الكتابة الشعرية؟

ثم ما شعرت بعدما خلوت إلى نفسي إلا والشعر يتدفق على لساني، مجاريا قصيدة الشيخ الأهدل، لا من باب المعارضة، فرويّ قصيدته الراء ورويّ قصيدتي الدال، وإن كانت القصيدتان معا من الكامل، إنما جاريته من باب القصد والغرض)[1]

تختصر شهادة الأمراني جملة من مواهب الضحوي التي أسلفنا بسطها، ومنها التهذيب والقبول ولين الجانب وحسن الصحبة والثقافة الواسعة وغزارة المحفوظ، وكلها مواهب كان حقها أن توثَّق مكتوبة ومصورة في برامج تلفزيونية بإعداد جيد وإخراج مناسب.

لقد كان الضحوي يقدم برامج الفتاوى في إذاعة الحديدة، إضافة إلى برامج أدبية وثقافية أخرج فيها الكثير من مخزون ذاكرته العجيبة وهي برامج جديرة لو أنها لاتزال محفوظة بالاطلاع عليها ففيها بالتأكيد فوائد كثيرة، وقد كانت وقت إذاعتها تحظى بمتابعة تصل حد الشغف، غير أن بساطة الرجل الزائدة عن الحد وزهده وتواضعه إضافة إلى افتقار المؤسسات عندنا إلى الذكاء والدوافع الثقافية المؤسسية التي تجعل استغلال شخصية كشخصية الضحوي هدفاً لا محيص عنه قد فوّت توثيق ذاكرة الرجل وأسلوبه ومعارفة وسرده البديع تلفزيزنياً، فقد كان ظهوره على الفضائية اليمنية قليلاً جداً رغم المشاهدة الواسعة التي كان يتمتع بها.

أما قناة السعيدة فقد كانت أفضل في محاولاتها الاقتراب من عالمه الضخم عبر برنامج (نوادر الأدب) الذي قدمه بنفسه، لكن ما يؤسف له أنها قدمته كما يقول المثل (زنجبيل بغباره) وقد كان تدخل بسيط من أهل الخبرة في القناة جديراً بتحويل البرنامج إلى حدث أدبي فريد.

([1]) الدكتور حسن الأمراني، مقال بعنوان النفخ في الطين، رابطة أدباء الشام بتاريخ 18 يناير 2004م http://www.odabasham.net/ تمت المعاينة بتاريخ 25 يوليو 2017م

كان الضحوي معتدل المزاج معتدل السلوك وسطي الرأي في كل شيء، وكان تصوفه سلوكياً وروحياً نستطيع تلمسه في زهده وفي تواضعه وفي ميوله الواسعة إلى حفظ القصائد الصوفية مثل بردة البوصيري ومعارضاتها وما جرى مجراها، وقد لفتت نظري شهادة أحد المذيعين في الفيلم الوثائقي الذي أصدرته عنه قناة السعيدة، وقد كان المذيع هو المسئول عن برنامجه (نوادر الأدب)، قال قلت له، بعد أن أكملنا الحلقات: موعدنا السنة القادمة، فرد بطريقته المعهودة: ماناش عايشو مّا امواتيه[1]، أي: لن أعيش إلى العام القادم، وكان الأمر كما قال فقد توفي قبل أن يحول الحول على كلمته تلك – رحمه الله–

وقد تم تكريمه من قبل مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة بدرع السعيد التكريمي في إبريل عام 2006م تقديراً لما قدمه من جهد في خدمة الأدب اليمني، وتم تكريمه في الأول من إبريل سنة 2009م من قبل وزارة الثقافة ومحافظة الحديدة في المركز الثقافي بالحديدة، ضمن كوكبة من رموز الأدب والإبداع والفن في تهامة، وكان لي شرف الإعداد لهذا التكريم، وخصص منتدى الدهني الثقافي بالحديدة بعد وفاته دورة باسمه من يوليو إلى أغسطس 2009م، كما أعلنت محافظة الحديدة عن مشروع مجمع الفقيد عبدالله ابراهيم الضحوي التربوي بمديرية الحوك، كما أنشأت الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم مركزاً يحمل اسمه هو مركز الشيخ عبد الله إبراهيم الضحوي لتحفيظ القرآن.

استطراد:

لا بد من الإشارة هنا، إلى أن الناظر إلى تاريخ بيت الضحوي خلال حضورهم على صفحات مدينة الدريهمي، هو تاريخ يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً عن مئة وخمسين سنة سيلاحظ عدة أمور منها:

أن هذه الأسرة من أبرك الأسر الحشيبرية علماً وفقهاً وأدباً وظرفاً وحضوراً اجتماعياً، وفيها

---

(1) الشيخ العلامة عبد الله إبراهيم الضحوي، وثائقي أنتجته قناة السعيدة https://www.youtube.com/watch?v = cj6XRXCwtiQ وقد استفادت هذه الكتابة كثيراً من هذا البرنامج https://www.youtube.com/watch?v = cj6XRXCwtiQ تمت المشاهدة أكثر مرة، آخرها 21 يونيو 2018م

مشاهير في حفظ القرآن وتلاوته وفي فن السماع والإنشاد وفي الحضور الاجتماعي والتواضع الإنساني تذهلك سيرهم.

ومنها جاذبية أفراد هذه الأسرة، فلم تكن تلك السمة تقتصر على الشيخ عبدالله بن إبراهيم الضحوي، بل إنها لتكاد تشمل جميع أفراد الأسرة المباركة.

ومنها قدرتهم على تشكيل حالة من الاستقطاب الروحي والعلمي والأدبي والاجتماعي حيثما حلوا.

لقد كنت مشغولاً بالحصول على معلومات سيرية وثيقة عن الفقيه الحافظ المقرئ المنشد حسن بن إبراهيم بن عبد الله الضَّحوي (1937- 2006م)، الذي طالما شغفني وأخذ بمجامع روحي صوته وهو يرتل كتاب الله من إذاعة الحديدة، لكن سيل المعلومات والتوثيق السيري المتقن الذي أنجزه عنه الباحث الجاد الأستاذ أحمد حسن عياش يعقوب في كتابه (نشر المطوي من تاريخ أعلام بني الضحوي)، مع ما ورد في سياق كتابته عن هذه الشخصية وحدها من فقهاء هذه الأسرة المميزة وعلمائها وحفَّاظها ووجهائها جعلني أحجم عن النقل مما أرسله لي حتى لا أحرق طزاجة ما فيه من معلومات، ولا أفتأت على ما بذل فيه من جهد – خاصة والكتاب غير منشور–، فهو أحق به وأولى، وسأكتفي بتحيته، منتظراً على أحرَّ من الجمر صدور الكتاب الذي يلقي ضوءاً وافراً على هذا الفرع الجني من دوحة بني حشيبر الفارهة.

***

محمد الشبيلي، رجل الإنجازات

الأستاذ المربي مُحَمَّد الشبيلي قصة أخرى في سلك التاريخ الحشيبري، فهو شخصية تربوية مرموقة وكبيرة الإنجاز ناهيك عن كونه صاحب رؤية نافذة وثقافة متعددة الجوانب ليس علمه بالتاريخ إلا جانباً منها.

ولد الأستاذ مُحَمَّد عمر الشبيلي في قرية عنكزة بلاد العطاوية – قضاء الزيدية – سنة 1928 وقد ذكر المؤرخ اسماعيل بن مُحَمَّد الوشلي سيرة أجداده جاء في كتابه نشر الثناء الحسن "ومن بلد العطاوية بنو الشبيلي بشين معجمة مضمومة وموحدة ثم ياء تحتية ولام آخره ياء على التصغير، وهم يعودون في النسب إلى الحشابرة، منهم الفقيه الفاضل عمر بن مُحَمَّد بن إبراهيم شبيلي والفقيه الفاضل مُحَمَّد بن سليمان، وفد إلى الزيدية لطلب العلم على يد مشايخنا السابق ذكرهم في عدة من مختصرات الفقه والنحو، وحفظ أكثر متونهما مع الفهم والذكاء وقوة الحفظ، إذكان أحدهما يحفظ كل يوم أكثر من ثلاثين بيتاً من الزبد حفظاً تاماً، وعمر يحفظ القرآن حفظا تاماً مع الديانة وصدق وإخلاص، مقبل على شأنه مع التواضع وحسن الخلق، وهو الآن موجود بقرية تسمى الحريقية من بلاد العطاوية على خير من ربه، وكان سليمان والد مُحَمَّد المذكور عالماً فاضلاً له مقروءات، وكان مقيما بدير الشبيلي وحصل به الانتفاع في تلك الجهة)[1]

ودير الشبيلي حسب توضيح تلقيته من الشاعر رعد أحمد، قرية تقع في العطاوية شرق دير الولي بحوالي كيلو متر واحد وإلى الجنوب الغربي من قرية الحريقية بحوالي كيلو متر أيضاً، يعتقد أن أول من سكنها هم بنو الشبيلي القادمون من منطقة الحشابرة، وكان الوادي يمر شمالها في المنطقة التي تقع فيها قرية الحريقية الآن، فانتقل بعض منهم إلى مكان قرية الحريقية ، وكانوا أول من سكنها

([1]) نشر الثناء الحسن، مج2 ص 102،103

وانتقل بعضهم إلى عنكزة، ثم جاء الخبال من الحشابرة من قرية المحال تقريباً، وسكن معهم في قرية الحريقية بعد اندثار دير الشبيلي، وكان محل الخبال حالياً فيه هيجة ومراعي وعقم للماء، وكانو يرعون دوابهم هناك، ثم انتقل الخبال إلى زاهيبه التي جَرَبَهَا[1] هناك وأسس محل الخبال، وانتقل معه لاحقا أناس من بني الشبيلي، وجاء لاحقا أناس من الجبل وسكنوا بجانبهم، وتكوّن محل الخبال، وعقم الماء يقع حاليا مكانه بيت جدي أبو أمي (الكلام للشاعر رعد أحمد)، وفي بيته ضبرة كان الرعاة يستظلون بظلها أثناء سقاية دوابهم، فكما ترون فإن دير الشبيلي اندثر قديماً قبل وجود قرية الحريقية، ومحل الخبال.وأسباب اندثاره تعود إلى طبيعة الحياة في ذلك الزمن حيث كانو ينتقلون طلباً للأراضي الخصبة والماء، وكانت الحريقية أقرب لممر الوادي، وكذلك محل الخبال وعنكزة، والآن بنو الشبيلي موجودون في الحريقية وعنكزة ومحل الخبال. انتهى كلام الشاعر رعد أحمد.

عمر بن مُحَّد الشبيلي هو والد الأستاذ المربي مُحَّد الشبيلي الذي عرفناه جميعاً باسم مُحَّد أحمد الشبيلي، ولتغيير اسم أبيه قصة لا نفهم سرها حتى الآن، فبعد أن أنهى تعليمه الأولي في الزيدية تم اختياره سنة 1946م لتمثيل مدينة الزيدية مبتعثاً إلى صنعاء لإكمال تعليمه حيث انخرط في سلك الدراسة ضمن طلاب المدرسة العلمية، حين تخرج كان في الرابعة والعشرين من عمره تقريباً، وقتذاك (سنة 1948م) طلبه سيف الإسلام عبدالله بن الإمام يحيى حميد الدين وكان أميراً للواء الحديدة ليعينه مديراً لمدرسة في بادية بلاد الزرانيق (قرية الجربشية إحدى قرى بيت الفقيه)، لكنه قبل أن يعينه مديراً قام بتغيير اسم أبيه، فلم يعد اسمه الكامل مُحَّد عمر الشبيلي، صار مُحَّد أحمد الشبيلي، وهو تصرف غريب وغير مفهوم، غير مفهوم إقدام أمير الحديدة عليه، وغير مفهوم قبول الشبيلي به.

أثناء إدارته لمدرسة الجربشية أقام الشبيلي علاقة جيدة مع شيخ الطرف الشامي لبلاد الزرانيق يحيى منصر، ومع مدير مدارس بيت الفقيه ثواب يحيى، ثم بدأت تتجلى مآثره فقد كان مدرساً ناجحاً جيد الاطلاع مثقفاً، شاعراً وطموحاً وواعياً بنفسه وبما يعتمل من حوله، وهناك في بيت الفقيه أسس نادي العرش الثقافي، ثم اتسع نشاطه إبان خمسينيات القرن العشرين مدفوعاً بمستجدات الفترة المتعلقة بثورات التحرر العربي، وخطابات الزعيم جمال عبد الناصر، ودوي صوت

([1]) جربها بفتح الجيم والراء والباء والهاء بمعنى قطع أشجارها وأزال أحراجها وهياجها.

العرب لنجده يؤسس نادياً أدبياً آخر في تلك الفترة، ثم نجده ينضم إلى حركة القوميين العرب أول تأسيسها في عدن سنة 1957م، وهي الفترة التي شهدت انغماسه في نقاشات ثقافية محتدمة على كراسي مقاهي الحديدة مع جملة من التربويين التنويريين الذين تعتلج بذور الثورة بين ضلوعهم، وكان منهم الشاعرعبد العزيز نصر، الشاعر عبد الله عطية ؟، وعمالقة التربية محمود كتري، علي أحمد فاضل، ثواب يحيى، إضافة إلى الأستاذ المميز عبد الرحمن الحضرمي الذي سيشاركه مستقبلاً هموم التاريخ والتوثيق.

بعد قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر اشتعل مُحَّد الشبيلي – كأمثاله من المنحازين للمستقبل – حماسة للزمن الجديد، غير أنه بمرور السنين تبين أن رحلة النبذ والإقصاء والتهميش التي دشنت ضد أهل تهامة منذ حرب الزرانيق قبل أكثر من ثلاثة عقود (نهاية ثلاثينيات القرن العشرين) تزداد شقتها اتساعاً بعد قيام الثورة، خاصة بعد أن تحول لواء الحديدة إلى ملكية خاصة للشيخ سنان أبو لحوم.

من هنا بدأت حركة القوقر سنة 1967م التي كان مُحَّد الشبيلي مَسِيْسَاً بها وبرجالها، وأحد الموثِّقين لتاريخها، وكان من تداعياتها بعد ذلك شعوره بالمضايقة وعدم الاستقرار في بيت الفقيه، خاصة وقوات الحكومة تطارد الثائرين من مشائخ ووجهاء وناشطين، ذلك كله جعله يطلب من مديره ثواب نقله إلى الزيدية ؟، وقد تم نقله بالفعل سنة 1968م.

في مرابع صباه الأولى بدأ مُحَّد الشبيلي مديراً لمدرسة النجاح (ذوال حالياً)، وإلى جانبها كان مديراً لمدارس قضاء الزيدية الذي يشمل نواحي (مديريات) الزيدية والضحي والمغلاف والقناوص والمنيرة، أي منطقة وادي سردد وشمالها حتى حدود وادي مور، ومن جبال ملحان والظاهر والشرع شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً ويشمل ذلك قبائل صليل والجرابح والحشابرة والعطاوية وما يجاورها، كان الشبيلي شعلة من نشاط لا يهدأ ولا يفتر ولا يقر، وخلال 33 عاماً تمتد من عام 1968 م إلى عام 2001م وحسب إحصائية وافانا بها الأستاذ مُحَّد سعيد سعيد مأخوذة من كتاب (الشبيلي هامات وقامات) وهو كتاب تذكاري أعده عنه بعد رحيله ابنه شكرالله، فإن مُحَّد الشبيلي أنشأ خلال الفترة المشار إليها (1600) مدرسة ابتدائية، (302) مدرسة إعدادية، (52) مدرسة

ثانوية، في سائر تلك المناطق، إضافة إلى روضة أطفال واحدة في مدينة الزيدية

كما أسس وأنشأ معهد المعلمين بالزيدية، ومعهد المعلمين بقرية الحزر، واهتم بتشجيع تعليم الفتيات فأنشأ ثلاث عشرة مدرسة للبنات في قضاء الزيدية، منها المدرسة الكبرى للبنات (مدرسة حفصة في الزيدية)، كما اهتم بإعداد الكادر التعليمي المحلي، وقد بلغ عدد المتخرجين على يديه ستمائة وثمانين مدرساً تربوياً، ولنجاعته وقوة منجزه في العملية التربوية فقد مُدّدَ له ثلاث مرات، ولم يُحل إلى المعاش إلا وقد بلغ من العمر عتيّا.

وكغيري من أبناء جيلي فقد تفتح وعيي قبل نهاية سبعينيات القرن العشرين على الشبيلي وهو يقود العملية التعليمية، لا يتوقف عن التنقل بين القرى وتفقد الأداء التعليمي، كانت قامته تميل للقصر قليلاً، وكان عالي الصوت قوي الشخصية مهاباً، يحسب له الناس ألف حساب، وقد بلغ من هيمنة شخصيته على العملية التعليمية حد أن بعض التلاميذ كانوا يظنون أن الشبيلي اسم للمنصب وليس لقباً عائلياً للرجل، ومن الطرائف المتعلقة بهذا الأمر أنه تم فصل مديرية القناوص عن المركز التعليمي في الزيدية سنة 1993م وعُين الأستاذ عثمان زين رحمه الله مديراً للمركز التعليمي بها، وجاء أحد الطلاب ليزف النبأ قائلاً: الأستاذ عثمان زين عينوه شبيلي !!!

لم تقتصر إنجازات الشبيلي على ما حققه في مجال التعليم، فقد ساهم في كل الأنشطة الاجتماعية التي يترتب عليها تطوير للمكان أوتنوير لعقل الإنسان، أوتحسين مستوى حياة أبناء مجتمعه، كان على رأس جهود إنشاء مشروع المياه بالزيدية منذ سبعينيات القرن العشرين، وتم اختياره مديراً للمشروع، وكان على رأس جهود إنشاء شبكة كهرباء الزيدية في نفس الوقت وهو أول من كان على رأس إدارته، كما ساهم في تأسيس نادي شباب الزيدية، وفي أيام الرئيس إبراهيم الحمدي عمل مديراً للمقاومات وظل كذلك حتى عام 1984م، وكان محافظاً في الجانب الديني على خط أجداده الحشابرة فقد كان لعقود من الزمن يداوم على دوره معلماً وفقيهاً ومفسِّراً لكتاب الله في حلقات بمسجد الهنود بعد المغرب كل ليلة، وهو المسجد الذي كان فيه إماماً يصلي بالناس.

إلى جانب ذلك النشاط المتعدد والمهام الشاغلة للوقت والمستنفدة للطاقة فقد ظل الشبيلي وفياً لشغفه الأول وهو التبحر في الاطلاع والإبداع والتأليف وقد أثمرت تجربته في هذا المجال

أربعة مؤلفات هي (التحف النديه في لهجات أهل الزيديه) وهو حسب مطلعين عليه أفضل كتبه إذ أنه رتَّبه على حروف المعجم، و(التحف النديه في تاريخ الزيديه –مدينه تحت الرمال–) وله فيه انفرادات حسب إفادة الأستاذ مُحَّد سعيد سعيد فقد صب فيه اهتمامه الكبير بالتاريخ وخاصه تاريخ الزيديه وحصر اللهجات والمساجد ومنازل السادة وأعمدة الإنارة والحارات والبيوت ولم يترك شيئاً إلاحصره ووثقه، ثم كتاب، (الروض الأنيق فيما حدث بين الإمام والزرانيق) وهي مؤلفات تشي عناوينها باهتماماته ووعيه المبكر بالمكان وخصوصياته الثقافية، إضافة إلى كتاب اسمه (صحابيات في عهد الرسول)، ناهيك عن ديوانه الشعري. وعرفاناً بمكانته وعلمه ومعارفه وتميزه كان علماء آل القديمي وآل الوشلي يحيلون إليه في التاريخ ويقولون لمن يتقدم إليهم بالسؤال عن خفيّة من خافياته: عليك بالشبيلي فهو أبو التاريخ.

ما يؤسف له أن ابنه الفنان شبيلي مُحَّد شبيلي كان قد تقدم إلى وزارة الثقافة بأحد كتب والده، وبسبب انشغالي وقتها في إدارة مهرجان آفاق الروح سُلّم الكتاب إلى رئيس لجنة الكتب الذي حال تعنته دون طباعة الكتاب، ومع انعدام الاستدامة المؤسسية وصعوبة الظروف وعدم وعي الأبناء بماصنع الآباء بقيت مؤلفات الشبيلي حبيسة الأدراج، وبقيت معلومات تحفل بها مدونة الشبيلي بعيدة عن أيدي محبي الاطلاع والتاريخ من بعده.

خلَّف الشبيلي رحمه الله أربعة ذكور وخمس بنات، ورحل عن دنيانا يوم الاثنين 28/ 8 / 2006م بعد معاناة بسبب مرض الكلى، وقد صدر عنه كتاب تأبيني بعدوفاته بعنوان (الشبيلي هامات وقامات)[1]

([1]) اعتمدت هذه المقاربة التوثيقية على معلومات أمدني بها الأستاذ محمد سعيد علي بتاريخ 17 /7 / 2017م، الذي ذكر فيما أرسله لي اعتماده على (مقابله موثَّقه مع نجله الأكبر الأستاذ شكر الله محمد الشبيلي) و (كتاب الشبيلي هامات وقامات)

وكتاب (حركات المقاومه والمعارضه في تهامه) للدكتور عبد الودود مقشر.

كذلك معلومات أرسلها الأستاذ أحمد كميت في نفس التاريخ.

عبد حسين الأدهل، الكبير

الحاج عبده حسين الأدهل الحشيبري، ذروة حشيبرية أخرى من الذروات الكبار التي مرت بها الأسرة الحشيبرية، فلديه مجموعة من الأوليات أو الانفرادات، أولاها أنه أول من وصل إلى منصب وزير من هذه الأسرة – حد علمي – ولعله الوحيد حتى الآن أيضاً، وثانيها أنه ربما كان الأكثر ثراءً في تاريخ الأسرة، وثالثها تميز شخصيته بالتعدد فهو سياسي، وثوري، وتنويري، وتربوي، ورجل اقتصاد، وناشط في المجال الخيري، وكاتب ومثقف، إضافة إلى كونه من حيث الشهرة والمكانة والتأثير ثاني اثنين هما أكثر أبناء الأسرة الحشيبرية، ممن خرجوا من حاضنتها التهامية، وانتقلوا إلى جغرافيات أخرى، والشخصية الأخرى هي الشيخ الكبير الولي جمال الدين مُحَمَّد بن علي الحشيبري (ت 1000هـ) صاحب الضريح الشهير بمدينة أحمد أباد، وهو ممن نشروا الإسلام في تلك البلاد والبلاد المجاورة لها.[1]

حين كتبت في مايو عام 2014م مقاربتي لسيرة وشخصية الأستاذ الكبير عبد الباري طاهر الأهدل تحت عنوان (عبد الباري طاهر أحوال الرحلة وأهوالها) تحدثت عن دور أسرته في تاريخ التصوف والعلم وأخلاق العناية والنفع الاجتماعي ثم قلت إن ميزته تكمن في (أنه يمثل كل أخلاقيات تلك المنظومة الإيجابية، التي اجترحتها أسرته والأسر المتشابكة والمتساندة معها – على رأسها الأسرة الحشيبرية – والأميز من ذلك أنه استطاع تغذيتها بروح جديدة، جددت متكآتها، ووسعت مدياتها في آفاق الحداثة والتواصل مع الآخر، والنضال على جبهات جديدة من أجل الإنسان، وحقوقه وحريته)، وهو كلام ينطبق تماماً على عبده حسين الأدهل، فقد مثّلت حياته وأنشطته واشتغالاته ومناصبه وأعماله الخيرية وأدواره الاجتماعية وممارساته الحياتية بمجملها،

([1]) هناك شخصية ثالثة تعود لنفس الحاضنة، تحمل لقب الدهل، وتتمتع بشهرة عربية وعالمية مدوية، لكنني لم أتعرض لها بسبب عدم يقيني إن كان لقبها (دهل) حشيبريًا فعلاً

اجتراحات جديدة وسعت مديات إرث الأسرة الخيري، وأضافت له الكثير والكثير دون ادعاء ولا مزايدة باسم الأسرة وتاريخها، فكما ركن عبدالباري على لقبه الفرعي طاهر طيلة عمره، ركن عبده حسين على لقبه الفرعي أدهل طيلة عمره، وكلاهما حمل تحت الجلد تقاليد الأسرة الفياض بالخير والمنحاز للحق والجمال والإنسانية والاعتدال.

قدم جده من مدينة الزيدية إلى عدن، أما أمه فتنتمي إلى أسرة العبيدي وهي من مواليد جبل معود قرية الوالي المؤيد ابن مسعود بإب، وقد ولد عبده حسين الأدهل الحشيبري في قسم (د) بمدينة الشيخ عثمان بعدن في 12 ابريل 1918م.

بعد حصوله على شهادة الإعدادية عام 1930م، تتلمذ على يد السيد العلَّامة قاسم صالح السروري، والشيخ/علي مُحَمَّد صالح باحميش وكانت تلمذته للرجلين الصالحين مباركة فتوسعت مداركه واتكأت معارفه على ثقافة دينية المنهل.

كان والده صاحب تجارة واسعة تتوزع مصالحه بين اليمن والقرن الأفريقي والهند، وقد عمل هو منذ عام 1935م مديراً لأعمال والده في الصومال البريطاني، ثم مالبث أن تحول إلى شخصية مركزية في التاريخ الوطني بشكل عام وفي مدينة عدن على وجه الخصوص، فقد تعددت أدواره واشتبكت أعماله الخيرية بأدواره الوطنية السياسية باهتمامه بالتربية والتعليم واشتغاله بالتجارة، ناهيك عن موهبة الكاتب المؤلف، وبنظرة بسيطة على رءوس أقلام من إسهاماته في تلك المجالات المختلفة سنكتشف مقدار عظمة الرجل ومكانته، على سبيل المثال أسس أو أسهم في تأسيس جمعية الهلال الأحمر، ومستشفى الملك ادوارد المعروف بالمستشفى الفارسي في حي القطيع بعدن، وجمعية مكافحة السل، وجمعية أولاد الفقراء، ولجنة تفقد السجون وأحوال المساجين، وأسس مدرسة النهضة العربية في الشيخ عثمان، وأسس مدرسة بير فقم، وأسس مدرسة مصعبين، وأسس مدرسة الخيسة، وكان عضواً في اللجنة المشرفة على المصحات العقلية، وعضو لجنة توزيع الأغذية لهيئة الإغاثة الكاثوليكية، وعمل سكرتيراً لجمعية ملاّك السيارات سنة 1948م، وخلق فرص عمل للنازحين من شمال اليمن إلى جنوبها بعد فشل ثورة 1948م، وأتم هو وأخوه عثمان حسين الأدهل بناء مسجد الرحمن شمال المنصورة بمحافظة عدن، وهو مسجد أسسه رجل الخير أنصاري.

وفي المجال السياسي ساهم بين عام 1937 – 1939م ميلادية في دعم الكفاح الفلسطيني، وثمة صورة منشورة على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك بتاريخ 7 إبريل 2016م هي عبارة عن شهادة لجهده في ذلك السبيل.[1]

ولعل من أهم مواقفه وأعظمها هو إنقاذه المجاهد المغربي الأمير عبد الكريم الخطابي ففي (يوم 22مايو 1947م رست الباخرة كاتومبا، الأسترالية التسجيل، في ميناء عدن للتزود بالوقود وعلى ظهرها الأمير عبد الكريم الخطابي، ولم يكن أحد يعرف بوجود الأمير على الباخرة الراسية في الميناء، وشاءت الأقدار أن يلتقي الأدهل بأولاد الأمير الذين كانوا قد نزلوا من السفينة للتنزه في المدينة، كان اللقاء في شارع الزعفران بمدينة عدن دون معرفة سابقة بطبيعة الحال، غير أنه باعتبارهم من الأخوة العرب دعاهم لضيافته، وخلال حديثه معهم عرف من أكبرهم سناً أنهم أبناء الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الريف المغربي الشهير، فطلب منهم أن يصطحبوه إلى الباخرة حيث قابل الأمير وسلّم عليه وطلب منه أن يُشَرِّفَ المدينة بضيافته له مع أفراد أسرته.)[2]

أقام الأدهل مأدبة غداء في أحد فنادق عدن حضرها وجهاء وأعيان اليمن، وقد ضاق الفندق والشوارع المجاورة له بحشود المحتفين بالأمير عندما علموا بوجوده في المدينة، ورافقت موكبه العديد من سيارات المواطنين خلال تجواله لمشاهدة معالم المدينة[3].

وفي الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ٢٣ مايو (أيار) ١٩٤٧م غادرت الباخرة ميناء عدن تقل الأمير وحاشيته، لكن الأدهل بخبرته ومعرفته بخبايا السياسة الدولية في ذلك الوقت، ودرايته بتوجهات

([1]) أخذت في الفقرات السابقة بتصرف عن (الأدهـل المُحسِـن الكبيــر)

بحث وإعداد: وديع أمان، منشورة على صفحة عبده حسين الأدهل بتاريخ 10 مارس 2014م، https://www.facebook.com/A.H.Adhal/posts/135928583178567 تاريخ التصفح 28 /3/ 2018م.

([2])عبده حسين الأدهل..حارب المرض والجهل معاً، فاروق لقمان الرابط نفسه بتاريخ 12 اكتوبر 2013م، تاريخ التصفح 28 / 3 / 2018م، وانظر أيضاً تفاصيل نزول الأمير الخطابي في مصر حسب مصادر وروايات تاريخية للكاتب والصحفي الفلسطيني محمد علي طاهر،شبكة دليل الريف، موقع مغربي،منشور بتاريخ 7 ديسمبر 2013م https://dalil-rif.com/permalink/6905.html تمت المعايينة بتاريخ 15 مايو 2018م

([3]) المصدر السابق

الفرنسيين علم أن الأمير الذي عاش منفياً عشرين عاماً في جزيرة ريونيون المستعمرة الفرنسية في المحيط الهندي، يُقاد اليوم إلى فخ جديد فراح (يبرق الى كل الجهات التي يهمها الأمر رغم الاستعمارين البريطاني في عدن والفرنسي في جيبوتي لإنقاذ الأمير من الأسر الثاني الذي كان ينتظره. وكانت أهم برقياته تلك البرقية التي بعثها إلى المجاهد مُحَمَّد علي الطاهر صاحب ورئيس تحرير جريدة "الشورى" في القاهره التي كانت تحمل لواء التحرير العربي في كل مكان، وقام الطاهر بحكمته المعهودة بإرسال استغاثة إلى جلالة الملك فاروق الذي تحلي بقوة إرادة نادرة إذ أمر بإنزال الأمير من الباخرة واستضافته في مصر متحدياً فرنسا الدولة الكبرى آنذاك وبريطانيا التي كانت طائراتها القاذفة في عدن على بعد ثلاث ساعات فقط من قناة السويس).[1]

أثناء نشاط الأحرار في عدن منذ أربعينيات القرن الماضي ساهم عبده حسين الأدهل في دعمهم بقوة، كما ساهم في دعم وإيواء كل النازحين من الشمال إلى الجنوب، وسأنقل هنا بتصرف عن الكاتب فارق لقمان من مقالة له عنوانها (عبده حسين الأدهل، حارب المرض والجهل معاً)، فبعد فشل ثورة 1948م، وهي الثورة التي أدت إلى مقتل الإمام يحيى بن مُحَمَّد حميد الدين وتولي ابنه الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين مقاليد الحكم واستشهاد العديد من خيرة الوطنيين من فقهاء وأدباء وشعراء، تكبدت اليمن بفقدهم خسارة كبيرة، كما سجن العديد من الأحرار الوطنيين في سجون بدائية. وقد توفي الكثير منهم في السجون نتيجة التعذيب والأمراض والمعاناة التي تعرضوا لها، واستقبل العدنيون أشقاءهم من أبناء الشمال النازحين إلى الجنوب وأكرموهم والتفوا حول قادتهم الشاعر مُحَمَّد محمود الزبيري، وعبدالله بن علي الوزير اللذين نزلا ضيفين عند الحاج مُحَمَّد سلام حاجب، وهو نسيب الأدهل.

بينما نزل الفضيل الورتلاني في منزل الأدهل بالشيخ عثمان مع عدد من الأحرار، وقد جرت محاولات اعتداء على الورتلاني أثناء إقامته في بيت الأدهل كان آخرها محاولة اغتياله بقذف قنبلة يدوية على الغرفة التي ينام فيها، وقد بذل الأدهل جهداً غير عادي من أجل الحفاظ على سلامة ضيوفه، وحين أطلق (خالد سالم مبارك) رفيق وحارس سيف الحق إبراهيم رصاصة من

([1]) نفسه

مسدسه على أحد المتظاهرين أصابت منه مقتلاً وهو يحاول مع جمع غفير من الناس الاعتداء على مبنى الجمعية اليمنية في عدن، قبضت الشرطة على خالد بعد الحادث وكلف الأدهل أخاه عثمان حسين الأدهل بتقديم الكفالة له، حيث أفرج عنه وحوكم أمام محكمة عدن، ودافع عنه الأستاذ / مُحَمَّد علي لقمان المحامي والكاتب الشهير الذي استطاع إقناع محكمة عدن بأن إطلاق الرصاص كان دفاعاً عن النفس ولم يكن اعتداءً، وأخذت المحكمة بأقواله وأفرج عن خالد بغرامة مالية.

وفي أثناء العمل المشترك مع الزعامات الوطنية الشمالية، تبلورت لدى الأدهل فكرة إقامة مدرسة تضم أبناء الوافدين من الشمال وفي نفس الوقت توفير فرص العمل فيها للنازحين من أحرار اليمن، وهكذا فقد قام بتوفير بناية تفي بالغرض لإقامة المدرسة، وأثثها بما يلزم من مقاعد ووفر لها الكتب المدرسية وما تحتاج إليه المدرسة من أثاث وأسماها (مدرسة النهضة العربية)، وقد عيَّن لها مجلس إدارة للإشراف الفني والإداري يضم إلى جانبه صالح علي لقمان ومُحَمَّد حسن خليفة وعبد الله حامد خليفة ويوسف حسن السعيدي، وكان هو يقوم بسداد نفقات المدرسة المالية بينما يقوم مجلس الإدارة بالإشراف الفني والإداري، كما عيَّن مدرسين للمدرسة من نازحي الشمال المؤهلين، وقد ظلت مدرسة النهضة تؤدي رسالتها حتى عام 1957م حين تم ضمها إلى كلية بلقيس تحت إشراف حسين علي حبيشى عميد الكلية بعد أن شيَّد لها الأدهل بناية فخمة بجوار كلية بلقيس، وبانضمام مدرسة النهضة إلى كلية بلقيس أصبحت جزءاً مكمِّلاً للكلية التي أسهم في إنشائها لفيف من التجار المقاولين الشماليين مثل شمسان عون، وسلام علي ثابت، ومُحَمَّد عثمان ثابت، وهايل سعيد أنعم.

لقد كانت قيمة مدرسة النهضة العربية أنها وفرت التعليم لأبناء النازحين من الشمال مع أسرهم. كما وفرت أيضاً التعليم لأبناء الريف (محمية عدن) الذين كان قانون بريطانيا في عدن يحول دون قبولهم في المدارس الأخرى التي شيَّدها مواطنون لنفس الغرض، وهي مدرسة بازرعة الخيرية والمدرسة الأهلية بالتواهي والمعهد التجاري في الخليج الأمامي في عدن ومدرسة الإنقاذ الإسلامية والمعهد الإسلامي الذي شيَّده الشيخ مُحَمَّد بن سالم البيحاني.[1]

([1]) نفسه

عند نهاية الخمسينيات ازدادت أدوار الأدهل واتسع تحققة، ووطدت أخلاق العناية التي تمتح من تاريخه الصوفي عامة والحشيبري خاصة مكانته، فقد انتُدِبَ مع زميله مُحَمَّد علي المقطري عضوين في سلطة ضواحي الشيخ عثمان وحي البريقة فعمل على حل جزء من المشكلة السكانية، وكان هو الوسيط السري لمراسلات ثورة 26 سبتمبر1962 عبر صيدليته الخاصة في ميدان كريتر بعدن وكان اسمها (صيدلية الشرق)، وفيها تتم عملية تبادل المعلومات السرية بين الأدهل والأحرار حيث كان (عبد الملك الطيب) يأتي إلى الأدهل لاستلام وتسليم الرسائل لضباط مصريين.[1]

بعدها انتخب عام 1962م عضواً في مجلس عدن التشريعي لولاية عدن، وعيَّن عضواً في محكمة عدن للاستئناف الخاصة بقضايا الهجرة، ثم توج كل ذلك بتقلد منصب وزير المالية في حكومة زين عبده باهارون في التاسع من يوليو/تموز 1963م وقد استقال من هذا المنصب بسبب الخلاف مع المندوب السامي البريطاني، واحتفظ بعضويته في المجلس التشريعي.[2]

وأثناء كل ذلك كان يواصل كتاباته في الصحف السيارة متناولاً الشأن الوطني من كل جوانبه السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وحين أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض سنة 1960م الذي توضح فيه سيادتها على الجزر اليمنية، رد الأدهل بكتاب عنوانه: (أهذا كتاب أبيض؟) وصدرت طبعته الأولى في نفس العام عن مطبعة (البعث) في مدينة عدن.[3]

بعد الاستقلال أممت الكثير من أملاكه، وكان من ضمن أملاكه التي أممت، أو صودرت خلال فترة السبعينيات صيدلية الشرق الشهيرة، ومدرسة فقم وغيرها لكنه أيضاً تولى رئاسة جمعية ملاك العقارات المؤممة في المحافظات اليمنية الجنوبية.

وكان من ضمن تداعيات مشاكل الجنوب أن نزح الأدهل إلى صنعاء ليمارس تجارته ويواصل أعماله الخيرية، وفي سنة 1988م أصدرعن دار الوزان للطباعة والنشر كتابه الذائع الصيت

([1])الأدهـل المُحسِـن الكبيـــر مصدر سابق

([2]) نفسه، وانظر أيضاً صفحة زين عبده باهارون موسوعة ويكيبيديا الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki/

([3]) نفسه

(الاستقلال الضائع: الملف المنسي لأحداث اليمن الجنوبية. مذكرات عبده حسين الأدهل) وهو كتاب يقدم من موقع العارف الخبير شهادة على الأوضاع التي عايشها وعرف مكامن اختلالاتها، وتجرع أيضاً مراراتها وألمها، وهو كتاب أحدث صدى واسعاً وردود فعل كبيرة مازالت تتوالى إلى لحظة كتابة هذا (مارس 2018م) يقول الأستاذ (فاروق لقمان): (لقد كان الأدهل أحد أشجع الناس في اليمن الجنوبية خلال فترة الاستعمار البريطاني في عدن، وما كانت تسمى بالمحميات ولما ألَّف الأدهل وأصدر كتابه (الاستقلال الضائع) تأكدت لي جسارته وصراحته وعدم مبالاته بمن قد يغضب منه كما حدث له بالفعل، لكنه كان في مأمنٍ بعد الاستقرار في صنعاء ومزاولة تجارته في بيع الأدوية التى اشتهر بها في عدن قبل أن تقع صيدليته ضحية للتأميم الشامل بدون تعويض طبعاً كما حدث لبقية المؤسسات التى اشتهرت بها عدن، وكانت خسارته فادحة بعدما ازدهرت أعماله وتربع الأستاذ المجاهد عبده حسين الأدهل قمة تجارة الأدوية بعدن لعدة سنين سبقت نيل الاستقلال) [1].

أصدر الأدهل كتاباً ثالثاً عنوانه (مأساة شعب: سلسلة أوراق من اليمن الجنوبية) غير معروف تاريخ صدوره، غيرأنه يندرج في إطار اشتغاله على نقد الأوضاع التي جدّت في الجنوب بعد الاستقلال وهو بالتالي يكمل من خلاله شهادته على المرحلة وهي الشهادة التي بدأها في كتابه (الاستقال الضائع).

لقد ظل الأدهل مهموماً بمواجع وطنه طيلة حياته، ففيما كان يناهز 86 عاماً من عمره أنجز كتابه الأخير (القات بين التحليل والتحريم: مشكلة اليمن الخطيرة) الذي صدر عن مركز عبادي للدراسات والنشر عام 2004م، ولعله اجترح هذا التأليف من واقع كونه رجل اقتصاد يعرف المشكلة ومأتاها.

وفي يوم الجمعة 23 يوليو 2010م توفي رجل الخير والإحسان، عبده حسين الأدهل الحشيبري، بعد رحلة حياتية مثمرة دامت 92 عاماً، وقد بقيت له في بطون الصحف مئات المقالات، كما أنه خلّف سبعة أولاد وثلاث بنات. وحظي بالعديد من التكريمات وشهادات التقدير.

([1]) عبده حسين الأدهل..حارب المرض والجهل معاً، مصدر سابق

وقد أكدت المرثيات التي كتبت عن رحيله على محوريته في التاريخ اليمني ومكانته الكبرى عند أبناء عدن على وجه الخصوص، قال الكاتب والمفكر مُحَّد البيضاني (غربت الشمس، آخر الشموس التاريخية في بلادنا، شمس العم الحاج عبده حسين الأدهل العدني الجنوبي العربي، آخر شمس من شموس العباقرة في بلادنا الجميلة عدن الجنوب العربي، كان عصر العمالقة جيل الأربعينيات من كتبوا التاريخ، كانوا شموس العلم والخير والثقافة والإحسان والتعمير. كان عصراً تاريخياً فريداً من نوعه ولن يتكرر مرة أخرى من عمر الزمن إنه العصر الذهبي لعدن. هذه سنة الحياة، عصر يأتي وعصر يذهب، وتشرق الشمس وتغرب أيضاً وتذهب نحو نفس المكان الذي جاءت منه، واليوم غربت الشمس ولن تشرق مرة أخرى، ذهبت إلى سجل التاريخ العظيم، تاريخ عدن بلادنا الجميلة. شمس عدن الشيخ الجليل والمحسن العظيم الأدهل، يرحمك الرحمن الرحيم

شمس عدن، الشيخ الأدهل، كان طويل القامة، أبيض اللون، فيه وسامة الرجل النبيل، له ابتسامة حنونة، شديد التواضع متديناً عفيفاً، تاجراً، مصلحاً، مفكراً، سياسياً، كاتباً، وزيراً، نائباً بلدياً، مشيِّد مدارس، ثائراً – ساهم واشترك في كل الجمعيات الخيرية في عدن وفي الحركة السياسية. رجل غني وتاجر لم تستغرقه التجارة ولم تكن كل حياته، كان له نشاط اجتماعي وخيري أحب الفقراء والمساكين، لم يجر وراء المال، جاء له المال من ربه الكريم، فأعطى الفقراء والمحتاجين وأسعد الجميع)[1]

***

([1]) الأدهل غروب الشمس، محمد أحمد البيضاني،منشور في موقع تاج جنوب اليمن، بتاريخ يوليو 2010م، http://tajaden.org/humen/1669.html تاريخ المشاهدة 28 مارس 2018م

*** إشارة لابد منها: اعتمدت هذه المقاربة أيضاً على تصفحات كثيرة لصفحة عبده حسين الأدهل على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك وهي صفحة حافلة بالمعلومات والصور.

آمنة يوسف، رحلة التميز الصعب

في السياق الحشيبري ستبدو البروفيسورة آمنة يوسف سيدة في رحلةِ التميّز الصّعب، والاقتراب من تجربة البروفيسور آمنة يوسف ليس سهلاً، لأن آمنة يوسف ليست امرأة عادية، هي تجربة فريدة في المشهد الأدبي اليمني، فريدة من ناحية تعددها شاعرة وقاصة وناقدة، وفريدة من ناحية كونها أكثر بنات جيلها إنجازاً، وفريدة من ناحية كونها الأكاديمية اليمنية الوحيدة التي تتوافر على كل هذه الإنجازات من الكتب النقدية.

لكن تلك الأسباب مجتمعة ليست وحدها سبب تهيب الاقتراب من آمنة كتجربة مميزة، فثمة سبب آخر يتمثل في تحليها بالروح الحشيبرية في أعلى تجلياتها. لقد عرف تاريخ الأسرة الحشيبرية كما سبق العشرات من العلماء والأدباء والأولياء والفضلاء الذين انطلقت تجربتهم من مضارب الأسرة الأولى في مصب وادي سردد في تهامة (مديرية الزيدية) لتمتد إلى مختلف جهات اليمن، من أنحاء تهامة المختلفة إلى صنعاء والمحويت، وحجة وذمار وإب وتعز، وعدن وحضرموت، ثم مكة والمدينة والشام وشرق إفريقية والهند وبنغلاديش وسريلانكا وماليزيا وأندونسيا، حيث ساهمت في نشر الإسلام، والاشتغال بالعلم وأخلاق العناية ورعاية سلَّم القيم الإنسانية النبيلة. أما الإضافة التي تمثلها الأستاذة الدكتورة آمنة يوسف مُحَمَّد عبده عَبَدْ الحشيبري، فهي أنها أيضا ستكون أول من يمثل الحداثة الأدبية والثقافية، في تاريخ هذه الأسرة، لقد سبقتها واحدة فقط من بنات الأسرة العلمية بالظهور على مسرح التاريخ الحشيبري تلك هي الولية الصالحة سعادة بنت الولي عمر بن أحمد بن هبة الحشيبري (قبل مائتي سنة)، أما في مجال التعليم الحديث فهناك أعداد كبيرة من أبناء الأسرة ممن يحملون الشهادات العليا ويمارسون التدريس في الجامعات ناهيك عن مئات التربويين والأدباء والمهندسين والصيادلة والمبرمجين وغير ذلك، لكن آمنة وحدها ستحظى بما أشرنا إليه في أول هذه المقاربة من تعدد لوجوه التفرد في هذا التاريخ الأسري الحافل.

من مديرية الزيدية انتقل والد آمنة إلى جدة مغترباً كأمثاله من أبناء الوطن، وفي جدة ولدت آمنة سنة 1966م، ويبدو أن التفوق الدراسي كان حليفها منذ البداية، فقد جرت بها رياحه رخاءً حتى حصلت على ليسانس آداب، قسم اللغة العربية من جامعة الملك عبد العزيز سنة 1990م، وفي ذلك العام عادت إلى اليمن، حيث سكنت صنعاء، أما قراءاتها الأولى فبدأت من (قصص الأطفال، ثم قصص الزير سالم وسيف بن ذي يزن وألف ليلة وليلة)، حين عادت آمنة إلى اليمن كان المشهد الأدبي في صنعاء يمر بأجمل مراحله.

كان جيل التسعينيات يتبازغ، مستفيداً من الوهج الهائل والآمال العريضة التي امتلأت بها النفوس إثر قيام الوحدة اليمنية،

في تلك الفترة نشطت جماعتا (سبان) و(الغد)، وفتحت منابر الصحف صفحاتها الثقافية للمبدعين الجدد، وهدرت أصوات الشباب على منصات الأمسيات والصباحيات الثقافية التي كانت تقام في كلية الآداب وخارجها، وكانت آمنة في هذا الخضم الذي يضم الموجة الأولى من التسعينيين والتي كانت تشتمل على مجموعة كبيرة من الأسماء أبرزهم: علي المقري، فاطمة العشبي، نبيلة الزبير، عبدالرحمن الحجري، مُحَمَّد القعود، خالد زيد الشامي، علي الشاهري، عبدالوكيل السروري، توفيق القباطي، سلوى الإرياني، عبدالحكيم الفقيه، زيد الفقيه، كمال البطاطي، سلطان عزعزي، مُحَمَّد سعيد سيف، كريم الحنكي، مُحَمَّد السقاف، هدى أبلان، مُحَمَّد الشيباني، محيي الدين جرمة، عبد الناصر مجلي، عادل أبو زينة، خالد الأهدل، أحمد شاجع، عادل البروي، مُحَمَّد المنصور، مُحَمَّد عبد الوكيل جازم، أحمد الزراعي، مُحَمَّد عبيد، عبد السلام الكبسي، عبد الكريم الوشلي، صادق الهبوب.

وعند نهاية سنة 1991م كانت آمنة ضمن كوكبة من الأصوات التي ضمها ديوان (وهج الفجر) وهو إصدار مميز جاء بمبادرة شجاعة من الشاعر الصحفي مُحَمَّد جسار (رئيس الاتحاد العام لطلاب اليمن آنذاك)، وقد ضم ذلك الإصدار إلى جانب آمنة إثني عشر شاعراً وشاعرة هم: عبد الرحمن الحجري، نبيلة الزبير، عبد الوكيل السروري، خالد زيد الشامي، أحمد شاجع، فاطمة العشبي، مُحَمَّد يحيى المنصور، عادل البروي، حسين الصوفي، محيي جرمة، مُحَمَّد السقاف، عبد الكريم مُحَمَّد

الوشلي، علي أحمد الشاهري، مُحَمَّد عبد الوهاب الشيباني، هايل الغابري، وتم تصديره بمقدمة تبشيرية للدكتور عبد العزيز المقالح عرفت بها وبزملائها الذي بدأوا يحققون حضوراً مميزاً في عالم الكتابة

كانت آمنة تكتب وتشارك وتواصل دراساتها العليا، وعلى مدار عقد التسعينيات كانت الشابة العصامية قد بذلت جهداً كبيراً في تأهيل نفسها، حصلت على الماجستير بتقدير ممتاز عام 1996م، وحصلت على الدكتوراه بتقدير ممتاز عام 1999م، ثم تواتر مشوار النجاح والتّحقُّق العلمي والإبداعي، صارت آمنة أول متخصصة أكاديمياً، في السرد الروائي والقصصي في الجامعات اليمنية، في الوقت الذي كانت فيه إصداراتها تتوالى، أصدرت عام 1997م مجموعتها الشعرية الأولى (قصائد الخوف)، مترافقة مع مجموعتها القصصية الأولى (جوقة الوقت) وكتابها الأول "تقنيات السرد في النظرية والتطبيق"، وجميعها صدرت عن دار الحوار، اللاذقية – سوريا. ثم أصدرت مجموعتها الشعرية الثانية "انكسارات"، عن الهيئة العامة اليمنية للكتاب سنة 2001 م، تلاه كتابها (شعرية القصة القصيرة في اليمن) سنة 2003 م عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، وأصدرت سنة 2004 م مجموعتها الشعرية الثالثة (علميني الحب يا رؤى) عن وزارة الثقافة اليمنية.

أعقب هذا أعوام امتدت إلى عام 2012م انقطعت فيها آمنة عن الإصدار، لكنها لم تكن متوقفة عن الكتابة والحفر النقدي المستمر، نشرت أبحاثها في دوريات عربية محكمة، وخاضت تجربة التدريس في جامعات عربية، وجربت تواصلاً معرفياً مختلفاً، وتحققت أكاديمياً أكثر فأكثر لتعود بتجليات أروع، وحصاد بالغ التميز، فكان عام 2012م موعد كتابها المهم (تهجين الاتجاه في سرد ما بعد الحداثة)، الذي صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، أما عام 2015م فهو عام الوفرة الكبرى في حياتها الأدبية، فقد عبَّرت آمنة عن نضجها وتبلور تجربتها التي صارت مقدّرةً على مستوى الوطن العربي كله، في ذلك العام أصدرت الكاتبة الكبيرة كتابيها النقديين (مقاربات بنيوية في السرد – الشعر)، و(الراوي وإيقاع السرد، رواية وحشة النهار لخالد اليوسف، نموذجاً) وكلاهما صادرعن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. وأصدرت معهما من نفس الدار مجموعتها الشعرية الرابعة (خذوا هذه الذاكرة)، إلى جانب طبعة منقَّحة من كتابها النقدي الأول (تقنيات السرد في النظرية والتطبيق) عن نفس الدار التي ستصدر سنة 2016م الكتاب

النقدي السادس لآمنة يوسف وهو كتاب (سيميائية النص القصصي).

أحد عشر كتاباً، ومجموعة من الأبحاث الأكاديمية الرصينة المنشورة في عديد المجلات والدوريات العربية، هذا غير ما بقي في الأدراج تلك هي ثمرة رحلة امتدت ثمانية وعشرين عاماً في خوض غمار الكتابة والإبداع، إلى جانب ذلك كله كانت البروفيسورة آمنة يوسف تشغل لفترة منصب نائب عميد كلية اللغات للشئون الأكاديمية والدراسات العليا بجامعة صنعاء، وتشارك لفترة في عضوية لجنة تحكيم جائزة السعيد للرواية اليمنية (2004م)، ولفترة أخرى في عضوية لجنة التحكيم الأولى في جائزة كتارا للرواية العربية في قطر(2016م)، ثم تفوز بالمركز الثالث في جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي، الدورة الثامنة، محور أدب المكان عن دراستها النقدية (سيميائية المكان في رواية أولاد الغيتو: اسمي آدم، لإلياس خوري) 2018م.

الملاحظ أننا لو عدنا إلى الأسماء التي أوردناها سابقاً، والتي شكّلت مع آمنة الموجة الأولى من التسعينيين لوجدنا أن الذين تحققوا من تلك الموجة إبداعياً وثقافياً وعلمياً لن يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، ولوجدنا أيضاً أن الدرب الذي سلكته آمنة يوسف لتحقيق ذاتها وتكريس اسمها كتجربة مهمة هو درب لا يشاركها فيه أحد من تلك الأسماء كلها، وهو فوق ذلك الدرب الأكثر صعوبة، والأكثر احتياجاً للتعب وتشغيل العقل والفكر.

ستتميز رحلة آمنة يوسف بكونها تختلف أيضاً عن كل بنات جيلها، فلم يكن ظهورها على الساحة طفرة، فقد تم بخطوات محسوبة، وصبر طويل، وجهد غير عادي في الاشتغال على الذات، وتنمية القدرات والإصرار على التميز والتفوق، لم نفاجأ بآمنة تظهر على الساحة من مأتىً غامض، يتبازع من خارج نطاق الإبداع والبحث، ولعل الوضوح سمة أخرى من سماتها هي تقول (أنا صفحة مقروءة وكتاب مفتوح، تعرفني من خطي الواضح جداً الذي يكشف عن شخصيتي تماماً لكل من يطّلع عليه على واجهة جميع كتبي)، لهذا لم تكن تحب أن تكتب تحت اسم مستعار أبداً، (أنا فقط "آمنة يوسف").

ولم يكن الاحتفاء بها من خارج الاستحقاق الكتابي والإبداعي، بل ربما إنها ظلمت ولم تنل حقها كما يجب، فقد نال غيرها الكثير من الحفاوة دون جهد يذكر ولأسباب لا علاقة لها أحياناً

بالإبداع والكتابة.

لقد بنت آمنة نفسها بنفسها، وأثبتت وجودها بعلمها وبطاقة الإبداع التي تكتنزها وهي تؤكد ذلك (حققت ذاتي من خلال العلم، وأعيش من أجل العلم والأدب).

رحلة آمنة لم تكن صفواً ونجاحات متواصلة، كانت هناك أحزان كثيرة، وكانت هناك وهدات ومعوقات فهي بنت هذا الواقع القاتل، بنت الفقد المتتابع أيضا للأب والأم، وفقد الحياة التي تليق بنا كبشر حيث نطمح أن نعيش بأقل قدر من الوجع والعذابات، لقد نالت منها الحياة كثيراً حد أن يصبح مأثورها قصيدة كامل الشناوي الشهيرة:

(عدت يا يوم مولدي، عدت يا أيها الشقي، الصبا ضاع من يدي، وغزا الشيب مفرقي، ليت يا يوم مولدي، كنت يوماً بلا غد)

مع ذلك فقد استطاعت مغالبة كل المعوقات والأحزان، آثرت العزلة واعتبرت الوحدة عبادة، وقالت لنفسها إن (خير جليس في الزمان كتاب) المفارقة أن هذا كان شعار العشرات من أجدادها من علماء وأولياء بني حشيبر، الذين توهجت أرواحهم في مصاهر الخلوات، فتكشفت خلواتهم عن علم وأدب ونفع اجتماعي كبير، لكنها مع ذلك ظلت تردد لنفسها قول الشاعر:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى   فما انقادت الآمال إلا لصابر

في هذه الرحلة الصعبة كان الشعر بالنسبة لآمنة يوسف هو المتنفس للذات، وفي تجربتها الشعرية تكتظ مساحات الورق بمشاعر الخوف والانكسار والألم وتتجاور مفردات الشقاء والبؤس، والوحشة، وتتبرج الذاكرة المعذبة بالراحلين والذي لا يأتي أبداً:

مُرهِقٌ وهمي وذابلةٌ دروبي
والمدى ليلٌ يبددُ نجمَهُ التجوالُ والظمأُ
وهذا اللاصدى يُصغي إلى حُلُمي ولا أدري
بأيِّ شواطيءٍ ترسو نهاياتي ؟!

وعلى تنوع تجربتها الشعرية التي يصعب حصر ثيماتها في وقفة عابرة كهذه يظل هاجس الحزن بما هو زمن مستمر، وغيمة ذكريات، ورحلة متوجسة في الحياة، وانهدار يتوالى بشكل عبثي

مفجع، يتفصّد دما محترقاً عبر مجموعة تلو المجموعة، حتى ليحضر هاجس الموت قوياً ومتعجرفاً يتفاسح لسؤال نوستالجي عما يتبقى منا، سؤال يلوب بلا إجابة، وفي غياب الإجابة تكمن عذوبته وعذاباته كما في هذا النص:

حــــــــــــــين أمــــــــــــــوت.

لا أحـــد ســـيذكر شـــيئاً مـــن آلامـــي

أو يقـــــرأ حــــــزني المتنـــــامي

بـــين عيـــون الأفـــق الشاســـع والمترامـــي

وعلـــى أنقـــاض الجســـد المتســـامي

رغـــــــــم هيــــــــــامي

ببريــــــــق جميـــــــع الأجـــــــرام

- هــــل للــــذكرى، يومـــاً مـــا

أن تـــنهض مـــن بـــين عظـــامي؟!

ولتميز تجربة آمنة يوسف الشعرية فقد تم اختيار قصيدتها (حلم مسالمة) في كتاب (مائة شاعرة من العالم العربي) وهو كتاب أعدته الشاعرة الكبيرة والباحثة المغربية الرصينة فاطمة بوهراكة ونشر باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأسبانية.

ولا تختلف تجربتها السردية عن تجربتها الشعرية، ففي مجموعتها القصصية (جوقة الوقت) نكتشف كم هو قاس البحث عن ذات لم تلوث بعد بدنس الرياء والنميمة، ذات لم تفجعها الأقدار والحياة القذرة، وتخلق منها آلة تأخذ ولا تشبع، نكتشف إلى أي حد هو مفجع وبائس البحث عن إنسان لا تقلق أن يستغلك أو يفشي سرك، إنسان تفتح له نوافذ ذاتك، يفهم صمتك ويعي لغة عينيك، يحبك لأنك أنت، وثمة إيمان عميق أن لا شيء يتغير ما لم نستطع تغيير حيثيات صغيرة في

حياتنا.

هذا المعنى سيلقانا في قصتها (مقايضة)، (أقبل المساء، فنزعت يدي الثقيلتين من على كتفي المرهقتين ووضعتهما بجواري على طاولة هرمة، ثم غبت في ثغر نومي الآلي لعلني أجد بقاياي الأخرى).

(طلع الصباح، وظهر الطاولة عارٍ بلا يدين، ولا حتى رجلين، فصرخت في وجه الشرطي الكسلان:

"، ، ، ؟!!!!"

ربما لأنه عجز عن مساعدتي في الحصول عليهما،

"عاد المساء، وها هو ذا السارق يلوح بيدي من شباك شاحب يدعوني إلى مقايضة غامقة اللون.!"

- اذهب (وهما) إلى الجحيم!
- "، ، ، "
- لن أضعف على الرغم من احتياجي الماس إليهما، اذهب، فقد خانتاني معك!
- "، ، ."
- إذن فسأغيب في ثغر شباك آخر يعصمني من السرقة!

تقدم آمنة يوسف رؤيتها، من خلال تكشيف إنسان اليوم الذي يقترب جداً من الآلة مثلما اقترب قديماً من الغابة، تصور واقعاً بشعاً أحست به، وعانت منه، وهذا الواقع ليس أزليا وليس من الله، ولأننا نتوارثه فإنه لا يجدينا الهروب منه بفلسفة قدرية لا بد من المواجهة إذن، حتى ولو ضحينا في سبيل الوصول إلى عالم آخر والمواجهة تستلزم قوة خارقة، وعند آمنة يوسف هذه القوة، .

ألم ترفض المقايضة المريبة؟ حين واجهت سارق وسيلتها، ومعرقل مسيرتها،

(لا، اذهب و"هما" إلى الجحيم، !)

هناك أسباب موضوعية كما أسلفنا للارتياب في الآخر، بل لمقته وازدرائه إن أمكن، وما أسهل اكتشاف ذلك في أقاصيصها التي تحفل بعالم من الرموز والإسقاطات الدالة على هذا المنحى.

في قصة (ضفيرة) نجد الرجال (طيوراً جارحة)، (تعشق الكهوف المجوفة)، (أخشى أن تكون قد بنت أعشاشها في جمجمتي وانتهى الأمر).

وفي قصة (شخير) ثمة صراع بين النور (الجرس، الشمعة، القمر)، والظلام (شخير صديقتها النائمة)

آمنة تختار التعامل مع هذا النوع من الواقع باتخاذ موقف جريء وفاعل مزيج من موقف وجداني وأخلاقي.

وإذاكانت الكتابة الإبداعية المتمثلة بالشعر والقصة تمثل متنفساً للذات فإن النقد الأدبي كان يكمل الشخصية العقلانية التي تعرف كيف تنطلق من المناهج والنظريات الحديثة. كان هذا أيضاً سر(انشغالها الطويل بالبحث عن أدبية الأدب، عما يجعل من نص نثري "مثلاً" قصة أو رواية ذات اشتراطات فنية وعناصر وتقنيات وجماليات؟ وكان عليها كباحثة متخصصة أن تفعل الكثير لتستكشف تلك التقنيات والجماليات.) من هنا نعلم: لماذا صارت كتب آمنة يوسف (مراجع مهمة وأساسية لكثير من الباحثين والمهتمين في اليمن وخارجه) يجدر بي الاستشهاد هنا بالناقد المغربي سعيد يقطين وهو يقول:

(تزاوج الباحثة آمنة يوسف بين النظرية والتطبيق، وتمارس التحليل الجزئي والكلي، وكما تشتغل بقضايا خاصة تشتغل بالعامة. وهذا الأسلوب يبين درجة امتلاكها لأدوات التحليل والرؤية المنهجية. وفي مقاربتها لموضوعاتها تزاوج بين الوصف والتفسير والتأويل بالانطلاق دائماً ممَّا يقدمه لها النص)، (بحيث لا تحمل النص ما لا يطيق من تأويلات جاهزة أو مسبقة، وهي تتدرج في التحليل من الخاص إلى العام، أو العام إلى الخاص.

ويبدو كل ذلك على مستوى لغتها العلمية، حيث نلمس دقة استعمال المصطلحات من عدم المغالاة في توظيفها والاقتصار على ماتستدعيه الضرورة المنهجية، ولا تخلو لغتها من مسحة جمالية تستمدها من نزوعها الشعري، لكنها لا تسقط في المبالغة التجميلية للعبارة. لذلك تظل لغتها علمية واضحة وشفافة بدون تقعر إنشائي أو اصطلاحي.

وأخيراً يكفي أن اسمها النقدي له مكانته في الدراسات النقدية العربية وليس اليمنية فقط.)[1]

أختم هذه الوقفة مع الحشيبرية بخمسة نصوص اخترتها من صفحتها على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك مع رفع القبعة لها في كل تجلياتها الإبداعية والنقدية الأخرى.

حلم مسالمة

حلـم الشـعوب مفـاده اسـتقرار — في العيش عـدل شـامل وسـلام
حلــم الشــعوب كرامــة حريــة — تســعى إلى تحقيقهــا الأقــوام
لا فجــوة تجـدي إذا مــا اختارهــا — ســكان هــذي الأرض والحكــام
لا الثـورة الحمـراء لا الـدّم الثـري — يحيي الشـهيد إذا مضى أو لاموا
أنقـاض عبـد بالتفـاهم مـا ارتضـى — بالسـلم تسـبقه الـرؤى وكـلام
هـل في الخلاف على المدافع رفعة — ترقــى بهــا الأجيــال والأقــوام
هـــل في التقاتـــل مغـــنم يا أمـــتي — يحظـــى بـــه الآباء والأعمـــام
مــا أجمــل الــدنيا إذا مــا جابهــا — عقـــل رشـــيد، وحـــدةٌ، ووئام
مـا أصـعب الـدنيا إذا مـا غـادرت — هـذي القلـوب جميعهـا الأحـلام
دقــق بقــولي يا مشــيَّد حضــارة — تبقـــى إذا لم تبنهـــا الأوهـــام
أحـلام هـذا الشـعب تعلـي مجـدها — والـــوعي والإعمــــار والأيام

([1]) مقتبس من الغلاف الأخير لكتاب (سيميائية النص القصصي) تأليف د. آمنة يوسف، المؤسسة للدراسات والنشر، بيروت 2016م

وطني أسير

وطني أسير
في السجن، يرزح بين قضبان الضمير
وعلى الحدود
إذا اشترى كثبانه رجلٌ أجير
وطني أسير
والبطن خاوية تفتش عن مغير
وعن حكايا الخبز
في الزمن الذي
يخفي الكثير
– ياأيها الحكام إصغوا
للملايين التي
تهوى الحياة
وتبتغي الطقس المطير
وتضم بيدرها الذي

كم أحرقته يدُ الأمير
واستنزفت حتى شواطئه
القنابل والنفير
وغدت صواريخ الذين أحبهم وطني
كأسياط الهجير
وكقصف كل المستبدين
بأحلام الأثير
وبأقلام المصير
وطني أسير
والعمر، لو تدرون، ياحكام
كالنهر القصير
وكالمساء إذا تخلّى عن سمائه
ذات يوم

ذلك البدر المنير
وكالزوامل
حينما الأسماع تألفها
ويألفها المدى الفاني، الفقير
من كل حُب أو عبير

وطني أسير
في السجن والحال العسير
– يامدعين السلم
أكبركم حقير
والحرب
إن نهاية الحرب التي أشعلتموها
في مزارعنا

ستوصلكم إلى
القدر الخطير
وستنعم الأفواه
بعد زوالكم
ياأيها الحكام
بالخير الوفير !!
(الخميس، **5** إبريل، **2018** م)

وقوف،
على مهلٍ، أقيس الخطوةَ الثكلى
فلا أرى
في يبابِ الدربِ
معنىً يصبح الأوْلى
سوادٌ كلُ ما حولي
بياضٌ واحتي المُثلى

بريقُ الأمسِ لمْ يأتِ
ضبابُ الحاضرِ استعلى
وها حزني
على قلقٍ
يجوبُ الصخرَ والسهلا
ومَنْ مثلي
أحبَّ الحبَّ
ظلَّ فراشة جذلى ؟!
ولكنْ ذابَ
كلُ الوجد
يا عبسي !
يا عبلى !

فما أنا

فِي غدٍ ميْتٍ !

وما فِي راحتي الأحلى ؟!

وما فِي القلبِ

غير الكربِ

يرفعُ صوته الأعلى ؟

فأهلا

يا مدىً يمضي

فناءُ رحيلِه

أهلا

ومهلاً

يا خطاي

قفي

على أطلالكِ

مهلا !

من ديوان علمين الحبَ يا رؤى

قصيدة: الأرض أنثى

(بمناسبة اليوم العالمي للمرأة)

الأرض أنثى
والسماء مدينة
عرف الجمال بها هواه وموطنه
الأرض أنثى
والحضارة امرأة
حفلت بها حباً جميع الأزمنة
الأرض أنثى
والبيان حكاية
صدحت بهذا الكون قبل المئذنة
الأرض أنثى
كيف لو حكمت غداً
وتمكنت من لم شمل الأمكنة ؟!
الأرض أنثى
والرجال عيونها
وهي التي تهدي الحياة الآمنة !!

(9 – 3 – 2016)

قصيدة: أمُّنا الكبرى، فلسطين !!

(الإهداء: إلى المناضل الفلسطيني العظيم: البروف مُحَّمد البوجي)

يارفيقي المناضل والمتسائل
عن كعبة للفنون
كلُّنا متعبون
حدَّ الجنون !!
كلنا، لم نقل في الدعاء
عند القعود
وعند القيام:
يارب، آمين، آمين !!
إن فلسطين
كانت لنا الأُمَّ والأخت
وكانت لنا:
كل البنين !!
إن فلسطين
كانت هوانا الدفين
بين قوافي السنين

كلنا متعبون

يارفيقي الذي كبَّلته العيون،

كبَّلته المسابح،

بل كبَّلته الذقون

والعالقون

بين السماء وبين الحصون

من دون أن

يهبط الوحي، يوماً

على الأرض

أو يندم المارقون

كلنا متعبون

نفتح (السِّفرَ)،

نتلو الذي يتيسَّر

من سورة البقرة

بعد أن،

نتأمل فيما يردده الإنجيل
والإكليل
والخوف ممَّا سيسكبه الحزنُ
بين الصلاة وبين السكون !!
كلنا متعبون
والحرب تأكلنا
نارُها والمجون
وهذا الفقير الذليل
كم يستعين
بالله، في كل شبر
توَّجت تاريخه المتمرد
يوماً، أمُّنا الكبرى
وأُمُّ البرايا
والأبرياء: فلسطين!!
تلك التي
زجَّها في السجون
هذا الظلام

وهذا المقام

وهذا اللثام

قبل أن

يتوارى

وأن يستهين

بأرض فلسطين

طيف هذي البراكين

وكلُّ الذين

بالعربية

هم ينطقون

وكل الذين

لم يكونوا

من الإنس

بل من أمنيات الشياطين

والمجرمين !!

(الثلاثاء، 30، 2018 م)

علي محمد خبال... الجبل

وممن يفخر بهم التاريخ الحشبري المعاصرالشيخ علي مُحَّد خبال، فعبر مايزيد على خمسة عقود امتدت من ستينيات القرن العشرين وحتى عام 2017م كان الخبال رجل العطاوية القوي، والعطاوية قبيلة شهيرة وهي تشكل واحدة من عزل مديرية الزيدية، والأصل في قبيلة العطاوية هو القبيلة المشهورة قديماً بقبيلة بني عبيدة ، وبنو عبيدة قبيلة من قبائل عك بن عدنان، موطنها شرق وشمال شرق مدينة الزيدية وحتى مشارف جبل ملحان، وقد ذكرها المؤرخون كثيراً وذكروا شدة بأس أبنائها في الحروب ومن أشهر الشعراء الذين ذكروها الشاعر القاسم بن علي الشهير ب (ابن هتيمل الضمدي) المتوفى (694هـ)، الذي قال في إحدى قصائده:

أنــتمُ يا بــني عبيــدة كالأجبــال   حلمـــاً وكالشـــموس ضـــياءَ
تـردون الـردى ظمـاءً إلى المـوت   إذا قابـــل اللـــواءُ اللـــواءَ
كـــل مســـتقتل إذا لم يُقَتّـــل   غـــلاباً عـــاف الحيـــاة حِبـــاء
ولـوان الكـرام مـن كَلِـمٍ كـانوا   حروفـــاً لكنتمـــو أسمـــاءَ[1]

ومنذ القرن السابع الهجري غلب على القبيلة اسم بطن من بطونها وهم الفقهاء بني عطاء أهل دير عطاء ذلك الدير الذي يعد من أعرق أديرة تهامة على الإطلاق وكان أشهر أفراد هذه الأسرة الفقيه الصالح أحمد عطاء الذي نزل في ضيافته شيخ شيوخ اليمن شمس الشموس أبو الغيث بن جميل المتوفى (651هـ) بأمر من الشيخ الكبير علي الأهدل سنة 598هـ[2]

(1) ديوان ابن هتيمل، الموسوعة الشعرية، https://poetry.dctabudhabi.ae/#/diwan/poem/122531 تمت المشاهدة بتاريخ 5 أغسطس 2017م، أيضاً جامعة الأشاعر، عبد الرحمن الحضرمي نسخة الكترونية

(2) انظر نشر الثناء الحسن مج 2 ص 96

وقد أسهمت قبيلة العطاوية في تاريخ تهامة بعدد كبير من العلماء والصلحاء والشجعان فإلى جانب بني عطاء نجد مثلاً بني الأحجف وبني مليكة وبني وهبان وغيرهم الكثير ممن ذكرهم مؤرخون مثل الجندي والأهدل والخزرجي والديبع والشرجي والوشلي وغيرهم

ومن أهم قرى عزلة العطاوية في وقتنا الحاضر(دير عطا، دير الولي، دير القريطي، دير البلح، البنايا، البروق، محل العظام، محل الخبال، محل نامس، محل ماطر، ضبر زيد، مفتاح، خشب، ديرالعجور، دير أحمد، دير جلاله، محل بحر، الراية، دير الربيدي، ويبلغ تعداد القبيلة اليوم حوالي ستين الف نسمة.

وهي تاريخياً تتداخل شأنها شأن قبيلتي صليل – الزيديين قديماً – وقبيلة الجرابح بقبيلة الحشابرة بحكم الجوار والمصاهرة وتداخل القرى والأرض ولكون الجميع أبناء عمومة فهم جميعاً فخوذ من القبيلة الأم عك بن عدنان.

الشيخ علي مُحَمَّد أحمد خبال الحشيبري الذي يتحدر من بيت الشيخ المتحدرين من بيت المعافى أحفاد الولي الكامل علي بن أحمد بن حشيبر المتوفى سنة 822هـ[1]، ولد في قرية الحريقية وانتقلت أسرته الى محل الخبال وهو لا يزال صغيراً عمره حوالي خمس سنوات، وكان جده أحمد خبال قد جاء من بلاد الحشابرة من قرية المحال تقريباً، وسكن قرية الحريقية التي سكنها بنو الشبيلي بعد اندثار ديرهم المعروف باسمهم (دير الشبيلي)، وقتها كان محل الخبال المعروف اليوم لا يزال هيجةً ومراعي إلى جانب عقم ماء كبير، كان أهل الحريقية يرعون دوابهم في المكان، ثم انتقل الخبال الجد إلى زاهيبه (أرضه) التي جرها (قطع أشجارها ومشّ نباتاتها) وأسس محل الخبال الذي نسب اسمه إليه، وانتقل إلى جواره لاحقاً أناس من بني الشبيلي، كما التحق بهم فيما بعد أناس من الجبل وسكنوا بجانبهم وبهم جميعاً تبلور محل الخبال. ويقع مكان عقم الماء في بيت جد الشاعر رعد أحمد (جده والد أمه) –الشاعر رعد هو مصدر هذه المعلومات – حيث كان في بيته ضبرة يستظل بظلها الرعاة أثناء سقاية دوابهم.

([1]) من ضمن المعلومات التي حصلت عليها خلال مراسلاتي مع مراسلاتي مع الدكتور عبد الحفيظ الفقيه الحشيبري بشأن الحشابرة بدءًا من 11 /6 / 2017م حتى 14 / 10 / 2017م

في محل الخبال نشأ الشيخ علي وترعرع وبدأ تلقي العلم على يد المعلم النجار، وفي أول يفاعته أثناء حكم الإمام أحمد حميد الدين قضى سبع سنين من حياته رهينة في قلعة الزيدية، وكان ذلك إبان تناوب عمه الشيخ مُحَمَّد خبال والشيخ يوسف عبدالله ماطر المشيخة، حيث كان على كل شيخ أن يرهن أحد أبنائه عند عامل الناحية. توفي أبوه أثناء عودته من الحج في منطقة الحمراء قرب قرية أم الخشب في وادي بيش ودفن بها، وعاش علي خبال يتيماً، وكان هوأكبر إخوانه سناً، إخوانه هم علي وعبدالله ومُحَمَّد، أتاحت له فترة الاسترهان أن يواصل تعليمه في الزيدية على يد علمائها حتى أتقن القراءة والكتابة وبعض العلوم الأخرى. ثم تولى مشيخة العطاوية سنة 1965م، وفي سنة 1967 سجنه الشيخ سنان أبولحوم محافظ الحديدة آنذاك على خلفية محاولته الاشتراك في حركة القوقر التي اشتعلت في بلاد الزرانيق حينها[1].

منذ مطلع سبعينيات القرن العشرين تقلد الشيخ علي خبال عدداً كبيراً من المناصب والأعمال، فكان في فترة السبعينيات والثمانينيات عضواً في مجلس الشعب التأسيسي، وكان في صدر التسعينيات عضواً في مجلس الشورى، ثم عضواً في مجلس النواب مدة عشرين سنة، من سنة 1997م إلى تاريخ وفاته. وفي مجلس النواب كان عضواً في لجنة حقوق الإنسان بالمجلس، إلى جانب ذلك كان عضواً في اللجنة الدائمة لحزب المؤتمر الشعبي العام، ورئيساً لفرع المؤتمر بالزيدية، ورئيساً لمجلس التعاون الأهلي للمديريات الخمس:الزيدية، الضحي، المغلاف، القناوص، المنيرة.

كانت ميزة الشيخ علي خبال في شجاعته ورصانته وهيبته وعقله الكبير، كان جبلاً يركن الناس عليه، وكان قوي الحضور خفيض الصوت، لا يصرخ إلا لأمر عظيم، وكان مسدد الرأي نافذ الكلمة، يأخذ العين والأسماع إليه في أي جمع كان، ولذلك كان واحداً من ملاذات الناس في البلاد، يتجوّرون به من اعتداءات الغير عليهم، ويفزعون إلى حكمته وحنكته عند الملمات الكبرى. بمعنى آخر كان الخبال هو العمود الأكثر متانة وواحداً من أحجار الزاوية الأقوى والأصلب في

([1]) حضرت تذكر الحدث وملابساته صبيحة يوم 9 مارس سنة 2000م، بينه وبين الشيخ سنان أبو لحوم، في منزل الشيخ سنان بحضور الأستاذ أحمد جابر عفيف ووالدي الشيخ أحمد عبدالله مهدي الجيلاني،والشيخ محمد علي قوزي، والشيخ عيسى كلفود، والشيخ عبد الكريم الزين.

النسيج الاجتماعي والسياسي لأبناء تهامة، وقد برع كثيراً -برجاحة منطقه وحسن إدارته للمهمات الجسيمة- في إخماد عديد الفتن التي كانت تنشب بين الناس في سائر أرجاء تهامة.

ولعل تاريخه في مشيخة قبيلة العطاوية العصية الذي امتد إلى اثنين وخمسين عاماً يدل على وجود تلك الصفات، إذ قبله مرت مشيخة القبيلة بفترة اضطراب كبير رغم مكانة الأشخاص الذين تناوبوها، فخلال فترة أقل من فترة مشيخته هو تولاها الشيخ عبدالله يحيى ماطر ثم ذهبت بعده إلى الشيخ مُحَمَّد أحمد خبال (عم الشيخ علي خبال)، ثم عادت لعبدالله يحيى ماطر، ثم تولاها بعده يوسف عبدالله ماطر ومن بعده أخوه عكيم حتى جاء الخبال، الذي لم تسلم فترة زعامته الطويلة من منافسين كبار خاصة في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، لكنه بحنكته وقوة عزيمته أخمدها كلها، وحين توفي يوم 16 مارس 2017م كان احتشاد الناس لمأتمه من جميع أرجاء البلاد دليلاً على مكانة الرجل والأهمية الكبرى التي كان يحظى بها.

تزوج الخبال أربع نساء، الأولى أنجبت له بنتا ثم طلقلها، الثانية أنجبت له أربعة أبناء وبنتين، الثالثة أنجبت له أربعة أبناء وست بنات، الرابعة أنجبت له بنتا وطلقها وبلغ عدد من خلَّفهم ثمانية عشر فرداً، ثمانية ذكور، وعشر بنات، وخلفه في المشيخة ابنه الشيخ علي بن علي خبال [1].

***

([1]) تساندت في الكتابة عن الشيخ علي خبال معرفتي الشخصية به مع معلومات وافرة أمدني بها الدكتور عبد الحفيظ فقيه الحشيبري، والشاعر رعد أحمد خجة الحشيبري

عثمان إبراهيم زين، السند

ومن الدوحة الحشيبرية المميزة الأستاذ الكبير عثمان إبراهيم زين، وأنا لا أستطيع الكتابة عن رجل مثل الأستاذ عثمان دون الحديث عن علاقتي به وتأثيره الكبير على بداياتي الأدبية، فمنذ سنة 1983م، بدأ الأستاذ عثمان مراقبة استغراقي العميق في القراءة، ومحاولاتي كتابة الشعر إلى جانب حالة التدين التي كانت لافتة آنذاك، كان كثيراً ما يأتي للمقيل في منزلتنا، ولا يكاد يطمئن به المتكأ حتى يبادرني سائلاً عن آخر ما قرأت، وعن آخر محاولاتي الشعرية، كنت أقرأ له محاولاتي التي تبدو اليوم –كلما تذكرتها– مجرد بدايات ركيكة اللغة والأوزان لكنه كان يبتهج بها، ويوغل فرحاً قبل أن يقول لي مازحاً (الآن هذا الكلام من رأسك؟). فأجيبه بمنتهى الجد: نعم، كانت الأيام تمضي وأنا أتطور وهو يراقب ويشجع ويسمع دائماً كل جديد في حينه.

كنت في أولى إعدادي حين تقرر إجراء انتخابات لاختيار رئيس للمجلس المحلي، وكان مقر الانتخابات مدرسة الفتح بالقناوص، وهي مدرستي التي أدرس فيها، قبل وقائع الانتخاب بيوم واحد اقترح علي كتابة قصيدة في المناسبة، كان شعوري بالمهمة كبيراً، كنت سعيداً وخائفاً، وقد اتخذت من إحدى قصائد شوقي معيناً لي فعارضتها واقتبست بعض أشطارها وأنجزت نصاً من حوالي ثلاثين بيتاً، جاء معظمه سليماً، لكن الأهم من ذلك أن معانيه وصلت للمنتخبين ولم يكن الناس وقتها قد اعتادوا الكولسة والاستقطابات والصراعات الحزبية التي سيعرفونها بعد عام 1990م، كانوا على فطرتهم القديمة ودفعت القصيدة في اتجاه اختيار الأنسب والأصلح، ولم يكن في الحقيقة أنسب أو أصلح من الأستاذ عثمان، الذي فاز فوزاً كاسحاً، يومها عرفت البلاد كلها (أقصد هنا مديرة القناوص) أني شاعر وحظيت بكمية كبيرة من الكتب والمجلات الأدبية أهداها لي مدير ناحية القناوص وقتها المثقف عبد الكريم زبارة.

بعد ذلك اليوم ازدادت عناية الأستاذ عثمان بي فكان يدفعني للمشاركة بقصائد في

مناسبات الهجرة النبوية، والمولد النبوي والإسراء والمعراج وغيرها من المناسبات، وأخذني ذات ليلة من مايو عام 1986م، إلى محل الخبال لكي يعرِّفني على الشيخ هبة الله شريم بوصفه شاعراً معروفاً إلى جانب صفته رئيساً للمجالس المحلية بمحافظة الحديدة والقاضي إسحاق صلاح رئيس محكمة الأموال العامة، وكانا في ضيافة الشيخ علي خبال شيخ العطاوية، ورغم عدم تعاطف الشيخ هبة الله شريم مع قصائدي وأزوراره عنها، إلا أن إقبال القاضي إسحاق عليها وتشجيعه لي كان عظيماً، وهو تشجيع مازلت أمتن له إلى اليوم، كما لا يزال هو يفاخر به بوصفه دليلاً على بعد نظره واستشفافه لما سأكون فيما بعد.

وعن طريق الأستاذ عثمان زين تعرفت على الصحفي الأديب فؤاد عبد القادر محرر الصفحة الثقافية في الثورة الذي جاء إلى القناوص ربيع عام 1987م لغرض إجراء تحقيق للصحيفة عن المجلس المحلي في المديرية، فجاء الأستاذ عثمان إلى بيتنا في الجيلانية فرحاً يقول لي عندنا في المقيل اليوم أديب جاء من صنعاء يعمل هناك في صحيفة الثورة وقد حدَّثته عنك، وطلب أن يراك خذ دفاتر شعرك وهيا معي.

ذهبت معه وبدأ فؤاد عبد القادر يسألني عن قراءاتي وأنا أجيب، أنا أجيب وهو يندهش والأستاذ عثمان يتبلج فرحاً وغبطة بطيبة قلب نادرة المثال، ثم طلب فؤاد عبد القادر أن أسمعه من قصائدي، فأسمعته واختار مجموعة منها وطلب مني أن أنسخها له فوراً وبالفعل نسختها له وأخذها معه، وبعد أيام كنا في مقيلنا المعتاد بمنزلتنا في الجيلانية وقد مالت الشمس تتهادى إلى مغربها، إذ أقبلت سيارة الأستاذ عثمان زين السوزوكي الخضراء، وخرجتُ كالعادة لأستقبله، لكن ابتسامته كانت أكبر وهو ينزل من السيارة ليفتح الباب الخلفي مشيراً إلى كومة هائلة من نسخ صحيفة الثورة الصادرة صباح ذلك اليوم وهو يقول لي الثورة نشرت لك قصيدة، دارت بي الدنيا، وأنا أتناول مئة وخمسين نسخة اشتراها كلها احتفاء بقصيدتي المنشورة فيها. كان منظر القصيدة في الصفحة الثقافية مبهراً، ورحنا نكرر قراءتها وتأملها، والأستاذ عثمان يقول لي هذا أول الطريق الحقيقي، وبينما كنت عاجزاً عن التعبير له عن امتناني، فوجئت بفرحتي تتضاعف، كان الناس وقتها، يشاهدون التلفزيون من المغرب إلى الحادية عشرة ليلاً، وكانوا بقية الوقت يسمعون المذياع الذي لا يكاد في معظم

البيوت يتوقف ليلا أو نهاراً، وكان الكثير من برامجه يحتفي بالأدب والشعر، وقد اختارت المذيعة عايدة الشرجبي المشهورة عندنا جداً يومذاك قصيدتي المنشورة في الثورة لتقرأها بصوتها العذب، وقد أحدث ذلك دويّا هائلاً، لن يفهمه القارىء اليوم مالم يستوعب أن مجرد ذكر اسم المرء في الإذاعة أو الصحيفة في تلك الأيام كان حدثاً كبيراً وهو فوق ذلك يضفي على المرء أهمية وقيمة وتقديراً كبيراً.

بعد بضعة أشهر من ذلك الحدث بالتحديد في يوليو 1987م، فوجئت بالأستاذ عثمان ومعه فؤاد عبد القادر، كانت ابتسامة الأستاذ عثمان أكثر اتساعاً فيما طفق الأستاذ فؤاد عبد القادر يخبرني أنه يجب عليّ أن أتأهب للانضمام إلى عضوية اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، وهكذا فقد غادرنا الجيلانية إلى الحديدة ومعنا أخي مُحَّد الذي كان وقتها شاباً في مقتبل العمر [1].

وبمقاطع قرأتها من مطولة اسمها (احتراق الركام) كتبتها من 9 إلى 11 أغسطس 1986م، قرر المشرفان على انتخابات فرع الحديدة الأديبان عبد اللطيف الربيع وعبدالصمد القليصي، منحي عضوية اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين على الفور، وتم تصويري صورة سريعة وصرف بطاقة العضوية خلال نصف ساعة تقريباً لأكون أصغر أعضاء الاتحاد في تاريخه كله ولأجد نفسي بعد أسبوعين تقريباً أشارك في فعالية شعرية كبيرة مع الشعراء الكبار إبراهيم صادق والعزي مصوعي وعبدالله غدوه وعبدالهادي خضر وجابر الشراخ وعلي جعفر وعبد الجبار باجل.

رعاية الأستاذ عثمان لم تتوقف عند هذا الحد فحين انتقلت وزملائي للدراسة في صنعاء ظل يتردد علينا، وما زلت أذكر فرحته حين علم بحصولي على منحة صيفية للدراسة في فرنسا عام 1992م، فقد اتجه إلى صنعاء كي يكون في وداعي وحرص مع أخي مُحَّد على مرافقتي للمطار.

ما أسلفته ليس كل شجوني مع الأستاذ عثمان، لكنها مجرد قطرات من مطرة كبيرة ونافعة

([1]) الشيخ محمد أحمد عبدالله مهدي الجيلاني، ولد في قرية الجيلانية ليلة السادس والعشرين من سبتمبر سنة 1962م مثقف مميز، يحفظ الكثير من الشعر، وهو من دهاة البلاد الكبار، ولّاج خرّاج –كما يقال– واسع العلاقات، يتصدى للمهمات الجليلة، مارس المشيخة في حياة أبيه، ورأس فرع المؤتمر الشعبي العام بالقناوص سنوات طويلة، كما تولى مهام قيادية في المجلس المحلي بالقناوص ثم تنازل له أبوه عن المشيخ سنة 2016م، وفي ذلك العام أيضاً تولى رئاسة المجلس المحلي بالقناوص وتم تعيينه مديراً للمديرية.

شملتني وشملت كثيرين غيري. ولم أكن أريد ذكرها هنا على هذا النحو، فقد كان مكانها أن تسطر في كتاب من نوع كتابيّ (قمر في الظل) أو (الملامتيّة) حيث تتفارد مثل هذه الشجون وتتفاسح كما تريد، لكن ما أرغمني على ذكرها هو تغطية نقص التوثيق للأستاذ عثمان، الذي كنت قد استكتبته قبل خمسة عشر عاماً تقريباً رءوس أقلام لسيرته كتبها لي بخطه في صفحة ونصف الصفحة (فلوسكاب) واحتفظت بها، وبعد صدور كتابي (قمر في الظل) سنة 2010م شعرت بغصة فقد كان يجب أن يكون الأستاذ عثمان زين إحدى شخصياته، استخرجت ماكتبه لي الأستاذ عثمان، وطلبت من أخي مهدي رقمه على الكمبيوتر وقررت البدء في كتابة عنه، لكن انفجار هيجانات الشوارع عام 2011م، كان شاغلاً عن الكتابة وكالعادة فإني حين أشرع في موضوع وأنقطع عنه احتاج إلى وقت كي أعود إليه وأتلبس بحالته، وهكذا وجدت نفسي أعيش حالات أخرى، ثم حين توفي الرجل نهاية عام 2014م، اكتفيت بالبكاء وكتابة منشور طافر المشاعر على عزيمة أن أبدأ خلال فترة وجيزة بالكتابة عنه، وحالت الحرب التي انفجرت عاصفة بكل شيء دونه ودون أشياء كثيرة، ووجدتني خارج البلاد، لا أستطيع الوصول إلى المعلومات التي خطها لي بيده، وقد راسلت أسرته وأبناء عمومته وناشدتهم إمدادي برءوس أقلام عن دراسته وعدد المشاريع التي أنجزت في عهده، لكنهم رفضوا التعاون معي مبدين أسباباً غريبة وغير مقنعة، فقد زعموا – حسب رسالة تلقيتها من مُحَمَّد عبدالله زين بتاريخ 13 يوليو 2017م – أنه (أوصى أولاده بعدم التصريح بها)، ثم حاولت الاستعانة بالشاعر مناجي كمندار لكنه لم يستجب لمراسلاتي بسبب ندرة استعماله لوسائل التواصل الاجتماعي ، وحين استجاب لي احتاج لوقت طويل كي يمدني بنزر يسير غير شاف ولا كاف ، .وهكذا أسقط في يدي وباءت محاولاتي كلها بالفشل.

لقد قلت في بداية هذه المقاربة إنه يصعب عليَّ الحديث عنه دون أن أكون جزءاً من الكلام، لكني في الحقيقة حاولت تغطية النقص برسم صورة صادقة للرجل من خلال معرفتي الشخصية به، ومن خلال اهتمامه بي ورعايته لي أيام بداياتي.

ولهذا فإني وإن كنت ابتعدت قليلاً فيما فعلت عن منهج الكتاب، إلا أنني في الحقيقة لم أخرج عن سنن مؤلفين تناولوا تاريخ الأسرة الحشيبرية بدءاً من البدر الأهدل في (تحفة الزمن) مروراً

بمحمد الطاهر البحر في (تحفة الدهر) إلى أبي القاسم الأهدل في (الدُّرة الخطيرة) وصولا إلى الوشلي في (نشر الثناء الحسن). فكل هؤلاء على تباعد عصورهم تحدثوا عن كثير من الأعلام الحشيبريين من خلال المعرفة الشخصية والتجارب اللصيقة بهم أصدقاء أو رعاة أو شيوخاً لهم أو متتلمذين عليهم.

والأستاذ عثمان إبراهيم الزين الذي ينتمي إلى أسرة وجاهة مشيخية حشيبرية سكنت منذ أمد طويل دير الزين المجاور لقريتي (الجيلانية) من الشمال الغربي، والمجاور لمدينة القناوص من الجنوب الغربي، كان عمه عبده يحيى زين من وجهاء البلاد وتجارها. أما ابن عمه الشيخ عبد الكريم زين فقد تولى مشيخة قبيلة كشارب إحدى فخوذ صليل منذ عام 1987م، وظل على المشيخة حتى توفي في 1 يناير 2012م، ثم خلفه ابنه الشيخ خالد عبد الكريم زين.

أما الأستاذ عثمان زين رحمه الله فقد كان واحداً من أبرز رجال هذه الأسرة وأكثرهم إنجازاً وعطاءً وإنسانية ومحبة للخير، تميز بالتواضع والقدرة على العمل وبث الأمل في نفوس من يحيطون به، مع جمال الروح، وسعة الصدر، وقدر كبير من الصبر والحكمة، انخرط في سلك التعليم، منذ أكمل دورة تدريبية في إعداد المعلمين سنة 1973م، يقول زميله يحيى بن جابر(كنت أسكن معه في غرفه واحده بمدرسة الزبيري وكان مثالياً في كل شيئ أدباً وذوقاً وأخلاقاً عالية، وكان طموحه في ذلك الوقت يفوق سنه)، ثم حصل بعدها –ربما سنة 1974م على دورات إعداد في صنعاء– وبعد فترة بسيطة قضاها مدرساً، انتخب أمينا عاماً للتعاون الأهلي في ناحية القناوص كما كانت تسمى آنذاك، وهو المنصب الذي ترقى منه ليكون رئيساً للمجلس المحلي منذ عام 1985م، ومنذعام 1987م التحق بقسم اللغة العربية في كلية التربية بالحديدة.

لقد كان مقدراً للأستاذ عثمان إبراهيم زين أن يترك بصمته الأجمل على وجه كل قرية من قرى مديرية القناوص، عبر عشرات المدارس ومشاريع المياه والمراكز الصحية التي كان وراء إنجازها حين كان يقود العمل التعاوني بين آواخر سبعينيات القرن الماضي ومطلع تسعينياته، كما فعل ذلك رائداً وقائداً للعملية التربوية في المنطقة منذ تأسس المركز التعليمي في القناوص سنة 1993م وتولى هو إدارته، حتى أقصاه استفحال مرضه بالفشل الكُلوي عن العمل قبل سنوات من رحيله، إلى

جانب ذلك كان عثمان راعياً ومشجعاً لعشرات الشباب في مجالات الإبداع والرياضة والتعليم الجامعي.

وفي السنوات الأخيرة من حياته عاش صابراً محتسباً يتردد على مستشفى الغسيل الكُلوي بالحديدة، وقد حدَّثني الدكتور علي الأهدل مدير المستشفى السابق مراراً عن سنوات مرض الأستاذ عثمان وما كان يتحلى به من صبر على الألم، ورضىً بما قدَّره الله عليه، وقد ظل ذلك ديدنه حتى رحل عن عالمنا يوم السبت 6ديسمبر سنة 2014م

***

رعد أحمد ، الشاعر

ونحن نطوف بأعلام الحشابرة من جوار الحاضنة الأم أعني قرية الحشابرة الأم وما يحيط بها من قرى تعرف ببلاد الحشابرة، فإن الشاعر رعد أحمد سيلفتنا إليه بقوة.

لماذا رعد أحمد ؟

الجواب لأن رعداً رغم كونه مايزال شاباًّ (عمره 33 سنة لا غير حال هذه الكتابة) ورغم كونه الأقل معرفة بتاريخ أسرته، ولعل تكوينه المعرفي الأولي قد أزاحه – ظاهرياً – بحدة عن خط الأسرة الحشيبرية، فإن إبداعاته الشعرية بشقيها الفصيح والعامي، وكتاباته النثرية، تدل على مبدع سيكون له شأن كبير، خاصة لو توجه إلى الوعي بتاريخه، وأحسن توجيه معرفته من خلال ذلك الإرث الباذخ.

ولد رعد أحمد عبدالله بلغيث شبيلي الحشيبري في محل الخبال ببلاد العطاوية – مديرية الزيدية بتاريخ 25 / 5 / 1985م، وتعرف أسرته بلقب فرعي هو (خجّة) وأول من تلقب به جد والده (بلغيث) فهم يُعرفون ببني خجَّة، وقد انحدرت أسرته من بني الشبيلي الذين استوطنوا قرية الحريقية وماجاورها، وهناك أرض مهجورة تسمى دير الشبيلي قيل إن الأولين من الشبيليين الحشابرة سكنوها.

سافر رعد مع عائلته إلى مكة حين كان عمره ثلاث سنوات، ودرس في حلقة قرآنية في الحرم كانت بمثابة الدارسة التمهيدية له، ثم عاد إلى بلدته حيث درس الإبتدائية في مسقط رأسه (محل الخبال) ودرس الإعدادية في معهد الأرقم بدير الربيدي، والثانوية بمعهد النور في الحديدة، وحصل على بكالوريوس علوم حاسوب من كلية علوم وهندسة الحاسوب بجامعة الحديدة (2009-2010م).

أسرته أسرة أدبية فنية وهذه الميول عندها غريزة وفطرة، لكنها لا تظهر ذلك علنا، وهي

أسرة تجيد تذوق الشعر، قال لي رعد في سياق سرد حكايته لي (ماعدا والدي الذي يبدي امتعاضه وعدم انشراحه عندما أُسمعه شيئاً من شعري) ويضيف (طبعا والدي أعذره في ذلك، كونه تعرض لظروف قاسية منذ صغره أجبرته أن يكون رجلاً عملياً لا مجال للفنون عنده، أقلها أنه سافر إلى مكة وعمره لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، ومكث في الغربة مدة تزيد عن ثلاث عشرة سنة، لا يرى فيها أحداً من أهله إلاّ من زيارات سنوية يقوم بها أبوه)

بدايات رعد الشعرية ترتبط بتراجيديا أسرية عاشها في صغره، حيث انفصل والداه، وكان لانفصالهما تأثير كبير على الطفل ذي السنوات العشر ، كان وقتها في الصف الخامس ابتدائي، وقد جعله الشرخ الأسري المرير يتمزق ألماً، وكان ذلك الألم يتأجج بما يسمعه من كلام الناس عن مشاكل والديه، ثم اكتملت قتامة وضعه النفسي بغربته بعيداً عن أسرته حيث سكن طيلة المرحلة الإعدادية في دير الربيدي لأجل الدراسة هناك.

أمام ذلك الوضع المؤسف كان على رعد أن يدافع عن وجودة، أن يعزز داخله النفسي، وكان ذلك يستلزم وسيلة جيدة للتعبير، وسيلة تكون قادرة على إيصال مكنوناته ومشاعره، ولم يكن وقتها يعرف أن في وجدانه مخاضًا مبدعًا سيتبلور عما قريب.

بداية انغمس في كتابات نثرية اتخذت شكل الرسائل إلى والده ووالدته يخبرهما عن حنقه وغضبه مما فعلاه، في نفس الوقت كانت مشاعره تختلج بالشعر لكن أدوات الشعركانت تحتاج إلى وقت لتتضح معالمها، بينما هو يريد أن يعبِّر عن حالته ومأساته الخاصة بأي شكل، كانت بوصلة الفن في داخله تذهب إلى ما يعرفه من نصوص الآخرين، إنها تجربة غريبة نوعاً مّا وهو يصفها بأنها كانت (محاولات شعرية منحولة حيث كنت أقوم بأخذ قصيدة سهلة التعديل، وأعدِّل في مفرداتها بما يجعلها مناسبة لوضعي الشخصي، طبعا أول قصيدة عدّلتها كانت لحافظ إبراهيم شاعر النيل، وهي قصيدة كانت في المنهج المقرر علينا في الصف الأول الإعدادي في كتاب البلاغة والنصوص، أعني القصيدة التي يقول فيها:

الأم مدرســــــة إذا أعـــــــددتها　　　أعـددت شـعبا طيـب الأعـراق

وطبعا كل تلك المحاولات ذهبت أدراج الرياح، ولم أستطع بل لم أفكر حتى في عرضها على أحد)

تأثر رعد أحمد بحافظ إبراهيم إلى درجة أن تملكته تجربته شعراً، وإحساساً حد أنه كان لا يرى غيره إلاّ قليلاً مثل أحمد شوقي والمتنبي، لكنَّ رعداً تأثر أيضاً بامرىء القيس، تأثر به جداً وبمعلقته الشهيرة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وتأثر أكثر بطرفة بن العبد (كنت أحس بخاصية متميزة في شعره تغلغلت في أعماقي، وكنت أبحث عن أشعاره متوقعاً له كمية أكبر مما وصلني لكني عرفت أنه مات مبكراً فاقتنعت بما وصلني، ولا أنسى تأبط شراً فقد كان له عندي مكان) لاحظ أن كلاً من امرىء القيس وطرفة وتأبط شراً كان قد فقد كل منهم عالمه المطمئن، وحياته العادية الهادئة، وتحمَّل عبء أخطاء لم يقترفها، ولعل إحساسهم الثلاثة بالتأزم الوجودي هوما كان يشد الشاعر إليهم.

فيما بعد سيؤسس الشاعر نفسه بقراءات شعرية تنحدر من زهير بن أبي سلمى، وعمرو بن كلثوم، والنابغة الذبياني في العصرالجاهلي وتمر بالأعشى، والحطُيئة، وجرير، والفرزدق، وأبي دلامة، وأبي نواس، وأبي فراس الحمداني، وعلي ابن الجهم، واقترب أكثر من تجربة دعبل الخزاعي الذي كان شعره قريباً إلى قلبه، حتى وصل إلى شعراء العصر الحديث البارودي، ومحمود درويش، المقالح، وبدر شاكر السيَّاب، وعلي مغربي الأهدل، و فؤاد المحنبي.

وتعرَّض لخليط من التلقيات المؤَسِّسَةِ من (كتاب البلاغة الواضحة) المقرر للمرحلة الثانوية وكذلك كتاب (جواهرالمتنبي) وكتاب (النقائض لجرير والفرزدق) وكتاب (يتكلم عن شعراء تهامة امثال مبارك بكير وامرامي والمحنبي وغيرهم) وكانت المناظرات والمسابقات الشعرية التلفزيونية وقوداً لتطلعاته الإبداعية بدءًا من المناظرة الشهيرة بين الشاعر اليمني فؤاد المحنبي والشاعر اللبناني عباس فتوني وحتى مسابقات من نوع (أمير الشعراء) و(صدى القوافي) في النصف الثاني من عشرية الألفية الأولى.

أول محاولة شعرية تخصه بعيداً عن تكييف قصائد الآخرين كتبها حين كان عمره لا يتجاوز الثالثة عشرة، وبطبيعة الحال فهو لم يعد يحفظها، إنما يتذكر أنها كانت ركيكة جداً.

أما أول محاولة حقيقية وجادة فقد كانت في بداية عام 2003م، وكان وقتها يغادر السابعة عشرة من عمره، كان حينها في صنعاء يعامل على فيزة للسعودية حيث مكث في صنعاء شهراً كاملاً، تلك المحاولة تحكي قصة حب كما هو واضح من مطلعها:

إليـــك حبيبـــتي إن تعـــرفيني	**تحيـــــاتي تـــــزف بيــــــاسميني**
يرافقهـــا مـــن القلـــب التيـــاع	**مـــع الأشـــواق يحملهـــا حنيـــني**
و يوصـــلها إلى مـــن لا يراعـــي	**لحـــبي ذمـــة ويريـــد حيـــني**

هكذا بدأ عمودياً فصيحاً، قبل أن ينوع اشتغالاته بين العمود والتفعيلة ثم زاد على ذلك باقتحام باب الشعرالشعبي التهامي الذي يقول إنه دخله (على استحياء).

عندما نستعرض نماذج من شعره الفصيح يتبين لنا أن رعد أحمد شاعر يمتلك موهبة جيدة، لكنه لا يستثمرها كما يجب، لغته رائعة، لكنه كان يحتاج إلى احتكاك قوي بجيله من شعراء الفصيح المقيمين في العاصمة بالذات، ستفجّر المقايل والمنابر كوامنه، وسيخرج منه شاعر عملاق بكل تأكيد، بين أيدينا نص أخذته اعتباطاً من صفحته وهو يعطينا صورة عن مقدرته الشعرية المميزة وإن كان النص الواحد لا يكفي ولكن ما أكتبه ليس دراسة إنما هو بروفايل للشاعر الهدف منه التعرف عليه والتعريف به في سياقه الحشيبري فحسب، وهذا هو النص:

أقلــدها الحــرف والقافيــة	**أملكهـــا بـــوح ســـلطانيه**
أعرفهـــا في الـــورى بهجـــة	**تبـــث الســـعادة في ذاتيـــة**
فألفيـــت نفســـي علـــى بابهـــا	**وروحي علـى أرضـها جاثيـة**
وجـدت الوجـود بوجـدانها	**وجـــوداً يجـــدد وجدانيـــه**
جنـــوناً تعـــانقني عنـــوة	**تقبلـــــني قبلـــــة عاتيـــــة**
فتــذهب بالــروح أنفاســها	**ليبعثـــني صـــوت آهاتيـــه**

فأحيا تقياً على غفلة **أساق إلى جنة عالية**

تغني المودة واحاتها **وبالوصل أفنانها دانية**

وجنات عمري بها أينعت **وعاد الربيع بها ثانية**

تداعب أوراقها همستي **فتهتز أغصانها راضية**

وفي ظلها أسلمت غفوتي **وغنت محاريب إيمانيه**

إذا حان وقت اللقا خلسة **يؤذن قلبي بلا رابية**

وإن طيفها مر في خاطري **سكبت لها كل أشواقيه**

أحج لها كلما أجدبت **رياضي وجفت ربا واديه**

أما في اللون الشعبي التهامي فنحن أمام حالة استثنائية، فهنا استفاد رعد من الاحتكاك بزملائه، أقصد حالة الشعور بوضعه كمهر في مضمار سباق، هذا ما كنت أقصده بحديثي عن الاحتكاك في المقايل والمنابر وأنا أتحدث عن تجربته الفصحية.

في اللون الشعبي التهامي سيبدو رعد أحمد شاعراً مذهلاً ينقاد له الكلام، وتطاوعه اللغة، ونقف مشدوهين أمام قدرته الفائقة على تخليق الصور، والاتكاء على أكثر المفردات والتعابير إيحاءً وتلبية لرغباتنا النوستالجية التي تحاول التشبث بزمن كامل يتسرّب من بين أيدينا كما في هذا النص:

قولك عندنا وصل **يزفنا زفانو**

للإبداع في عجل **وانا يديه رزانو**

سحببها على المجمل **ودفها دفانو**

فوق المحرف في وجل **دور لنفسي بكانو**

وانته يتيت يا فحل **زميتنا زمانو**

قولــك بان في المخمــل كنــه أمانــه وهــانو
مثـل امغيـث كـد نـزل يرشــــنا رشـــانو
عبطنــا مــن امكســل وجشــــنا جشـــانو
مــن متكــاي كالمجعــل زعطتنـــا زعطتـــانو
والليلــه انتهــى هبــل شنوضـــنه وضـــانو
وشـنحطه مـع امهمـل لمسدســاتي مشـــانو
صـافي امشـعر لا زجـل يسـجع بها سـجعانو
يكــبي امنــون وامقــل مفختنـــه فختـــانو
لــه في امفــن معتــزل ومسـجدو وشـيطانو
وامشـــعواذ وامـــدلل هبــا لهــا مهجــانو
والأشـــواق والغـــزل يعمهــــا عمــــانو
قافيتـــه بهـــا امثـــل ومعجـــزه وبرهـــانو
يقـذف كلمـا سـعل لآلـــؤو ومرجـــانو
مضـمونة مـن امـدحل منهـا وفيهـا دهـانو
خــيره للـــدنى شمـــل أباعـــدو وجيرانـــو
ملـى امسـهل والمجبـل فواكهـــو ورمـــانو
والمحبحـــاب وامقبـــل عنـــده لهـــا ميزانـــو
قلبـه في امهـوى انتبـل مفـــاورو وســـكرانو

لا حـاد امـزخم هشـل　　　بعـده تقـول طعـانو

يعـبط بـين تـه العـزل　　　مقشـــننو قشـــنانو

بـين امطـين كـد بتـل　　　كنـــه يعـاني جنـانو

بـين محجـار وامبحـل　　　مصـــعننو صـــعنانو

رجلينـــه بـــلا ربـــل　　　كـــد فتهـــا فتـــانو

وجنبـــه عنـــدها نتـــل　　　ومكنـــــه مكـــــانو

لا تراجــع ولا هجــل　　　متشـــونو تشـــوانو

كنـــه مـــوترو دبـــل　　　مشــــطنو شــــطانو

في حبــه كــدن بــذل　　　مشــاعرو ووجــدانو

بعـد امطـير وامحجـل　　　متكفكفـــو وولهـــانو

واللـي قيـل مـا حصـل　　　هبيتهـــــا دنـــــدانو

وامشـــاعر إذا انفعـــل　　　يجرهــــــا جرانــــــو

وبـــــراده إذا جفـــــل　　　ميخارجهشـي ودانـو

ومش من قال أو زمل　　　نـــور لنـــا فنـــانو

ذا تلقـــــاه يحتمـــــل　　　إنــه يكـون دوشــانو

ما يشغلنا في النص ليس ما قدمته به فحسب، ولكن تشغلنا الفنيَّات، فالقافية تقوم إما على أسماء وصفات على صيغتي (فعلان) بكسر الفاء وفتحها وضمها وتسكينها، كما في (مِيزانو، دَوشانو، رُمانو، وْدّانو)، وإما على صيغة (فُعْلانْ) التي تأتي إما مشتقة من الفعل، وإما على صيغة المفعول المطلق، حيث تنفرد لهجة منطقة الشام من تهامة بهذا الاستعمال، والصيغة هي الصيغة

نفسها التي سمى الله تعالى بها القرآن الكريم، -ولوأن اللغويين القدامى وحتى المستشرقين الذين خبطوا ولخبطوا كثيراً في تفسير معنى (قرآن)، ألموا بهذه المنطقة ولهجتها لما وقعوا فيما وقعوا فيه — لاحظوا كيف تجيء عند رعد مشتقة من الفعل، وتؤدي معنى المفعول المطلق:

مثل امغيث كد نزل   يرشنا رشانو

عبطنا من امكسل   وجشنا جشانو

من متكاي كامجعل   زعطتنا زعطانو

والليله انتهى هبل   شنوضنه وضانو

القافية ليست سهلة، وحشدها في ثمانية وثلاثين بيتاً ليس أمراً عادياً عند من يعرف اللهجة ويعرف شعرها، لكن روعة الإبداع لا تتوقف عند القافية التي وظفها الشاعر توظيفاً يسلب الألباب، فهناك حشد هائل من الصور التي يشتعل فيها المجاز والكنايات والاستعارات اشتعالاً، لنتأمل كل تلك الأدوات التي حاول أن يخلق منها صورة مشهدية لمكابدات العاشق:

قلبه في امهوى انتبل   مفاورو وسكرانو

لا حاد امزخم هشل   بعده تقول طعانو

يعبط بين ته العزل   مقشننو قشنانو

بين امطين كد بتل   كنه يعاني جنانو

بين محجار وامبحل   مصعننو صعنانو

رجلينه بلا ربل   كد فتها فتانو

وجنبه عندها نتل   ومكنه مكانو

لا تراجع ولا هجل   متشونو تشوانو

كنه موترو دبل   مشطنو شطانو

مكونات الصورة العامة فى القصيدة تحيل إلى مخيلة فارهة، وشاعر يجمع في كتابة قصيدته بين التحدي والعذوبة، فالنص موجه في المقام الأول لعشرات الشعراء التهاميين المنافسين للشاعر حيث يشهد موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك اشتباك تجربته بتجاربهم منذ سنوات، ميزة رعد أحمد هذه القدرة على التحرك داخل المعجم التهامي المعجون بثقافة مجتمعه الخاصة، بالبيئة وجيراننا فيها، وأدوات الحياة اليومية، وطريقة تعامل التهاميين مع الأشياء وتكييفها بما يناسب لهجتهم، ثم طريقة تفكيرهم ورؤيتهم للحياة وتصورهم للعالم. وهو في هذا يعد الأقرب نسباً شعرياً إلى الشاعر الكبير على مغربي الأهدل.

إن تجربة رعد أحمد تستحق وقفة أطول عندها، لكن المجال هنا لا يتسع لذلك فهذا المقام كما أسلفت أراد تقديمه والتعريف به بوصفه لؤلؤة في العقد الحشيبري الباذخ، أما تناول تجربته باستفاضة فلنا بإذن الله موعد معها في كتاب يتناوله ويتناول زملاءه وسربه من شعراء اللهجة التهامية.

رعد متزوج وله ثلاثة أطفال، نوف من مواليد 2006/2/22م، ميعاد من مواليد 2008/8/8م، هاشم من مواليد 8/11/ 2013م

***

الدكتور نبيل الحشيبري... الحزبي

أكاديمي وسياسي ومفكر يمني، ولد نبيل أحمد مُحَمَّد الحشيبري في حوض الأشراف بتعز سنة 1964م، شخصية نضالية علمية، وثقافية كبيرة أفنت حياتها في نشر ثقافة الحوار والسلم ونبذ العنف، كان يعد من القيادات الناصرية الفذة، انتسب للتنظيم الناصري عام 1979م،

وتقلد مناصب قيادية وتنظيمية رفيعة، أبرزها انتخابه عضواً في قيادة فرع أمانة العاصمة في المؤتمرين الوطنيين العاشر والحادي عشر، وهو حاصل على درجة البكالوريوس في مجال الزراعة من الجمهورية العربية السورية، كما حصل على درجة الماجستير من جمهورية العراق، ثم أكمل مشواره العلمي في جمهورية مصر العربية حيث حصل منها على الدكتوراة في مجال الإرشاد الزراعي من جامعة أسيوط سنة 2013م، وكانت رسالته بعنوان (نحو رؤية لتحديث الإرشاد الزراعي في اليمن)[1]

عمل مديراً عاماً للإعلام الزراعي بالهيئة العامة للتنمية الزراعية، وعُين مستشاراً لوزير الزراعة والري. خلَّف الدكتور نبيل الحشيبري ولدين هما، أحمد ومُحَمَّد " وبنتاً واحدة اسمها آمنة، وقد توفي فجأة في صنعاء مساء الأربعاء ٣٠ يناير ٢٠١٨م عن 54 عاماً، تميز الدكتور نبيل الحشيبري بميوله التفكيكية، فهو من أهم نقاد الخطاب السياسي النمطي، كما كان حداثي القراءات والتفكير والروح، ومن شعاراته التي كان يرددها دئماً مقولة المفكر الفرنسي فولتير(الرجل الجاهل يثير احتقارنا، والمتعصب اشمئزازنا، أما الإنسان المثقف الواعى والضمير الحي فهو الجدير باحترامنا)

اصطدم في السنوات الثلاث الأخيرة من عمره بالجماعة الحوثية، تسبب في فقده وظيفته وبقائه

([1]) منشورة على موقع اتحاد مكتبات الجامعات المصرية
http://srv4.eulc.edu.eg/eulc_v5/Libraries/Thesis/BrowseThesisPages.aspx?fn=ThesisPicBody&BibID=11675885&TotalNoOfRecord=172&PageNo=1&PageDirection=First تمت المعاينة بتاريخ 23 يونيو 2018م

عاطلاً حتى مات [1].

ترك رحيله غصّة كبيرة في قلوب ونفوس محبيه وأصدقائه، وتحت عنوان (عندما يبكي الرجال) كتب جمال ياسين: (لقد كان أمس واليوم حزينين جداً، حزينين حتى الكمد، حزينين إلى درجة لا أستطيع التعبير عنها بوفاة الدكتور نبيل الحشيبري.اليوم ونحن مخزنين في المنزل مع الوالد والدكتور توفيق الأغبري والأستاذ مُحَمَّد العكام كنا كلنا حزانى على فراق رجل صمصام لم يستسلم حتى الرمق الأخير، ولكن اليوم كان أكثرنا حزناً الدكتور توفيق الأغبري الذي تفاجأت وهو يجهش بالبكاء على رفيقه الرجل النبيل نبيل الحشيبري، لقد كان – دائماً– الدكتور نبيل بأسلوبه اللطيف في السخرية، يسخر من الدكتور توفيق، إلا أن دموع الدكتور توفيق الحارَّة علمتني أنه لا أحد أحب الدكتور نبيل مثل توفيق الأغبري، لأن تلك الدموع علمتني كم هو مؤلم أن تفقد صديقاً عزيزاً فجأة بدون مقدمات وبصمت، . علمتني أن الوفاء يستمر حتى بعد الموت، علمتني أن الأجل إذا جاء فإنه يجب علينا كلنا أن نبكي على رجل يعجز اللسان عن التعبير عن طبيته، رحمك الله دكتور نبيل وأسكنك فسيح جناته)[2]

وكتب أيضاً بنفس التاريخ: (القلب حزين لوفاة هذا الرجل العظيم، لقد كان الدكتور نبيل بالنسبة لي أستاذي ومعلمي وأخي الكبير، الذي أكن له جميلاً لن أنساه له طوال حياتي وما زال عندي كتاب ناعوم تشومسكي (الشرق الأوسط الجديد) – كتاب الدكتور نبيل – سأحتفظ به لكي يذكرني بك دكتور نبيل الحشيبري، الله يرحمك أستاذي العظيم لن أنساك أبداً واسأل الله العلي القدير أن يدخلك الله فسيح جناته، . إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون)[3].

للدكتور نبيل الحشيبري كتابات منشورة في صحيفة الوحدوي، وغيرها، وله مقالات منشورة

([1]) (موقع الوحدوي، بتاريخ الأحد 4 فبراير 2018م
http://www.alwahdawi.net/news_details.php?sid=19437 تمت المشاهدة بتاريخ 21 يونيو 2018م،
إضافة إلى معلومات من الصديقين الدكتور صادق القاضي، والدكتور هاني الصلوي بتاريخ 18 يونيو 2018م،

([2]) تم نقلها بتعديلات بسيطة من صفحته على فيس بوك بتاريخ 1 فبراير 2018م،
https://www.facebook.com/search/top/?q تمت المشاهدة بتاريخ 21يونيو 2018م

([3]) المصدر السابق

على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي، وتحية له وتوثيقاً لهذا الجانب من وعيه، نختار من كتاباته موضوعاً بعنوان (الإنسان الحر)، وهو مقال يعبر عن خلاصة توجهه وفكره – رحمه الله –

الإنسان الحر

نبيل الحشيبري

الإنسان الحر بطبيعته وتركيبه الفسيولوجي والنفسي المتوازن ميال إلى العدل، والحرية وعمل الخير والاستقرار والطمأنينة والسلم الأهلي وإعمار الكون وتتميم مكارم الأخلاق،

فنجده يتطور بشكل مطرد، يحل مشاكله بإستمرار ويحقق تنميه مستدامه وينطلق للأمام للنفاذ من أقطار السماوات والأرض،

ونحن إنساننا مستعبد بالشريعة وطقوس الإيمان الشكلي المظهر، وجوهر عمله غير صالح، يمارس فساداً متوحشاً، وفوضى اللادولة التي تميز بين مواطنيها، لقمة العيش مغموسة بالذل، وتلبى حاجاته مكرمات،

ليس (هذا تجاه) العوام فقط –حتى بالنسبة للمثقف والسياسي –هي نقطة ضعفه ونفاقه، إذا حجبت عنه ضاق أفق تفكيره فإما أن يقبض على جمر الثبات ويواصل شد الحزام على بطنه – في أحسن الأحوال،

وإما أن يختار المنفى وإما السجن وإما التصفية الجسدية فيما لو أرخى لفكره العنان، وإما التصوف والزهد وحياة القبور والانتحار البطئ، لأن المثقف العضوي والمصلح الحقيقي، نقيض للسلطة القهريه والديكتاتورية ولايقبل السقوط والنفاق، وهو عند البعض مكشوف ومفضوح وسيتلاشى طال الزمن أو قصر،

عن شرقنا البائس أتحدث هنا، لأن للقمة العيش فعلها ومجاراة السفه للحياة المعاصره ومغرياتها دور كبير في ذلك الخواء والعهر والعار السياسي الذي نعيشه، فالجائع لا يقف عند محطات الإبداع والإنجاز على أرض صلبه، ومواقف راسخه، والخائف لايصنع الحريه إلا إذا حصل على الأمان وتمكن من توفير أسباب الطمأنينة له ولعائلته بضمان البقاء والعيش الكريم تحت سقف هذه المرحلة الاقتصادية العالمية الصعبة،

بالذات في مجتمعات الكفاف والتضاريس الصعبة المخترقة والمحترقة من دول الثروة ووصاية أمرائها ولجانهم الخاصة، ومذهبهم الوهابي، و لمثقفي الشيخ الدائم والرئيس المتحول خاصة ولقبائل المرتزقة والمجتمعات الميتة الغافلة وعوراتهم عامة.

مع عدم نسياننا أن للمعاناة الدور الأكبر في الخلق والإبداع لعظماء البشر الأحرار والرسل الأتقياء في عالم لايرحم وسريع التحول والتغيير، .

هل أصبحت الإنسانية في مدن الملح ضعيفة إلى حد العقم في إنجاب باحثين ومفكرين ومثقفين وقادة رأى يدعون لتصحيح المسار الحالي للحالة العامة بعد الشرخ المذهل ما بين الواقع البائس والطموح المستحيل للتحرر من الثنائيات الحراقه: الحداثة والأصالة، والاتباع والإبداع من ناحية، وما بين المنع الإلغاء الإقصاء، والقيود الأخرى لأساطير الأولين ووعاظ السلاطين من جانب آخر، وهو ما أوصل حتى المبدع نفسه إلى التشكيك في الدور الإبداعي الحالي في نهضة الأمم وقدرته على رفع مستوياتها في جميع ميادين الحياة،

وعن طريق تعظيم دور الفكر والفلسفة والأدب والعلوم للتفاعل الإيجابي مع حقائق العصر وتدجينه وحرق أصابعه لتكييفه مع واقع المأساة والمنزلة بين منزلتين لبقاء الطور الحيواني[1] .

***

([1]) نشرت على صفحته بتاريخ 11 يناير 2018م أي قبل وفاته ب 19 يوماً، https://www.facebook.com/nbyl.alhshybry تمت المعاينة بتاريخ 21 يوليو 2018م، أوردتها بتصرف بسيط يتعلق بإصلاح أخطائها وبعض جملها.

عبدالله حربان... التقني

من بني حشيبر فرع بني حربان، وتتوزع أسر هذا الفرع بين، المنيرة والزيدية وجدة ومواطن أخرى، وقد اشتهر منذ خمسينيات القرن العشرين في قرى تهامة الواقعة بين واديَيّ سردد ومور اسم ثري من أبناء هذه الأسرة هو مُحَمَّد حربان، كان مُحَمَّد حربان يمتلك بنكاً ـ حسب تعبيرات الناس بين الخمسينيات ومطلع السبعينيات من تلك الفترة – وكان بنكه عبارة عن مكتب تحويلات مالية في مدينة جدة، وقد احتكر تقريباً عمليات تحويل أموال المغتربين في جدة لأهلهم في تهامة، وكانت عملية التحويل تتم عبر حوالات مكتوبة يدوياً،

كان المغتربون كما أخبرني جدي (عم والدي) مهدي بن مهدي صغير الجيلاني يدفعون لمحمد حربان عشرة ريالات سعودية مقابل تحويل ستمائة وخمسين ريالًا سعودياً يعطيهم فيها سنداً، فتصل النقود إلى المنيرة، حيث إبراهيم حربان النائب عنه هناك، وهذا بدوره يكلف السيد عبد الرحمن الوشلي بإيصال تحويلات المغتربين إلى قراهم، فيرتاد القرى على حمار ويوزعها حسب مرسليها لهذه الأسرة خمسة ولتك عشرة ولتلك عشرين وهكذا[1].

وحين كنت صغيراً مطلع السبعينيات أذكر جيداً أن "حربان" كان مضرب المثل في الغنى، وكان الناس يرددون قول الشاعر المغني سود معمى:

وعنـــدي أنا بنـــك حـــربان وجـــدّه وســـوق الســـقاله

وكان سود في هذا القول يشبِّه ثراءه الشعري بثراء حربان المالي.

([1]) أخبرني بهذا في سنة 2003م، في سياق اشتغالي على توثيق شعرالشاعر المغني سود معمى، وستنشر في كتابي (سود معمى.. أو الغناء بضمير الجماعة)

لقد كنت أتمنى الحصول على معرفة جيدة بسيرة حربان لأسطرها هنا لكني لم أحظ بمن يمدني بها من أهله، وعبثاً ذهبت مراسلاتي مع صديق الدراسة الجامعية الدكتور عبدالله حربان، الذي لا أعرف كيف لم يستوعب أهمية شيء كهذا، ولذلك فإنني أعاقب صديقي بالكتابة عنه ليمثل هو بني حربان في هذا المقام الحشيبري.

ولد عبدالله أحمد مُحَّد حربان سنة 1974 بمدينة جدة، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية هناك جاء إلى صنعاء ليدخل قسم الكيمياء في كلية العلوم بجامعتها العتيدة.

كنا قد سبقناه إلى الجامعة، وحين انضم إلينا في نفس السكن، كان حييّاً خجولاً، جميل الإبتسامة طيب القلب، عفيفاً، وكان ينظر إلى تجاربنا العاطفية البريئة في الجامعة بدهشة كبيرة باعتبارها فساداً لا يليق، لكنه –كأي شاب – مالبث أن وقع في الحب وتعرض للواعجه المزلزلة، وكان يقتلنا وهو يتعذب بتبريراته المضحكة لما يعاني منه، فهو لم يقع في الحب، إنما تم إفساده عمدا، أما الذي أفسده فهو –دائماً – علوان، والحقيقة أني كنت أتعمد تشجيعه على الحب، فتلك فترة لا تعود أبداً، لكن عبدالله حربان كان يحب من بعيد، وبصمت، ولا يطلق لسانه بالبوح إلا في سمراتنا بعد المذاكرة، حيث تطيب الشكوى، وتُبثّ الشجون. لذلك فقد كان ثاني اثنين من مجموعتنا لم يتزوجا من الجامعة.

فارقنا عبدالله بعد أن أنهى دراسته الجامعية وعاد إلى جدة، دون أن يفارقنا طيبه، ونبل أخلاقه، فطيلة سنوات المزاملة لم نسمع منه لفظاً نابياً، ولم نر عليه لحظة ضيق بصديق، أو ضيف، وقد قاده جدّه وسلوكه المستقيم إلى إنجازات مميزة في حياته العلمية والعملية، فهو اليوم يعمل مديراً لتقنية المعلومات بمؤسسة مسار الإجادة، وهو باحث دكتوراة في جامعة المدينة العالمية – ماليزيا –، تخصص تكنولوجيا وتقنية المعلومات، وقبلها حصل عل شهادة الماجستير في تقنية المعلومات والا تصالات من نفس الجامعة سنة 2014م، وهو يحاضر في ذات الجامعة إضافة لكونه محاضراً في الجامعة العربية للعلوم والتقنية بجدة، ومدرباً معتمداً في نظم التشغيل، وعضواً في الجمعية العربية لعلوم الروبوت بعمان – الأردن –

وقد شملت خبرته المهنية أيضاً العمل بمدارس الأقصى في جدة سنوات طويلة (من 2003 إلى 2014م)، كما عمل مبرمجاً ومحللاً للنظم في مؤسسة عامر للحاسب الآلي بين 1997 و2004م. ولديه سجل حافل من الدورات التدريبية التي حصل عليها من عواصم شتى في مجال تخصصه المهم [1].

([1]) المعلومات من سيرة حافلة أرسلها لي بتاريخ 25 مايو 2018م.

الحاضنة الأم لبني حشيبر

عند نهاية العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين

واقعها وأعلامها

أوردنا في مستهل هذا الكتاب ما ذكره بهاء الدين الجندي المتوفى سنة 732هـ في كتابه (السلوك في طبقات العلماء والملوك) عن أوائل بني حشيبر حيث قال ((ومن قرية تسمى بيت دبان بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة ثم ألف ثم نون، فقيه اسمه مُحَمَّد بن عمر بن حشيبر بضم الحاء المهملة وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحت وخفض الباء الموحدة وسكون الراء، ونسبه في قوم يقال لهم الهليليون بهاء مضمومة بعد ألف ولام مفتوحة وبعدها لام مفتوحة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم لام مخفوضة ثم ياء مثناة من تحت مضمومة ثم واو ساكنة ثم نون، كان فقيهاً زاهداً ورعاً صاحب كرامات وكلام بالحكمة، وفاته مستهل عرفة سنة عشرين وسبعمائة[1]، وكان والده فقيهاً خيِّراً، صحب الشيخ أبي الغيث واختص به وعد من أصحابه)[2] فبيت دُبَان التي يذكرها الجندي – وهو أقدم مصدر تاريخي يُذكر فيه بنو حشيبر – ليست إلا قرية الحشابرة الأم، بدليل أن الولي مُحَمَّد بن عمر بن حشيبر 718هـ الذي تُذكر بيت دبان في سياق ترجمته مدفون في القرية الأم، وبدليل أن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي المتوفي 893هـ يقول في كتابه (طبقات الخواص) عند ختام ترجمته (كانت وفاته آخر سنة ثماني عشرة وسبعمائة ببلده، وهي قرية قريبة من مدينة بيت حسين، تعرف ببيت الفقيه نسبة إليه، وقبره هنالك وقبور ذريته وأهله، مشهورة مقصودة للزيارة والتبرك)[3].

([1]) سبق أن وضحنا خطأ الجندي في تاريخ وفاته وتصحيح البدر الأهدل له، وأنه كان في سنة 718هـ

([2]) السلوك في طبقات العلماء والملوك ج2 ص3487

([3]) طبقات الخواص ص 274

ولم يذكر أحد من المؤرخين بعد الجندي –حد علمي – بيت دُبان فقد استبدلوها كلهم ببيت الفقيه ابن حشيبر.

أما الدليل الأهم فهو قول المؤرخ اسماعيل بن مُحَمَّد الوشلي 1356هـ عن قرية الحشابرة في سياق ترجمته للولي نفسه، بعد أن أورد كلام الشرجي السابق ذكره (قلت: وتشتهر الآن بالقرية)[1]

وقد اكتسبت تلك القرية مكانة مركزية ترسخت أكثر بتواتر ظهور أعلام البيت الحشيبري الكبار، وفي فترات من تاريخها كان يُعيّن لها مفت ويكون فيها نائب للحكم الشرعي، وممن جمع بين هذين المنصبين الفقيه أحمد بن أبي بكر بن مُحَمَّد الدمل المتوفى سنة 830هـ الذي وصفه البدر الأهدل ب(المدرس المفتي نائب الحكم الشرعي بقريتهم)[2] وهو الذي أمد البدر الأهدل بكثير من تراجم بني حشيبر منذ بزوغ شأنهم وحتى زمنه، –على نحو ما فعله معي الكتور عبد الحفيظ فقيه الحشيبري بالنسبة لأحوال الحاضنة الأم اليوم –

وإذن فالموطن الأساس لبني حشيبر هو قرية الحشابرة، وتقع جنوب غرب مدينة الزيديه علي مسافة سبعة كيلومترات تقريباً، ويوجد بها قبورهم، وقد تكاثرت قراهم حولها حتى صارت عزلة كبيرة، هي ما يعرف في زماننا ببلاد الحشابرة كما تعرف في التوصيف القبلي والإداري للمنطقة ب (عزلة الحشابرة)، وهي تتبع مديرية الزيدية إدارياً ومحلياً، وتتبع نيابياً مديرية المغلاف، وبعض قراها تتبع نيابياً مديرية القناوص، والبعض الآخر يتبع مديرية المنيرة، ويبلغ عدد قرى وأديرة ومحال عزلة الحشابرة أربعاً وعشرين قرية وديراً وبيتاً ومحلاً رئيسياً إضافة إلى مجموعة محلات وقرى ثانوية، والحشابرة بطبيعة الحال يتوزعون خارج حاضنتهم الأساسية كما ذكرنا غير مرة بدءًا من المديريات المجاورة مثل المنيرة، والضحي والمغلاف، والقناوص واللحية، ووادي مور، والحديدة وبيت الفقيه، وفي غيرها مثل جهات جيزان[3] وعدن وذمار[1] وإب[2] وتعز[3] وصنعاء، كذلك في جدة ومكة والطائف والمدينة وغيرها، وفي

([1]) نشر الثناء الحسن ج2 ص 123، ثمة ملاحظة لا بد من إيرادها هنا وهي أن الأستاذ إبراهيم المقحفي محقق (نشر الثناء الحسن) قد جانبه الصواب في تعريفه بالقرية (قرية الحشابرة) في الهامش، إذ عرَّفها بقوله (القرية محلة بجوار قرية الجبيرية، من قرى الزعلية، بمديرية اللحية) ولا علاقة لما ذكره بقرية الحشابرة من قريب أو بعيد.

([2]) تحفة ازمن ج2 ص 195

([3]) لهم هناك قرية اسمها الحشيبرية تقع غرب صبيا

بلدان أخرى أيضاً.

وهذه هي أسماء قرى وأديرة وبيوت ومحال بني حشيبر في حاضنتهم الأولى:

1-قرية الحشابرة القرية (الأم) ويسكنها فخوذ من الحشيبريين منهم بنو المعافا وهم من ذرية المعافا بن عبدالله بن الطاهر بن أحمد بن مُحَّد بن علي بن مُحَّد با أبي القاسم بن مُحَّد بن الولي الكبير أحمد المكنى بالمحاضر ويلقب أيضاً ببحر الدجرا بن حسن بن مُحَّد بن حسن بن مُحَّد بن عمر حشيبر)[4] ومن بيت المعافى آل النجار، وبني الشيخ [5]

2- دير القادري

3- دير عمر

4- دير عياش

5- محل المشعف (أهله من ذرية الولي من مُحَّد بن حسن حشيبر)[6]

6- بيت عكاد

7- دير عسله (أهله من ذرية الولي من مُحَّد بن حسن حشيبر)

8- دير غراب

9- دير صالح

10- محل الأشخر

11- محل الموري

12- محل المدني (يسكنه بنوالمدني)[7] أبناء الفقيه العلّامة الجليل، خاتمة الحفاظ، ومحدِّث الديار

([1]) سبق أن عرفنا بعزلة الحشيبري في عنس ذمار

([2]) في قرية الدار، عزلة النقيلين، مديرية السياني، وهم فقهاء المنطقة وعلماؤها ولهم تاريخ علمي حاشد هناك.

([3]) في حوض الأشراف أسر منهم

([4]) نشر الثناء الحسن مج2 ص 126، 127

[5] نفسه

([6]) نشرالثناء الحسن مج2 ص126

([7]) نفسه ص 132

اليمنية في القرن الحادي عشر علي بن أحمد المدني الحشيبري، لكن جدهم حسبما أورده البحر في (تحفة الدهر) لم يقبر عندهم في محل المدني إنما قبر ببيت الفقيه الأيمن –أي قرية الحشابرة الأم – عند أجداده[1]

13- محل الموري

14- العبديه

15- الكدف

16- الحله

17- قريه المحال(يسكنها فخذ من بيت المعافا إلى جانب بني البهلول أبناء الولي عمر بن قاسم الملقب بهلول الحشيبري، وفيها أيضاً ضريح أم هذا الولي وهي الولية الصالحة سعادة بنت الولي القطب عمر بن أحمد هبة الحشيبري جد بني الهبه، أما قبر عمر البهلول جد بني البهلول فليس في قرية المحال، فقد دفن شرقي قبر الشيخ دهل في مدينة الزيدية، ومن المحال أيضاً علَّامة وأديب الدولة الإدريسية الشاعر مُحَّد بن إبراهيم الحشيبري)[2]

18- دير البحري

19- دير مُحَّد (فيه قبر الولي العلَّامة عمر بن أحمد الحشيبري)[3]

20- محل جبريل

21- العجلانيه الشرقيه

22- العجلانيه الغربيه

23- محل هارون

24- العرش

وهناك محلات صغيرة في الحاضة الأساسية مثل.[1]

([1]) تحفة الدهر ص 116

[2] نفسه ص 128

([3]) نفسه ص 131،132

محل علي حسين

المحال الشرقي

العرش الجديدة

القرية الشمالية

كذلك هناك محلات أخرى مثل:

محل علي عبده مشعف

محل سليمان علوان

محل عمر ابراهيم مشعف

محل مُحَّد علي خزيقة

محل مشهور إسحاق

محل علوش

محل يحى يوسف

محل ابراهيم مساوى

محل احمد كبش

محل علي حسن [2]

وقد كان تعداد سكان عزلة الحشابرة حسب تعداد عام 2004م قد بلغ (24180) نسمة[3]، ولعل تعدادها اليوم بعد قرابة عقد ونصف العقد من ذلك التاريخ يقع بين الثلاثين والأربعين ألفاً

ويشتغل أبناء الحاضنة الحشيبرية الأم بالزراعة، والرعي، فهم تقليدياً أهل غنم وإبل وماشية

([1]) توضيح من سلطان معتوق الحشابرة 14 يونيو2017م، الساعة 10:38م

([2]) من مراسلاتي مع الدكتور عبد الحفيظ، وهو كما أخبرني يعتمد في كثير من هذه المعلومات على الأستاذ علي قادري الحشيبري.

([3]) موسوعة ويكيبيديا الحرة https://www.google.com/search?q شوهد بتاريخ 20 / مايو2018م

وزراعة، وبلادهم تشتهر بهياج (غابات) السلم / السلام، وعلى هذه الغابات تقوم ثروتهم من النحل فهم مشهورون بأجود أنواع العسل في تهامة وهو العسل السلام، كما يشتغلون بتجارة الفحم والقطران وهما منتجان يقومان على حرق حطب شجر السلم، إلى جانب ذلك، يشتغلون بصناعة الحبال والحصر والآجاب والظلل وما يجري مجراها من صناعات تقوم على طفي (خوص) شجر الدوم، وقد كان بنوحشيبر حتى سبعينيات القرن الماضي تقريباً من أكثر أهل تهامة براعة في صناعة كوافي الخيزران، وكانت الأسر المميزة منهم تمارس هذه الصناعة، والمعروف أن هذه الكوافي تعد من أهم علامات الهوية الاجتماعية لأهل تهامة والجبال المطلة عليها، وأذكر أغنية نسائية أبدعتها إحدى العاشقات قبل ستة عقود في قريتي (الجيلانية) وهي تتغزل بمحبوبها قائلة:

حبيبي درّك على امكدّافة وحطّ يَصْفُرْ

امكوفيه حشْبَرْيه وامسمن يقطُر

محبّته في قلبي كماكل امْبُرّ

لكن هذه الصناعة انقرضت من الحاضنة الحشيبرية الأم مع الأسف الشديد. ولم يبق إلا نفر قليل يمارسون بيع وشراء هذه الكوافي لكنهم لم يعودوا يمارسون صناعتها.

طبعاً يشتغل جزء من بني حشيبر في الحاضنة الأم بالبيع والشراء، كما يشتغل قسم منهم في الوظائف الحكومية خاصة سلك التعليم، الذي كانوا منذ وقت مبكر يساهمون فيه إلى جانب أبناء الأسر العلمية الأخرى بنصيب وافر، حيث كان فقهاء وحفَّاظ هذه العائلات بمختلف مستوياتهم يقومون على العملية التعلمية في المعلّامات والزوايا والأربطة ويطلبهم أبناء القرى والمناطق والأسر الوجيهة النائية التي لا علماء فيها من أجل تعليم أبنائهم، وكان هذا واحداً من أسباب انتشار أبناء الأسر العلمية في أنحاء شتى من اليمن.

هناك جزء من أبناء الحاضنة الأم يعيشون في بلاد الغربة – في المملكة العربية السعودية خاصة – وثمة أعمال أخرى يمارسونها في مرافق حياتية مختلفة.

وهناك معلومات كثيرة أمدني بها الدكتور عبد الحفيظ الفقيه –وبمساعدة كبيرة على الأرض

من الأستاذ علي قادري – بشأن الحاضنة الأولى للحشابرة خلال مراسلاتي معه بدءًا من 11 /6 / 2017م وحتى آخر أيام إنجاز هذا الكتاب نهاية يونيو 2018م، وهي معلومات تلقي ضوءًا كثيراً –وإن كان أقل من المأمول – على هذه الحاضنة المميزة في وضعها اليوم، وهو وضع بطبيعة الحال لا يقارن بما كانت عليه قديماً، والأسباب كثيرة ذكرنا بعضها في المقدمة وبعضًا آخر في ثنايا الكتاب.

مع ذلك فإن زاوية الولي الكبير علي بن أحمد حشيبر في القرية الأم لا تزال تقوم على تعليم القرآن، وتقيم الرواتب والختومات الرمضانية، وتدرِّس سنوياً البخاري ومسلم، ومثلها — حد– علمي زاوية الولي الكبير عمر بن قاسم البهلول في قرية المحال، وزاوية الولي الكبير إبراهيم بن أبي بكر الدهل في الزيدية، وهي الزوايا التي كانت حارة النشاط إلى ماقبل ستة عقود (نهاية خمسينيات القرن العشرين)، إلا أن نشاطها لا يكاد يذكر اليوم، فقد عصف بها التجريف وطالتها الاستهدافات من قبل التيارات الغريبة، والتهميش من قبل المؤسسة الرسمية، وانعكس عليها ما جرى على أسر العلم من إقصاء لرموزها واستبعاد وإفقار وخلخلة لمكانتهم ومحاولات لطمس تراثهم.

وقد أمدني الدكتور عبد الحفيظ علي فقيه الحشيبري، بصور لقبور وأضرحة الولي الكبير مُحَمَّد بن عمر حشيبر (718هـ) والولي الكامل الشيخ علي بن أحمد بن حشيبر(822هـ) ومعهم جملة من علماء وأولياء بني حشيبر وهم مقبورون جميعاً في مقبرة قرية الحشابرة الأم. حيث مازالت قبة الولي الكامل الشيخ علي بن أحمد بن حشيبر هي الأكبر حجماً والأبرز في المكان، وقد ذكّرني بكلام سمعته من السيد العلَّامة أبوالغيث الوشلي في أغسطس سنة 1995م، وهو أن علماء بني القديمي والوشلي في الزيدية يقولون دائماً إنهم يَرَوْن نوراً من بين الأرض والسماء في مقبرة قرية الحشابرة، يرونه من بيوتهم في الزيدية هذا وبين القرية (قرية الحشابرة) والزيدية سبعة كيلومترات تقريباً وهي أرض مكشوفة يرون عبرها بعضهم بعضاً، وهو بالطبع تعبير رمزي إشاري معروف في لغة المتصوفة ومعناه أن المقبرة مليئة بالأولياء الصالحين، كما يدل على مدى تقدير الأسرتين القديمية والوشلية للأسرة الحشيبرية، وتشابك تاريخهما العلمي بتاريخها، حيث تساندت معهما في المكان وتبادلت الأسر الثلاث ومعها الأسر الأهدلية والسودية والحضرمية والأشخرية والأزرقية والجيلانية

والمطيرية والخِلّية والصائمية وغيرها التلمذة والرواية عن بعضها.

هناك أيضاً قبر الشيخ العلّامة أبوالغيث دهل (له قدسية كبيرة عندنا في الحشابرة من قبل أجدادنا) حسب تعبير الدكتور عبد الحفيظ أما (مسجد القرية فقديم جداً) وقد توارث القيّمون على الإرث الحشيبري في قرية الحشابرة الأم، تقديراً كبيراً للفقيه أبوبكربن إبراهيم الدهل ت(802 أو 803هـ) مؤسس الزيدية، وصاحب الضريح فيها، و(هو ضريح يتكون من غرفتين بينهما فاصل من الآجر الأحمر ويحيط به سور من أربع جهات وبسبب وجود ضريح دهل في الزيدية يقف أبي وعمي دائماً تجاه قبره من مقبرتنا ويدعون له، هكذا علمونا منذ كنا صغاراً) يقول الدكتور عبد الحفيظ.

وهو يتحسر لأن (هناك أموراً كثيرة جداً لم نسجلها ولم نوثقها عنهم، تجد فيها العجب العجاب من الصلاح والخير).

(الرائد التربوي الأستاذ مشهور حشابرة كان يأتي سنوياً من الحديدة مع أسرته وكانوا يزورون مقبرة قرية الحشابرة سنوياً حيث يمكثون عندنا في المنزلة ويقوم الوالد بالواجب معهم ولنا صلة كبيرة بهم وما زالت هذه الصِّلة الى الآن.)الكلام للدكتور عبد الحفيظ

وضمن حدود حاضنة الحشابرة الأولى يقع المكان المبارك الذي كان مكاناً يختلي فيه الصالحون من أبناء الأسرة الحشيبرية وغيرهم من الصالحين الذين كانوا يأتون من آفاق الأرض التماساً لتصفية النفوس وطلباً للفتح، إنه (محرمل)كما يقول الفقيه حسن فقيه الحشيبري أو (مهرمل) كما يقول الدكتور أحمد القديمي حفيد مفتي الزيدية السابق، وهو منطقة تقع في مصب وادي سردد قريباً من شاطىء البحر الأحمر إلى الجنوب الغربي من قرية الحشابرة الأم بحوالي ٢٠-٢٥ كيلومتراً.

ويبدو أن كتب التاريخ والطبقات والتراجم والمناقب لم تكن تورده مرات (محرمل) وأخرى (مهرمل) بسبب التصحيف في المخطوطات، أو الخطأ عند المحققين كما كان يذهب بي الظن، إنما يظهر أن النطقين كانا يستعملان على ألسنة الناس، بسبب تقارب مخرَّجي الهاء والحاء.

قال البدر الأهدل (مهرمل، بضم الميم الأولى وفتح الهاء وسكون الراء وكسر الميم الثانية وبعدها لام، وهو موضع في أسفل سردد يتعبد فيه العباد، وقد شهرت بركته وقل من يأتيه ويصبر

عليه إلا يفتح عليه، وكثيراً ما يخبرون برؤية الجن والملائكة ورجال الغيب فيه، وكان يقال فيما تقدم أنه قد شُدّت إليه الرحال)[1]

وقال الشرجي (محرمل، بضم الميم وفتح الحاء المهملة وسكون الراء وكسر الميم الثانية وآخره لام، وذلك في أسفل الوادي سردد، وهو موضع مشهور الفضل والبركة يقصده العباد، ويعتكفون فيه، ويفتح لهم فيه ويخبرون أنهم يرون فيه رجال الغيب والملائكة)[2]

وفيه اختلى الولي مُحَمَّد بن عمر حشيبر فيه مدة أربعين يوماً [3]، وتذكر كتب التاريخ وفاة عيسى ابن الولي أحمد بن عمر الزيلعي(704هـ) في ساحل محرمل وأنه دفن هناك في موضع اسمه (النفج) [4] فلعله كان يرتاد المكان للاختلاء فيه.

طبعاً هناك مزارات أخرى للأولياء من بني حشيبر في الحاضنة الأم منها ضريح الولية الصالحة سعادة وضريح والدها القطب عمر بن أحمد هبة الحشيبري في قرية المحال، وضريح مُحَمَّد بن حسن حشيبر في محل المشعف، قبر الولي العلَّامة عمر بن أحمد الحشيبري في دير مُحَمَّد، وهناك مزارات أخرى في مناطق تحسب تاريخياً على الحاضنة الأم مثل مدينة الزيدية حيث ضريح مؤسسها الولي دهل بن إبراهيم ومعه مجموعة من أولياء بني حشيبر ويجاورهم الولي عمر البهلول الحشيبري وهو ابن الولية سعادة، ومنها ضريح الولي موسى بن مُحَمَّد بن عمر الحشيبري (ت القرن الثامن)، واشتهر بـ(مسير الشوك)، في محل غبيش شمال الزيدية بحوالي كيلويين

ومحل غبيش ليس محسوباً ضمن عزلة الحشابرة، ولكنه محسوب في أفراد الزيدية حيث يقع شمال الزيديه بحوالي 2 كيلومتر، وإلى الغرب من دير عبد ربه بحوالي أربعة كيلو مترات[5]، وهذا الولي واحد من ثلاثة هم إخوة إبراهيم بن مُحَمَّد بن حشيبر والد الولي دهل، وكلهم من ذوي الألقاب ذات الدلالة في الموروث الصوفي، أولهم موسى بن مُحَمَّد المشهور ب(مسير الشوك) المدفون في محل غبيش، وثانيهم

([1]) تحفة الزمن ج2 ص 193

([2]) طبقات الخواص 270

([3]) تحفة الزمن ج2 ص 193

([4]) نفس المصدرج2 ص 80

([5])التوضيح من عبد الله الحربي بتاريخ 18 / 6 /2017م، وقد أرسل لي صوراً للضريح بتاريخ 22 / 6 / 2017م

أحمد بن مُحَّد المشهور ب(صاحب القضية) وقبره يزار في قرية الجعلية بمديرية المنيرة، وثالثهم علي بن مُحَّد المشهور ب(الدمل) وقبره في المهجم [1]، ومنها قبر المساوى بن ابراهيم الحشيبري في المنيرة.

ومازالت قرية الحشابرة الأم أو بيت الفقيه بن حشيبر الأيمن كما كان يطلق عليها قبل أربعة قرون تتمتع بمركزية هائلة في حياة الحشابرة اليوم منها يبدأ كل شأن مهم، وفيها يتركز الفعل الاجتماعي والثقافي والعلمي كما أنها الأكبر من حيث عدد السكان، ففيها المشاريع التنموية الكبرى، وفيها تأسست أول مدرسة حديثة (مدرسة المجد تأسست سنة 1973م)، وفيها تعلَّم معظم الحشابرة من أبناء القرى المجاورة، إنها عاصمة الحشابرة عقدياً وسياسياً، ولقد نافستها بيت الفقيه بن حشيبر الأشيم (الزيدية) زمناً ثم بحكم كونها مركزاً إدارياً للدولة وبحكم كون سكانها خليطًا من قبائل مختلفة ثم بحكم تعدد الأسر العلمية فيها، صارت مشتركاً بين الجميع[2]، فيما ظلت القرية الأم صافية لأبنائها من الحشابرة الخلّص، وتأتي بعدها قرية المحال من حيث الأهمية وعدد السكان وعدد الأولياء.

وقد كانت أخلاق العناية والحدب على الفقراء والمساكين والفئات الاجتماعية الهامشية، سمة من سمات الأسرة الحشيبرية التي راكم إرثها الأولياء والصلحاء في الحس الجمعي لأبناء الأسرة، وظلت القرية الأم ملاذاً ومستجاراً للضعفاء وذوي الحاجات، ويبدو أن أعداد من كانوا يقصدونها– خاصة في أيام الحصاد والخير – يكثرون حد أنه كان من تقاليد مشائخها الكبار من بني الشيخ أن يعيّنوا شيخاً من أتباعهم ومواليهم يختص بهؤلاء الناس يطلقون عليه (شيخ اللحوح) وهي تسمية دالة على اختصاصة بما كان ينفق على هؤلاء – وكان أغلبهم من المهمشين – من قبل المشائخ والعلماء والصلحاء والوجهاء من خير، غير أن شيخ اللحوح كان أيضاً مختصاً بمشاكل أولئك المتجمعين حول القرية، يفصل في نزاعاتهم وخصوماتهم، وفي هذا دلالة أخرى على كثرتهم. وهي كثرة كما أسلفت تحسب لقيم وأخلاق العناية التي كان يتحلى بها الحشيبريون.

وتتوافر قرية الحشابرة الأم على مجموعة من الآبار بعضها قديم، وبعضها حديث وأعذبها

([1]) نشر الثناء الحسن ص 135

([2]) مع ذلك فمشيخة الزيدية وأفرادها لبني حشيبر وهي الآن في بيت الشبيلي

بئر تتبع المنزلة التي يشرف عليها آل الفقيه، ولا أدري إن كانت هي بئر كريش المشهورة التي سبق ذكرها في كرامات الولي إبراهيم بن مُحَمَّد بن عمر حشيبر (القرن الثامن الهجري) أم أنها بئر غيرها، يدفعني إلى التساؤل القياس وهو أن في قرية الداودية – عزلة بني مهدي – مديرية القناوص بئر يقال إن تاريخها يعود إلى زمن السلطان المؤيد داود بن المظفر الرسولي الذي حكم اليمن بين (696 – 721هـ) ويقال إنه عندما أسس الولي مهدي بن أحمد الداودية(في القرن الحادي عشر الهجري تقريباً) إنما سماها بهذا الإسم لأنه وجد هذه البئر مغطاة بحجر كتب عليه اسم السطان المؤيد داود.

ومن ضمن الممارسات الصوفية بين أبناء عزلة الحشابرة – هي ممارسات اعتقادية مشتركة بين أبناء تهامة – أنهم كانوا وما زالوا يستغيثون ب (سي علي) يقصدون الشيخ الولي الكامل علي بن أحمد حشيبر، ويستغيثون معه بسائر بني حشيبر، وغالباً ما تكون صيغة الاستغاثة على هذا النحو (ووسي علي، وووبني حشيبر) كما يزورون المقابر ويزورون جامع القرية حيث ضريح الشيخ أحمد المحاضر[1]، وهو ولي من أولياء بني حشيبر، وبه يستغيثون أيضاً، ويطلب الناس من بني حشيبر جعل خواطرهم معهم في أسفارهم ومهمات أمورهم[2]، أما أهل مدينة الزيدية وما جاورها فيستغيثون عادة بالدهل الحشيبري مؤسس المدينة، هذه الممارسات الشعبية قد تقلصت في العقود الثلاثة الأخيرة بسبب عوامل التجريف التي تعرض لها التصوف وسائر متلازماته على يد التيارات المتطرفة،

في الحاضنة الحشيبرية الأم سيلفتنا –إلى جانب كل ما أسلفناه متفرقاً في ثنايا هذا الكتاب – أنه تحت جلد المتغيرات المعاصرة يبقى تأثير الماضي الحشيبري موجوداً بقوة، فأسماء الأولياء والعلماء تتكرر في تسميات الناس، ويتم تدويرها بشكل متواصل، والحقيقة أن هذا قديم جداً، فالدارس لتاريخ هذه الأسرة لابد أن يحذر من الخلط بين أسماء الأولياء والعلماء التي تتكرر حتى في الاسم الثلاثي خاصة أسماء الأولياء (مُحَمَّد بن عمر) و(علي بن أحمد)، و(أبوبكر بن إبراهيم)، وتتكرر أسماء أخرى مثل (حسن) و(قادري) و(هبة) و(الدهل) و(والمساوى) و(الهبة) و(البهلول) وغيرها، وهذا التكرار سمة من سمات أسر الولاية والعلم في تهامة، فإلى جانب الميل الطبيعي عند الناس

([1]) هو الولي أحمد بن حسن حشيبر (من أولياء القرن التاسع) اشتهر بـ(المحاظر) وبـ(بحر الدجرا

([2]) سلطان معتوق الحشيبري مراسلات سبقت الإشارة إليها.

لتسمية أبنائهم بالآباء والأجداد، فإن كون هؤلاء كانوا على هذا القدر من المكانة والشهرة سيكون محفزاً آخر، كما أن جانباً من هذا التكرار الكثيف سببه اعتقادي محض. فالناس يتعلقون بالصلحاء ويتبركون بتسمية مواليدهم بأسمائهم.

ما تلقيته من الدكتور عبد الحفيظ ومن ساندوه في هذا الجهد مما ألحمته بما وجدته في المصادر التاريخية، ليس إلا جزءاً بسيطاً مما كنت أود الحصول عليه فيما لو كان بوسعي أن أكون موجوداً هناك في المكان، فقد كنت أود من خلال استعمال المنهج الكمي[1] الذي اتبعته بشكل جزئي في مواضع من الكتاب أن أجترح محاولة مّا لتبين ظلال حضور الأولياء والعلماء من بني حشيبر في سائر قراهم وأديرتهم ومحلاتهم في الحاضنة الأم مع كل ما يرتبط بذلك من معتقدات وتصورات وموروثات شعبية يمكن أن نجدها في استغاثاتهم ومسمياتهم وفي أغانيهم (أغاني النساء بالذات – كما كان بودي لو وصلت إلى المخفيات من وجادات ووصايا ومشجَّرات، وغيرها صحيح أن ذلك كان سيأخذ وقتاً وجهداً أكبر لكنه حري بإثراء الجوانب الأنثربولوجية بالذات في الكتاب.

وإن كان قد وصلني بعض تلك الظلال التي أستشف منها انكباب الشعراء من بني حشيبر حتى اليوم على التغني بمآثر أجدادهم، وبين يدي مما أرسله لي الدكتور عبد الحفيظ، قصيدة في مناقب آل حشيبر مجهولة القائل أرسلها لي، وبها بعض اختلال في الوزن، لكن دلالاتها ومنحاها المعبَّر عن النظرة الشعبية تجاه آل حشيبر، ومكانتهم في قلوب الناس بوصفهم أهل علم وولاية وفضل وأسرار مقبولة عند الله، ثم ما تقدمه لنا من سرد لألقاب بعض الأولياء، وتأثيرها على ما تحتفظ به ذاكرة أهل المكان من تراثهم وكراماتهم، وأسلوب التوجه إليهم في الاستغاثات.. كل ذلك يجعلها تحمل قيمة الوثيقة المرجعية المهمة يقول نص القصيدة:

يا صاح سافر في المساكن والخِلي ... واقصد ربى الأحباب بالله واسأل

مستنزلاً أرض الحشيير قاصداً ... صوب الرجال الصالحين الكمّل

(1) المنهج الكمي هو منهج لبحث الظواهر الاجتماعية من خلال الأساليب الإحصائية

فيهــا شـــهاب الــدين فــرع مُحَمَّد وبصــاحب الأثلــة كــنّي ذا الــولي
وكــذا المحــاذر مــن إجابــة دعــوة هـــذا ولي الله يالـــك مـــن ولي
مـــن زاره نال المـــنى مـــع الغـــنى وكــذا الســلامة مــن غوائــل غائــل
وأقصـــد ربى آل الحشـــيبر كلهـــم واحطط رحالك عند بدر الدين علي
واخضـع لديـه وقـل لـه يا سـيدي جئنـــاك محتـــاجين كـــل مؤمّـــل
فهـــو المرجّـــى في الشـــدائد كلهـــا كـم حـلّ مـن أمـر عظـيم مشـكل
كـم مـن كرامـات لـه قـد سـطّرت منهـــا رمـــى نحـــو العـــدوّ الهائـــل
لمّـــا رمـــاه أصـــابه في نحـــره شـهدوا بهـذا الفضـل كـل الكمّـل
وأشـار للبقـرة وقـال لهـا: انطقـي فتكلمـــت حقـــاً بإذن المعتلـــي
وكـذا قـرى الأضياف في ذاك الفلا لمّـــا أتاه بجمعهـــم ذاك الـــولي
أعني بـن يعقـوب الـذي خطـرت لـه ذكـــر اللـــواء لـــه بجمـــع المحفـــل
آل الحشـيبر قـد قصـدت جنـابكم فــاحموا حمــاي واحرســوا لي منــزلي
يا أوليـــا، يا صـــالحين تنبّهـــوا يا أصـــــفياء الله لا يبقـــــى ولي
غـــيروا علينـــا غـــارة نبويـــة تكفـي الهمـوم وكـل كـرب ينجلـي
وتشـــفعوا عنـــد الإلـــه يغيثنـــا يســقي لأعلــى أرضــنا والأســفل
غيثـــاً مغيثـــاً نافعـــاً متـــواتراً هنْيَـــاً مـــريّاً مـــن ســـحاب هطّـــل
يارب إنا قـــد توســـلنا بهـــم فاقبـــل دعـــائي ســـيدي وتوسّـــلي
ولوالـــدي وجـــيرتي فـــاغفر معـــاً والمســـلمين فأنـــت خـــير مؤمّـــل

ثمّ الصـــلاة علـــى النـــبي مُحَّد   وكـذا السـلام فـذاك أعظـم مرسـل
والآل والأصحاب ما انسجم الحيا   أو لاح بـرق مـن سـحاب همّـل

المضامين واضحة، وهي تقع ضمن ما أسلفته من ارتباط الحاضر بالماضي، وتعلق الخلف بالسلف رغم كل الاستهدافات التي تعرض لها إرث الأسرة الحشيبرية والأسر المجاورة لها.

وثمة شاعر حشيبري آخر هو الرجل الصالح عبدالله موسى الحشيبري وهو من قرية المحال له قصيدة في مدح بني حشيبر، لكني لم أحصل عليها مع الأسف الشديد.

وقد حاولت استغلال تعاون الدكتو عبد الحفيظ معي من أجل الوصول إلى موضوع آخر على قدر من الأهمية أيضاً وهو تبين الخارطة العلمية الحديثة لبني حشيبر في حاضنتهم الأم، فطلبت حصراً لعدد الجامعيين وحملة الماجستير والدكتوراة في عزلة الحشابرة، إلا أنه تعذر الحصول على إحصاء بذلك كما قال الدكتور عبد الحفيظ حيث (يصعب الآن حصرهم بسبب عدم وجود بيانات كاملة عنهم كون القرى مبتاعدة وبسبب الظروف الحالية من حرب وأمراض ومشاكل أخرى اقتصادية تقيِّد حركة الأشخاص هناك) لكن العزلة– والكلام للدكتور عبد الحفيظ – يوجد فيها المئات من حملة البكالوريوس في مختلف التخصصات والعديد من حملة شهادات الماجستير والدكتوراة.

ومنهم على سبيل المثال مجموعة ممن تعاونوا مع الد كتور عبد الحفيظ من أجل امدادي بهذه المعلومات على رأسهم الأستاذ علي قادري الحشيبري التربوي الكبير الذي تعب معنا كثيراً وهو يجمع المعلومات من مصادر موثوق بها، والأستاذ حسن قادري الحشيبري والأستاذ موسى وغيرهم ممن ذكرناهم في مواضعهم.

***

في هذه الأثناء فإن العلاَّمة الفقيه حسن بن علي فقيه الحشيبري الذي درس العلم في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي في الزيدية والمراوعة وزبيد ثم جاور مدة عشر سنوات في مكة قبل منتصف السبعينيات من القرن العشرين، وأخاه الفقيه علي بن علي الحشيبري وهو مسن

في التسعين من عمره هما من يقوما على المقبرة والمنزلة والأوقاف، وبيت الفقيه يتحدرون من بيت النجار المتحدر بدوره من الولي الكامل علي بن أحمد الحشيبري المتوفى 822هـ.

طبعاً الفقيه علي بن علي فقيه الحشيبري هو(والد الدكتور عبد الحفيظ) وهو معروف خاصة عند كبار السن في مختلف قرى تهامة، فهو يعرف تاريخ الأسرة ومقابرها وكان يتولى شرح ذلك للناس الذين كانوا يتوافدون بكثرة لزيارة مقابر هؤلاء الأولياء الصالحين، -أرسل لي الدكتور عبد الحفيظ مقطع فيديو لأبيه وعمه- (الفقيهان الصالحان علي وحسن اللذان يمثلان البقية الباقية من آل حشيبر وأحفادهم وهما يقومان برعاية منزلة قرية الحشابرة الباقية في بيت الأسرة منذ قرون، وهما أيضا من يرعى قبور وأوقاف آل حشيبر) كما سبقت الإشارة، ويساندهما في ذلك الفقيه والتربوي الصالح الأستاذ أحمد بن علي فقيه الحشيبري -شقيق الدكتور عبد الحفيظ- وهو الآن مأمون القرية بعدما أسنّ والده وعمه.

وفي استعراضي هنا لأحوال الحاضنة الأولى لبني حشيبر سأتوقف عند مجموعة من الأسماء تمثل نموذجاً للمكان وناسه اليوم (عام 2018م)، الأسماء كما قلت هي نموذج وليست كل الوجوه البارزة الآن، غير أنها تمثل كما قلت وجهاً جيداً للمكان وناسه، وأنا أقدمها هنا لهذا السبب ولسبب آخر هو كوني أعرف بعضها معرفة شخصية،

سأفعل ذلك وفي نيتي أن أستقصي قدر الإمكان ترجمة كل واحد ممن أذكرهم وسأبدأ بأعلام هذه الأسرة المباركة – أعني آل الفقيه الحشيبري –، وأولهم العلَّامة الفقيه حسن بن علي عمر الحشيبري، وهو من مواليد قرية الحشابرة (1365)هـ، أب لعشرة ذكور وتسع أناث، تعلم القرآن الكريم على يد الأستاذ علي مُحَمَّد وهان، ثم التحق بمسجد صائم الدهر بالزيدية عام (1382)هـ حيث واصل دراسة القرآن الكريم وعلومه ومتون الفقه مدة سنتين على يد السيد حسين الزواك والشيخ العلَّامة أحمد عامر والسيد مُحَمَّد بن مُحَمَّد القديمي مفتي شمال تهامة الأسبق، ثم اتجه عام (1385)هـ إلى المراوعة لدراسة متون الفقه والحديث على يد منصِّبها السيد حسن أحمد الأهدل، وفي سنة 1386م التحق برباط المكرم في الحديدة لدراسة الفقه والعلوم الشرعية على يد

الشيخ مُحَّد علي مكرم والسيد عبدالقاهر[1] . ثم عاد الى الزيدية ليواصل الدراسة على يد مشائخه الأُوَل الزواك وعامر والقديمي، بعد ذلك سافر الى مكة المكرمة للدراسة هناك حيث التحق بدار العلوم بالحرم المكي الشريف عام (1387)م فاستكمل معارفه في علوم الحديث والفقه والنحو والصرف وعلم الفلك وجوامع الحديث على مشايخ الحرم المكي، ومنهم الشيخ أحمد جابر جبران والشيخ داوود فطاني والسيد علوي عباس المالكي، وشملت دراساته صحيح مسلم وجامع الترمذي والسيرة الهاشمية على يد السيد مُحَّد العربي الجزائري، ودرس أيضاً جامع الأصول والنحو والصرف على يد الشيخ حسن مُحَّد المشاط وشذور الذهب لابن هشام والجوهر المكنون في البلاغة.

كانت مدة دراسته في الحرم المكي الشريف على أيدي أولئك العلماء والمشايخ الجهابذة عشر سنوات، عاد بعدها الى اليمن سنة 1395هـ حيث التحق بسلك التربية والتعليم، فعمل مدرساً في مدرسة المجد الأساسية والثانوية بقرية الحشابرة الأم، وعلى مدار عقود درّس القرآن الكريم وعلومه، ومواد التربية الإسلامية واللغة العربية وتخرج على يديه المئات من طلاب العلم والمعرفة من حفظة كتاب الله وسنة نبيه مُحَّد ﷺ. والشيخ العلَّامة حسن بن علي عمر الحشيبري هو أيضاً إمام وخطيب الجامع الكبير بقرية الحشابرة، وفي هذا الجامع أقام المئات من حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الحديث والفقه والسنة النبوية للمئات من طلاب العلم من قرية الحشابرة والقرى المجاورة لها، وهو مستمر في قراءة صحيح البخاري ومسلم منذ عاد من مكة المكرمة وإلى الآن وبشكل سنوي على العادة المعهودة عند أهل تهامة منذ قرون طويلة، كما تتم تحت نظره قراءات الراتب وختمه في

([1]) هكذا وصلني ولعل المترجم له بسبب تقدم السن قد نسي الاسم، وقد حاولت البحث عن الاسم كاملاً مستعيناً بالأستاذ الباحث الأديب أحمد حسن عياش يعقوب وكانت إجابته بتاريخ الأحد 16 مايو 2018م: (لم أسمع بعالم من الحديدة يسمى عبد القاهر في زمن المذكور أو قبله أو بعده؟،ما أظنك تعني إلا شيخنا العلَّامة القاضي عبد القادر بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن امحمد مكرم الجماعي، فهو من معاصريه ومن أنجب تلامذته.فلعل الاسم تصحَّف في المصدر الذي وقفت عليه بين حرفي الدال والهاء) ثم كتب لي مرة أخرى (ربما وشيخنا عبد القادر أيضا للعلم ليس من آل البيت بل هو من بني أبي عقامة كما وقفت عليه بخط والده،والحشيبري ليس بالضروري أن يكون قد تتلمذ على عبد القاهر المذكور في الحديدة فقد يكون له مشايخ في الحديدة وآخرون من غير الحديدة هذا إن صح الاسم السيد عبد القاهر)

منزلة القرية الأم، وهو عالم جليل في الفقه والحديث والسنة النبوية والنحو والصرف والبلاغة ويعتبر أحد علماء اليمن وتهامة خاصة. وقد تقلد مناصب عديدة في المجالس المحلية في مديرية الزيدية ومنها أنه كان أميناً عاماً ورئيساً للمجلس المحلي لفترات مختلفة. ومن شدة حب الناس له وثقتهم فيه أوكلت له مهام مشروع المياه في قرية الحشابرة سنين طويلة.

وهو أي الشيخ العلَّامة حسن بن علي بن عمر الحشيبري يعد الأخ الشقيق الأصغر للفقيه علي بن علي عمر الحشيبري ولهما خمسة إخوة آخرين.

وبدوره يقوم الفقيه علي بن علي فقيه عمر الحشيبري بعمل مركزي في الحفاظ على إرث الأسرة الحشيبرية، فهو قيِّم الجامع الكبير بقرية الحشابرة، وقيِّم منزلة الحشابرة، وهاتان وظيفتان على قدر كبير من الأهمية، فقد تقلدها آباؤه وأجداده كما أسلفنا، وهذا تقليد مستمر منذ قرون إذ أن خدمة الجامع الكبير والمنزلة التي أسسها أجدادهم منذ زمن الولي الكبير علي بن أحمد حشيبر هي من ضروريات هذا الإرث الباذخ.

ومن أبناء الفقيه علي بن علي عمر الحشيبري الأستاذ أحمد بن علي بن علي عمر الحشيبري، وهو من مواليد قرية الحشابرة (1956)م، متزوج وله خمسة ذكور وابنتان. بدأ رحلته العلمية بدراسة وحفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة على يد السيد مُحَمَّد عبدالله القديمي، وقد استمر تلقيه العلم عليه قرابة سبع سنوات. بعد ذلك التحق بالدورات التدريبية لإعداد المعلمين في الحديدة عام 1972-1973م، وحصل على دبلوم أولي، ثم تلقى دورات تدريبية أخرى (1973-1974) في الحديدة أيضاً، كما تلقى دورات تدريبية أخرى في صنعاء (1974-1975)، وحصل على شهادة دبلوم أولي تربوي يعادل الإعدادية. وكان قد التحق بسلك التربية والتعليم في العام الدارسي (1972-1973)كمتعاقد لمدة عام، بعدها تم توظيفه بشكل رسمي في التربية والتعليم حيث مارس العمل مدرساً وإدارياً في قرية الحشابرة، إذ كان مدرساً ومديراً لمدرسة المجد الشهيرة في قرية الحشابرة بشقيها الأساسي والثانوي، وكذلك مديراً لمدرسة خديجة بنت خويلد للبنات حتى عام1987م، بعد ذلك تفرغ للعمل مديراً حتى عام 2010م، وهو تاريخ تقاعده عن العمل في التربية والتعليم بعد مسيرة طويلة من الزمن امتدت سبعة وثلاثين عاماً، تخرج خلالها على

يديه العشرات من الأطباء والمهندسين وأساتذة الجامعات والمعلمين ومئات آخرين في تخصصات مختلفة.

وقد حظي أثناء عمله في التربية والتعليم بالعديد من الشهادات التقديرية وشهادات التكريم من وزارة التربية والتعليم، ومن الإدارة العامة للتربية والتعليم بمحافظة الحديدة

وهو خلال سنوات عمله الطويلة في التربية والتعليم لم يكف عن تأهيل نفسه، فقد حصل عام 1983م على دورة لمدراء المدارس، وحصل فيها على الترتيب السابع على مستوى محافظة الحديدة، كما حصل على شهادة الثانوية العامة في العام الدراسي (1986–1987)، وحصل عام 1988م على شهادة دبلوم عال بعد الثانوية العامة، قبل أن يلتحق بجامعة صنعاء —كلية الآدآب قسم الدراسات الإسلامية في العام الدراسي (1991- 1992م) ليحصل على شهادة الليسانس في الادآب تخصص دراسات إسلامية عام 1995.

وقد تعمقت معرفتي به فترة دراسته الجامعية خاصة بين أعوام 91، 92، 1993م، حين كنت أسكن مع زملائي في الجامعة، الدكاتره أحمد بركات الحشيبري، علي أبكر الأهدل، وحسن بواح الخليل، والأستاذ عبد المهيمن الأفلح، والمهندس عبد الله حربان، فكثيراً ما كان يتردد علينا ويسكن معنا، وكان رجلاً مهذباً عاقلاً مستقيماً وجاداً، لا تملك إلا أن تحترمه وتجله. وما زلت أذكر طريقته في تهنئتي يوم عرسي في 5 نوفمبر عام 1993م، فقد أثرت فيّ الطريقة التي عبَّر بها عن محبته لي تأثيراً كبيراً.

حالياً (عام 2018م) -أي أثناء إنهاء العمل على هذا الكتاب – يعمل الأستاذ أحمد مأموناً شرعياً لقرية الحشابرة خلفاً لوالده الفقيه علي بن علي عمر الحشيبري الذي كان مأموناً شرعياً لقرية الحشابرة لأكثر من ستة عقود، وكان والده وما زال إلى الآن قيّماً للحشابرة، وقيّماً أيضا لمنزلة الحشابرة التي أسسها أجدادهم علماء وأولياء بني حشيبر عليهم رضوان الله، وهم اليد اليمنى لعمه وأبيه المسنين في القيام على إرث بني حشيبر من خدمة للحشابرة وغيرهم في منزلتهم وبيتهم الذي اعتاد هذا منذ قرون.

أما الابن الثاني للفقيه علي بن علي عمر الحشيبري فهو الدكتور عبدالحفيظ بن علي بن

علي عمر الحشيبري الأستاذ بجامعة صنعاء سابقاً وجامعة إب حالياً (وهو حال هذه الكتابة (عام 2018م) يعمل في جامعة نجران بالمملكة العربية السعودية).

وهنا سأذكّر مرة أخرى أنني أدين للدكتور عبد الحفيظ علي بن علي فقيه الحشيبري بكثير من المعلومات التي أفادتني في الاشتغال على الحاضنة الحشيبرية الأم، فقد تواترت بيني وبينه المراسلات منذ بدأت نشر حلقات من هذا الكتاب على صفحتي في الفيس بوك عند منتصف عام 2017م، لكن معرفتي بالدكتور عبد الحفيظ تعود إلى عام 1992م أو 1993م، كنا وقتها ندرس في جامعة صنعاء وكنا نسكن في شقة أنا وزميلي منذ الثانوية الدكتور أحمد بركات الحشيبري مع زملاء آخرين ذكرتهم سابقاً، حين جاء عبد الحفيظ لزيارة بركات، كان عبد الحفيظ وقتها معيداً في الجامعة ويتهيأ للسفر إلى الهند من أجل مواصلة دراساته العليا.

كان يبدو لنا مثالاً للشاب الجادّ المميز، وقد ظل كذلك فعلاً. فالرجل الذي ينتمي إلى الأسرة المحافظة على الإرث الحشيبري، ولد في قرية الحشابرة سنة 1969م، وحصل على بكالوريوس لغة إنجليزية عام 1991م من جامعة صنعاء، ثم حصل على ماجستير آداب في اللغويات عام 1998م من جامعة دلهي في الهند، وماجستير فلسفة لغات عام 1999م من نفس الجامعة، ومن نفس الجامعة أيضاً حصل على دكتوراه في (علم اللغة / اللغويات عام 2003م.

وقد مر بسلسلة ثرية من التجارب العلمية والإدارية فكان أستاذ اللغويات المشارك بقسمي اللغة الإنجليزية بكلية الآداب ومركز اللغات والترجمة، جامعة إب، اليمن (من 2003 م إلى عام 2010 م)، وعميداً لمركز اللغات والترجمة، جامعة إب، اليمن من (20 سبتمبر 2008م إلى 18 سبتمبر2010م)، وعميداً لشئون المكتبات، جامعة إب من (4 مارس 2006 م إلى 20 سبتمبر 2008 م)، وعضواً في مجلس جامعة إب من (2006 م إلى 18 سبتمبر2010م، وعضواً في مجلس شئون الطلاب، جامعة إب من (2008 م إلى 18 سبتمبر2010م)، وعضواً في اللجنة العليا للتطوير الأكاديمي وضمان الجودة بجامعة إب، وعضواً في المجلس الأعلى للمكتبات في جامعة إب من (2004م إلى 18 سبتمبر2010م)، كذلك كان مقرراً للمجلس الأعلى للمكتبات في جامعة إب من (2006م إلى 2008 م) وكان عضواً في مجلس قسم اللغة الإنجليزية بجامعة إب

(2003م – 2010م)، وعضواً في اللجنة الأكاديمية بقسم اللغة الانجليزية، جامعة إب (2003م – 2010م)، وعضواً في لجنة تطوير المناهج بقسم اللغة الإنجليزية جامعة إب، وعضواً في الهيئة الاستشارية للمجلة العلمية المحكمة بجامعة إب – اليمن (2008م – 2010م)، ومحرراً في صحيفة الجامعة (صفحات اللغة الإنجليزية).

وهو اليوم أستاذ اللغويات المشارك في قسم اللغة الإنجليزية بكلية العلوم والآداب، وقسم الترجمة بكلية اللغات والترجمة – جامعة نجران، المملكة العربية السعودية، ،وإلى جانب ذلك فهو عضو في اللجنة العليا لضمان الجودة بكلية العلوم والآداب في نفس الجامعة، و عضو في جمعية المترجمين العرب المحترفين، وعضو في لجنة جودة البرامج والمقررات بكلية العلوم والآداب، في الجامعة نفسها أيضاً

ناهيك عن عديد الأبحاث العلمية المحكمة التي نشرها في مجلات عربية ودولية محكمة، وعديد الندوات والمؤتمرات وورش العمل التي حضرها، وشارك فيها بأوراق عمل في جامعات عربية وعالمية، إضافة إلى إشرافه على رسائل علمية في درجتي الماجستير والدكتوراة، واختياره مناقشاً خارجياً وداخلياً لعديد الرسائل الأخرى، إلى جانب ما يمتلكه من خبرات واسعة في مجال الاتصالات وتقنية المعلومات، وهي خبرات مصقولة عبر ورش عمل كثيرة نظمتها جامعات عربية وأوروبية ونظَّمها البنك الدولي، والحقيقة أنني هنا أختصر كثيراً قائمة إنجازات هذا الحشيبري المثابر الذي يقدم الوجه الحداثي لتاريخ أسرته البارز، وشعاره الذي لا يحيد عنه هو (أهدف من خلال موقعي العملي الحالي أو أي عمل يناط بي مستقبلاً الإسهام الفاعل في تحسين وتطوير محيطي، وتقديم كل ما يمكنني من جهد لمساعدة زملائي ومجتمعي وعملائي للتقدم نحو الأفضل من حيث مستوى الإنجاز والتطلع لجلب الأفضل على كل الصعد الممكنة)[1]

وللفقيه علي إلى جانب الأستاذ أحمد والدكتور عبد الحفيظ ابن ثالث هو علي بن علي بن علي عمر الحشيبري. كما أن له ابن أخ هو عون عبدالرحمن بن علي فقيه حشيبري من مواليد عام 1986م في قرية الحشابرة، حصل على الثانوية العامة من مدرسة المجد بقرية الحشابرة، وعلى

(1) من سيرة حافلة أرسلها لي على الإيميل بتاريخ 2أبريل 2018م

بكالوريوس دراسات إسلاميه من جامعة الإيمان – صنعاء.وتتلمذ على يد مشايخ كبار منهم: عمه الفقيه العلَّامة حسن علي فقيه الحشيبري، والسيد العلامه مُحَّمد عبده سليمان الأهدل (أخذ عنه في محل السيد سليمان سلم المذهب الشافعي كاملا وأجازه فيه، كما درس المذهب الشافعي أيضا على السيد العلامه قاسم بحر الحسيني، ودرس علم الأصول على الشيخ العلَّامة إبراهيم الشنقيطي، واللغة على الشيخ مُحَّمد سعيد الشنقيطي.

***

بعد هذه الوقفة عند آل الفقيه الحشيبري سننتقل إلى جملة من حشيبريِّ الحاضنة الأم ممن سلكوا طريق أجدادهم من مواقع مختلفة عن طريق التميز العلمي، أوالتميز الاجتماعي، أوالتميز الوظيفي، أو التميز الأدبي، أو في مجال الزهد والتصوف، مع أن التصوف قاسم مشترك بينهم جميعاً، فهو حتى حين لا يكون شعاراً مرفوعاً، تجده يعلن عن نفسه في السلوكيات والأخلاق والمعاملات.

وأول من سأقف عنده هنا صديقي وزميل الدراسة الدكتور أحمد بن أحمد بركات الحشيبري. حين بدأنا الدراسة في مدرسة ذوآل الثانوية بالزيدية في الربع الأخير من عام1987م، كان أحمد بن أحمد بركات الحشيبري أصغرنا سناً، فهو من مواليد يناير 1971م في قرية الحشابرة الأم، وفي القرية تلقى تعليمه الأساسي بمدرسة المجد، كان متفتح الذهن ذكياً، وزميلاً جيداً، محباً ومتطلعاً تلوح عليه مخايل النجابة والطموح الكبير، وقد قضينا في تلك المدرسة ثلاثة أعوام لعلها كانت أجمل ما عرفته في تاريخها، فقد كانت تلك الدفعة دفعة رائعة من الأذكياء المثقفين.

بعد السنة الأولى افترقنا هو ومجموعة من الزملاء في القسم العلمي، وأنا ومجموعة من الزملاء في القسم الأدبي، لكننا لم نكن نفترق طيلة سنوات الثانوية الثلاث التي كانت بالنسبة لنا أيضا من أجمل سنوات العمر، وقد شهدت زيارتي الوحيدة حتى الآن للقرية (قرية الحشابرة الأم) حيث بيتهم هناك، وفي بيت أبيه تغدينا وقضيناً مقيلاً لا أروع ولا أجمل منه، أتذكر ذلك الآن وآسف لكون وعيي وقتها لم يكن يحيط بتاريخ الأسرة الحشيبرية العظيم كما هو شأني اليوم، أسفرت نتائج الثانوية عن حصول الشاب الفتي على تقدير مميز، سرعان ما انعكس على شخصيته التي تبلورت واثقة ولامعة الحضور، ذهبنا معاً إلى صنعاء مع زملائنا علي بن علي أبكر الأهدل وحسن

بواح خليل، وانضم إلينا قادما من الرياض صديقنا عبد المهيمن الأفلح، ومن جدة صديقنا عبدالله حربان، وجاورنا من الضحي فيما بعد عبد الرحمن بوابير.

دخل أحمد بن أحمد بركات الحشيبري كلية الطب قسم صيدلة مع علي أبكر الأهدل ودخل حسن بواح الخليل كلية الطب قسم مختبرات، ودخلت أنا وعبد المهيمن كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية قبل أن أتركه بعد عامين إلى قسم اللغة العربية، كان الزمن حين أفكر فيه الآن يبدو كأنه لحظة مسروقة من الجنة، عشنا فترة الجامعة بتحصيلها العلمي وعواطفها الجامحة بشكل لا أكاد أصدقه الآن، فقد جمعنا كلنا بين شغف التحصيل العلمي، والاهتمامات الثقافية المختلفة، والوقوع في الحب، وتزوجنا جميعاً –ما عدا الدكتور حسن بواح والمهندس عبد الله حربان – من زميلات لنا، وتفوق زميلنا أحمد بركات في دراسته تفوقاً غير عادي، وتخرج من الجامعة مرتبطاً بأم أولاده الدكتورة جميلة أحمد الشعبي زميلته في كلية الصيدلة، وكان ارتباطهما في عام 1994م. وثمرته، أربع بنات هن، لجين 1999م ، آلاء 2001م، مريم 2005م، منة الله 2009م.

بعد التخرج انتقل الدكتور أحمد مع أسرته إلى عدن، حيث يسكن اليوم في حي الطيارين ، بالممدارة الجديدة في الشيخ عثمان.

وقد حصل على ماجستير إدارة صحية سنة 2007 م من المجلس اليمني للاختصاصات الطبية في عدن، واتجه لدراسة اللغة الفرنسية حتى أجادها إجادة متقدمة شأنه فيها شأنه في الانجليزية، إضافة إلى الإلمام بشيء من اللغة الألمانية.

أما في الجانب الوظيفي فقد عمل مدير تسويق بين 1998م و2005 م لحساب شركة روش السويسرية العالمية ، في اليمن، ثم عمل مدير تسويق لدي شركة الخليج للصناعات الدوائية جلفار بين العام 2005 وحتى العام 2015 م، ثم افتتح مشروعه الخاص ، مؤسسة الحشيبري للتجارة والاستيراد ومقرها عدن، وقد طور مهارات وخبرات بالكثير من الدورات التدريبية والمشاركات بالتسويق والتواصل والبرمجة والتخطيط وإدارة الوقت والموارد ومهارات التفاوض وغيرها مساهماً بفعالية في عديد الأعمال الطوعية، مثل العمل في الدعم الفني، والتثقيف الطبي لدى المدارس التركية الدولية،

وخاض مشاركات متفرقة لتقديم الدعم والمشورة لمرضى نقل الكلى والغسيل الكُلوي. ومشاركات عديدة لزيادة الدعم والتشجيع على التبرع لمراكز السرطان وتقديم أدويته، وهي اشتغالات تندرج ضمن اشتغالات الأسرة الحشيبرية على مر تاريخها، كما ترتبط بسعي حثيث لتحقيق إسهام فاعل في النجاح الشخصي وخدمة الآخرين في المجتمع، وتحقيق متكآت جديدة تمد عليها الأسرة الحشيبرية ظلها الباذخ، وهذا ليس كل شيء عن صديق وزميل عرفت فيه من صفات النبل والكرم ما يمكنني أن أكتب عنه الكثير والكثير، لكنه يرتبط بعاطفة الأخوة والزمالة والصداقة والعيش الذي جمعنا، لذلك كبحت جماح عاطفتي وأنا أكتب ليبقى ما أسطِّره عنه متسقاً مع منهج الكتاب الذي يحاول رسم ملامح بني حشيبر عبر ما يقرب من ثمانية قرون بقدر كبير من الموضوعية والإنصاف.

***

وهذا حشيبري آخر ارتبط في ذاكرتي بفترة النصف الأول من ثمانينيات القرن العشرين، فترة التأسيس الواسع للتعليم الأولي في قرى وأديرة ومحال وبيوت الريف التهامي، إنه الأستاذ التربوي الشهير حسن علي اسماعيل محجوب الحشيبري، كان وقتها مديراً للتعليم الابتدائي في مكتب التربية بمحافظة الحديدة، وكان مسئولاً عن توزيع المعلمين على المدارس، كان المعلمون وقتها من الأشقاء العرب، تحديداً من مصر والسودان وسوريا، إضافة إلى دول أخرى مثل الصومال، كانت الفترة كما يراها هو اليوم ونراها نحن أيضاً، هي الفترة الذهبيه لمدارس الجمهوريه كلها فقد كان مستوى التعليم جيداً، والتسابق على فتح المدارس كبيراً، وكانت هناك آمال كبرى ونشاط واهتمام ورغبه جادة في التعليم، بالجملة كانت فترة يصعب أن تعود أو تتكرر -كما يقول- قياساً بما نراه في الوقت الحاضر.

في تلك الفترة كنت أذهب مع أبي — رحمه الله- إلى الحديدة مراراً وتكراراً مطلع كل عام دراسي من أجل توفير أكبر قدر من المدرسين لمدرسة الوعي بالجيلانية، وكان الآخرون من مختلف القرى والأديرة والمحلات في محافظة الحديدة يفعلون ذلك أيضاً، وكان هدفنا دائماً مكتب الحشيبري مدير التعليم الأساسي، كان الأستاذ حسن علي محجوب الحشيبري وقتها في نهاية العقد الثالث من عمره تقريباً، كان شاباً وسيماً بالغ التهذيب والدماثة، يبتسم بحياء، ويتكلم بصوت خفيض ويتعامل

مع الناس بصدر واسع وصبر كثير، كان مظهره جميلاً تزيده الكوفية الزنجباري أناقة، وكثيراً ما كانت معاملاتنا على المدرسين تتصل بالذهاب للتخزين في مقيله، فكان يستقبلنا بنفس الصبر والتواضع، وكان إنجازه جميلاً ومباركاً يستحق التأريخ له والإشادة به.

ولد الأستاذ حسن علي الحشيبري عام 1956م في قرية الحشابرة الأم، بجوار ضريح سيدي الولي الكامل علي بن أحمد بن حشيبر وفي حضن مآثر الآخرين من أولياء البيت الحشيبري رضوان الله عليهم أجمعين، كانت ظروفه الأسرية صعبة بحسب ما حكاه لي أخوه اسماعيل علي الحشيبري ذات ليلة من صيف عام 1988م في مدينة جدة، وقد بدأ الأستاذ حسن دراسته في معلامة القرية عند سن السادسة، ثم جيئ إلى القرية بمعلم رسمي وافتتحت المدرسه الحكوميه في عريش من القش، بعد قيام ثورة سبتمبر عام 1962م، فواصل تعليمه في مدرسة القرية قبل أن ينتقل إلى مدينة الحديدة، حيث استمرت دراسته حتى حصل على دبلوم المعلمين من وزارة التربية والتعليم عام 1973م، وتم تعيينه معلماً رسمياً، وكانت بداية خدمته في مدرسة قرية الحشابرة، بعدها انتقل الى مدرسة النجاح بالزيدية، ثم مدرسة الخادم غالب في الحديدة لفترة قصيرة ليستقر عقب ذلك بمكتب التربية في قسم الشئون التعليمية سابقاً، كان ذلك تحديداً في نهاية عام 1973م، وقد بقي في ذلك العمل حتى حصل على قرار وزاري بتعيينه مديراً للتعليم الابتدائي بالمحافظة.

بين أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن العشرين شارك في دورات تدريبية عديدة تتعلق بتطوير التعليم في اليمن، وكانت جميعها بتمويل وإشراف من منظمة اليونسكو، وبتنسيق مع وزارة التربية والتعليم، وحصل على شهادات في هذا الجانب، كما عمل عضواً بكنترول الشهادات الابتدائية حينذاك لأكثر من ثمانية أعوام، وكان وقتها يضم محافظات الحديدة والمحويت وحجة، وعمل في فصول محو الأمية لأربع سنوات معلِّماً في الفترة من عام 2000 وحتى عام 2009م.

وبتواضع معهود عن آل حشيبر قرر أن ينهي حياته الوظيفية بالعودة إلى ممارسة التعليم، وقد فعل ذلك حيث انضم إلى طاقم التدريس في مدرسة الشورى القريبة من منزله في الحديدة وظل بها حتى أحيل إلى التقاعد في شهر يونيو 2009م بعد خمسة وثلاثين عاماً في خدمة التعليم.

تزوج الأستاذ حسن علي محجوب الحشيبري في 30،يناير 1992م وأنجب خمسة أولاد وبنتين أكبرهم (حال كتابة هذا 19 ابريل 2018م) عمره 22سنه وأصغرهم 3 سنوات وكلهم مازالوا يعيشون معه في بيته بمدينة الحديدة.

***

ومن أعلام بني حشيبر المعاصرين في الحاضنة الأم الشاعر سليمان قادري محجوب الحشيبري، مولده عام 1957 م، في منزل بقرية الحشابرة يجاور ضريح الشيخ الولي الأكمل علي بن أحمد بن حشيبر، وهو شاعر وأديب وناشط سياسي، تلقى تعليمه الأولي في (المعلامة / الكتاب) بقريته ثم حصل على دبلوم المعلمين الأولي 1974م، و نال شهادة الثانوية العامة عام 1993م، ودرجة الدبلوم العالي للمعلمين عام 1998م.

اشتغل مدرساً خلال الفترة من عام 1975م إلى عام 1984م في مدارس المنطقة بدءاً من مدرسة المجد بقرية الحشابرة، مروراً بمدرسة النجاح في المعروفية، وأخيراً مدرسة الإرشاد بقرية المحال، وهو متزوج ولديه ثلاثة أولاد وخمس بنات.

خاض الشاعر سليمان قادري العديد من الجولات الانتخابية لعضوية هيئة التعاون الأهلي للتطوير، ثم المجالس المحلية، وكان الفوز حليفه في كل الجولات الانتخابية التي خاضها في الفترة الواقعة بين عام 1976م وعام 2006م كونه يحظى بقاعدة شعبية كبيرة بقريته وبقية قرى قبيلة الحشابرة.

ترتكز تجربته الشعرية على الجانب الروحي فهو ينطلق من قاعدة إيمانية ويحضر في مفرداته نور الحب الإلهي والنبوي كما في قصيدتيه (رب غوثاً عاجلاً) و(طه حبيب الرحمن)، كما تحضر بشكل كبير سير ومكانة أولياء وعلماء أسرته، إذ هو شديد التعلق بهم، مكب دائماً على دراسة سيرهم وكراماتهم، لا يتوقف في قراءته لهم على زمن معين، بل يتماهى في تاريخهم المشرق المشرّف الذي تغنى به المؤرخون كثيراً، وله قصائد في هذا السياق معروفة في الحاضنة الحشيبرية أبرزها قصيدته (أدركوني آل حشبر)، ذلك كله إلى جانب معالجة شعره للقضايا الاجتماعية والتنموية والعامة، التي كانت منابر المناسبات فرصته للتعبير عنها.

وقد أمدني الدكتور عبد الحفيظ الفقيه بنبذة عنه مشفوعة بقصيدتين من القصائد المشار إليها أولاهما: (رب غوثاً عاجلاً): يقول فيها،

قــل لمــن حــب النــبي　　　صــل بالله علــى النــبي
الرســـول المصـــطفى　　　مـــن خيـــار العـــرب
وعلــــى آل كـــرام　　　ثم صـــحب نجـــب
مـــن حمـــى أم القـــرى　　　أو روابي يثـــــــرب
كــــل أوس خزرجـــي　　　ناصـــروا آووا النـــبي
كـــل فـــذ أشـــعري　　　أو كعمـــــــار الأبي
أهـــل بـــدر كلهـــم　　　في أعـــالي الرتـــب
فبجـــاههموا جميعـــاً　　　رب يسِّـــر مطلـــبي
وبجـــاه الصـــالحين　　　شـــرقها والمغـــرب
الفقيـــه ابـــن عمـــر　　　فيلســـــوف الأدب
ثم ذو الرايـــة الـــولي　　　الحشـــبري النســـب
صـاحب الخطـوهْ علـي　　　سِـــيْدْ جـــدي وأبي
ذو كرامـــات بـــدا　　　عنهـا بكشـف الحجـب
بتقـــاهم أصـــلحوا　　　كـــل قلـــب معطـــب
ربنـــا اكشـــف غمنـــا　　　رب فـــرج كُـــربي
رب غـــوثاً عـــاجلاً　　　يســقي ربعــي المجــدب

رب وارحـــم شـــيبة　　ركّعـــــاً أو محتـــــبي
رب مـن أجـل الصـغار　　الرضــــيع والصـــــبي
يا حمــــايم غـــــردي　　وإســـجعي وانتحـــبي
يا غمــــايم شنشــــني　　بإذن ربـــكْ واســـكبي
رب هـــب منـــا لنـــا　　للتقـــــيّ المـــــذنب
ربنـــا أصـــلح شـــاننا　　رب حقـــق مطلـــبي
ربي جميعـــــاً اهـــدنا　　واصـــطفينا واجتـــبي

وثانيتهما بعنوان:(طه حبيب الرحمن) وهي من القصائد التي تستدعيها مناسبات ختم قراءة الحديث، ثم هي كسابقتها ملونة بروحانية عابقة:

يا ربنـــــا يا رحمـــــن　　أنـــت الكـــريم المنــــان
عبـــدك دعـــاك (ســـليمان)　　مســـكين حـــاير هيمـــان
اليـــوم نختـــم مســـلم　　يارب أنعــــم واكـــــرم
فيـــك الأمـــل لا تحـــرم　　حاضـــر قطـــاف البســـتان
الشـــوق أمـــره يغلـــب　　والحـــب عنـــدي يطـــرب
لمـــن ســـكن في يثـــرب　　طـــه النـــبي العـــدنان
حبيـــب قلـــبي والـــروح　　صـــدري بحبـــه مشـــروح
واســـجع بـــذكره وانـــوح　　وفـــاض بيّ الوجـــدان
صـــلاة ربي ســـــرمد　　علـــى المشـــفع أحمـــد

ما طائر قد غرد وناح فوق الأغصان
من قد أقام الملة يدعو إلى دين الله
والعز بعد الذلة دستور شرعه قرآن
بالنور شق الظلمة يحمل رسالة رحمة
للعالمين والأمة على ممر الأزمان
أفدي بأمي وأبي من قد سكن في قلبي
حبه وذكره دأبي طه حبيب الرحمن
ياليت كف القدرة يحملني حتى قبره
بين الرياض العطرة ومنبره في الميدان
وآل بيته والدار والصحب جملة أخيار
مهاجرين والأنصار على الجميع الرضوان
بجاههم والعشرة والقادة يوم الشجرة
وأهل بدر البررة مبشرين بالغفران
يارب بهم نتوسل والمالكي والحنبل
والشافعي مفضل وبو حنيفة النعمان
والصالحين آل حشبر (الشيخ علي) و(ابن عمر)
و(بحر الدجر) و(الأشخر)[1] أهل التقى والإيمان

(1)نلاحظ أن الشاعر وهويشير لبعض كبار أولياء بني حشيبر (الولي الكامل علي بن أحمد حشيبر، والولي الأكبر

يارب بغـــوث عاجـــل	**يســقي بـــلادي شـــامل**
شـــرقاً وغـــرباً نازل	**ومـــن عـــدن لا جيـــزان**
يارب تفـــريج الهـــم	**والضـــر تكشـــف والغـــم**
أرحـــم إلهـــي أرحـــم	**بـــني البشـــر والحيـــوان**

وكنت في الحقيقة أنتظر قصيدتين أخريين أخبرني عنهما الكتور عبد الحفيظ مؤكداً أنهما سطَّرتا قصتيَّ نجاح (ببركة بني حشيبر) شهد بها القاصي والداني من بني حشيبر.

الأولى بعنوان 《أدركوني آل حشبر》 كتبها الشاعر عام 2001 م والثانية بعنوان 《مدد مدد آل حشبر》 كتبها عام 2006م، وأخبرني أن الشاعر كان في القصيدتين يخوض تجربتيَّ تحد، وفي كل مرة وبعد الاستعانة بالله تعالى يلجأ إلى أجداده لطلب العون والمدد وكان له ما شاء وكما طلب، ومن أسف أن النصين لم يتم توفيرهما لي.

ولا تزال ذاكرتي تعبق بروائح أيام جميلة قضاها معنا في صنعاء سنة 1992م أو سنة 1993م لا أذكر بالضبط التاريخ، لكني لا أنسي الشاب الثلاثيني الأنيق، الذي أضفت تجاربه الحياتية حميمية على مثاقفاتنا معه، حين كان يلعب دور المستشار العاطفي لنا، والحقيقة أنه كان صدراً واسعاً لتلقي مواجيدنا الشاكية، ناهيك عن ثقافته، وروعة صحبته، وخفّة حضوره.

أتحدّث هنا عن الدكتور حسن قادري سليمان محجوب الحشيبري، وهو من مواليد قرية الحشابرة عام 1962م، ثم هو مدير المركز الصحي بالحشابرة، ويعتبر واحداً من الجنود المجهولين الذين أفنوا حياتهم في المجال الصحي، فهو حاصل على دبلوم من المعهد الصحي بصنعاء عام

محمد بن عمر حشير، والولي الكبير أحمد المحاضر الشهير ب(بحرا الدجرا) ذكر معهم العلَّامة المسند الكبير محمد بن أبي بكر الأشخر، وذلك في قوله:

(الشيخ علي) و(ابن عمر)

و(بحر الدجر) و(الأشخر)

وذلك لكون الأشخر شيخ المسندين في تهامة، أخذ عنه بنوحشيبر وأخذ عنه غيرهم، وقد تطرقنا لذلك في فصل سابق.

1983م، وحاصل على أكثر من ثلاثين دورة تأهيلية في المجالات الصحية المختلفة وعلى رأسها معالجة الأمراض، والإشراف على دحر فيروس شلل الأطفال من اليمن، ومكافحة سوء التغذية عند الأطفال.

وهو مؤسس أول مركز صحي في عزلة الحشابرة عام 1984 م، وإنجازاته في هذا المجال كثيرة جداً.

لكن نجاحه المهني في المجال الصحي لم يمنعه من مواصلة تعليمه، فقد حصل على الثانوية العامة(89- 1990م)، وحصل على درجة الليسانس في الشريعة والقانون من جامعة صنعاء عام 2000م

وهو متزوج له خمسة من الأبناء والبنات.

بدوره سيمثل أخوه علي قادري سليمان محجوب الحشيبري، صفحة من أجمل ما سطَّره حشيبريو الحاضنة الأم في هذا الزمان.

ولد في نفس البيت سنة 1968م، وتلقى تعليمه الابتدائي في قريته بمدرسة المجد ، ثم ختم القرآن الكريم على يد العلَّامة الفقيه حسن بن علي بن عمر فقيه الحشيبري ، وتخرج في معهد المعلمين العام ، بعدها نال شهادة البكالوريوس في اللغة الانجليزية من كلية التربية جامعة صنعاء 1993م ، أعقبها انخراط في العمل استغرق سنين عددا قبل أن يعود للجامعة حيث نال درجة الماجستير بنفس التخصص من جامعة الحديدة 2012م.

في رحلته الوظيفية اشتغل مدرساً بالمرحلة الابتدائية والمتوسطة لمدة سنتين (خدمة الزامية) ، ثم مدرساً بمعهد الفاروق للمعلمين بالزيدية ، ثم محاضراً بالمعهد العالي لإعداد وتأهيل المعلمين (سنتين بعد الثانوية العامة) مدة تزيد عن عشر سنوات، كان خلالها عضواً فاعلاً في مجلس المعهد العتيد بمدينة الزيدية منذ وجد فيه، وقد عهد إليه بلجنة التنسيق والقبول، كما كان رئيساً للجنة الكنترول ورئيساً لقسم المواد التربوية في المعهد ذاته خلال تلك الفترة.

عقب ذلك انتقل للعمل مشرفاً تربوياً في مشروع مدارس المجتمع بالمنطقة وهو مشروع تموله منظمة اليونسيف، وعمل موجهاً تربوياً لمادة اللغة الانجليزية ومدرباً تربوياً لمعلمي المرحلة الأساسية

ومدرسي اللغة الانجليزية والإدارة المدرسية.

وفي عام 2012م انتقل للعمل محاضراً بجامعة الحديدة ، كلية التربية والعلوم التطبيقية – باجل – ثم عهد إليه بالعمل معداً لاختبارات القبول في مادة اللغة الإنجليزية للكليات العلمية بالجامعة للأعوام 2012–2015م.

خلال تلك الرحلة المثمرة شارك الأستاذ علي القادري في حضور العديد من الندوات وورش العمل والدورات التدريبية في مادة اللغة الإنجليزية التي كان يقيمها المجلس الثقافي البريطاني باليمن British Council ، كما شارك أيضا في حضور العديد من مناقشات رسائل الماجستير بجامعة الحديدة، ناهيك عن إسهامه بمشاركات فاعلة في العديد من المسوحات الميدانية، والإحصاءات والتعدادات السكانية والزراعية التي نفذها الجهاز المركزي للتخطيط ، والتي كان لنتائجها إسهام إيجابي في عملية التخطيط للتنمية الشاملة في اليمن خلال الفترة من 1993إلى2004م.

وشارك في أكثر من أربعين برنامجاً ودورة تدريبية في المجال التربوي ، ونفذ ما يقارب العشرين برنامجاً ودورة تدريبية ، وحصل على أكثر من ثلاثين شهادة تقدير، وشكر ، وتكريم من عدة جهات تقديراً لجهوده وإسهاماته في عملية البناء والتنمية في مختلف مجالات الحياة.

لقد أمضى الأستاذ علي قادري حياته العلمية والعملية منذ بدايتها مكافحاً عصامياً متغلباً على تحديات الزمن ، من خلال الإصرار والمثابرة والجد والإجتهاد ، يقوده طموح متأصل إلى تحقيق أهدافه المنشودة دون كلل أو تراجع، حتى استطاع بالفعل أن يجعل أمانيه حقيقة واقعة، .

ومع كل تلك الانجازات عاش حياة العلم والبساطة على طريقة أجداده العلماء الأولياء دون تكلف أو اغترار بمظاهر الحياة المادية ، أو السعي للحصول على منصب عال ، بل إنه كان يتجنب – دائماً – أن يشغل أي عمل إداري ، كونه يقدس الحياة العلمية ويفضّلها على غيرها ، متأثراً في ذلك كله بما يقرأ عن مناقب ومآثر أولياء الله الصالحين ، الذين أحبهم طيلة حياته، وكان حظي وفيراً بمساندته لي وأنا أنجز هذا الكتاب من خلال ما أمدني به من معلومات عن الحاضنة الحشيبرية الأم وأحوالها في حاضرنا اليوم.

أخيراً هو متزوج وأب لستة أولاد (رحاب ، مُحَمَّد ، وفاء ، فاطمة ، عبدالسلام أكرم).

***

الدكتور أبوالغيث عبدالله مهدي محجوب الحشيبري هو أيضاً اسم يلمع في قائمة الشرف الحشيبري المعاصر، ولد في الحشابرة سنة 1970م، وحصل على دبلوم معلمين عام 1987م ونال درجة البكالوريوس في الفيزياء من جامعة صنعاء 1993م، ودرجة الماجستير في فيزياء أشباه الموصلات من بولندا 2000م، ودكتوراه في فيزياء أشباه الموصلات من بولندا أيضا سنة 2004م، أما في السلك الوظيفي فقد عمل أستاذاً مساعداً في جامعة الحديدة منذ عام 2005م، وأستاذاً مشاركاً فيها عام 2011م، وترقى إلى درجة الأستاذية عام 2018م، نشر عديد الأبحاث في مجال تخصصه في مجلات علمية دولية محكمة، وأشرف على عديد رسائل الماجستير، كما حكم عدة أبحاث في مجال التخصص، وحصل على جملة شهادات تقدير من مؤتمرات علمية محلية ودولية، وشارك في عديد المؤتمرات العلمية وفي عدد وافر من ورش العمل، ناهيك عن مشاركته في كثير من الفعاليات التي تصب في خدمة المجتمع والوطن.

نشر ثلاثة كتب علمية في مجال الفيزياء، وهو عضو في هيئة التدريس بجامعة الحديدة، وعميد للتعليم المفتوح بالجامعة نفسها، ورئيس لقسم الرياضيات بكلية التربية في زبيد.

***

ومن شباب الحشابرة المميزين في الحاضنة الأم يجدر بنا أن نقف عند أسماء أخرى أولها مُحَمَّد مُحَمَّد اسماعيل محجوب الحشيبري، مولود في الحشابرة عام 1973م، درس الابتدائية والإعدادية في مدرسة المجد بالقرية الأم، وحصل على الثانوية من مدرسة ذوآل في الزيدية عام 1992م، ثم نال البكالوريوس في اللغة العربية من جامعة الحديدة عام 1997م، وعمل مدرساً بالمجد إلى عام2004م حيث تم تعيينه مديراً لمدرسة خديجة بنت خويلد بالحشابرة إلى يومنا هذا (2018م).

حاصل على العديد من الدورات التدريبية في مجال الإدارة المدرسية والصحة النفسية والتخطيط وبرنامج المدارس الصديقة، وحصل أيضاً على العديد من شهادات التقدير من المنظمات المختصة.

إلى جانب ذلك ظل حريصاً على تنمية معارفه الدينية والعلمية على يد المشائخ الفقهاء في المنطقة وله اهتمامات بالطرق الصوفية وخاصة التصوف عند أولياء بني حشيبر.

متزوج وله أبناء ثلاثة ذكور وست إناث

ومن أبناء القرية الأم – أيضاً –الأستاذ سلطان مُحَّد عمر معتوق الحشيبري، حاصل على ليسانس شريعة وقانون، وحاصل قبلها على دبلوم متوسط بعد الثانوية، التخصص معلم صف، وهو يدرس حالياً بمدرسة المجد بالحشابره، متزوج وله من العمر 44سنة، وأنا أدين له ببعض المعلومات عن حاضنة الحشابرة، وقد أشرت لذلك في مكانه[1]

أما موسى أحمد إسماعيل شيخ الحشيبري فهو حفيد الشيخ اسماعيل بن علي بن أحمد الذي أعدمه الإمام أحمد حميد الدين في سجن نافع بحجة.

موسى من مواليد قرية الحشابرة 1962م، تخرج من الثانوية العامة عام 1983م – مدرسة ذوآل الثانوية بمدينة الزيدية – بعد الانتهاء من الخدمة العسكرية لمدة عام واحد (1983–1984) انخرط في سلك التدريس بدءاً من عام 1985م، وكان مديراً لمدرسة الإرشاد بقرية المحال مدة ثلاث سنوات (1988–1991)، ثم انتقل إلى قرية الحشابرة للتدريس حيث تم تعيينه وكيلاً لمدرسة المجد. أثناء خدمته في التربية والتعليم التحق بكلية الشريعة والقانون - جامعة صنعاء – وحصل على الليسانس في الشريعة والقانون عام 1994م.

حصل على عديد الدورات التدريبية في الإدارة المدرسية، وعيّن رئيساً للجان الاختبارية خمس عشرة مرة، كما شارك في التعداد السكاني للمساكن والسكان عام (1986)، وشارك في قوات الاحتياط العسكرية في العيد الفضي لثورة سبتمبر سنة 1987م، ورأس لجنة انتخابية في الانتخابات الرئاسية عام 2006م

وهو ممن تعاون معي برسالة طويلة حافلة بالمعلومات عن تاريخ أسرته، ووقائع إعدام جده وشيء من أخبار أبيه.

***

([1]) أرسل لي هذه المعلومة عن نفسه بتاريخ 12 إبريل 2018م

وهناك آخرون من بني حشيبر منهم:

يحي شيذلي شيخ الحشيبري من مواليد قرية الحشابرة، تخرج من الثانوية العامة عام (1984 – 1985) – مدرسة ذوآل الثانوية بمدينة الزيدية –، بعد الانتهاء من الخدمة العسكرية (1985-1986) التحق بكلية التربية (فرع الحديدة) قسم اللغة الانجليزية – جامعة صنعاء عام (1987 – 1988) حيث حصل على البكالوريوس في اللغة الانجليزية عام 1992م، وفي العام نفسه تم تعيينه مدرساً للغة الانجليزية في مدرسة أبي بكر الصديق الإعدادية بالحديدة، وما زال على رأس العمل في التربية والتعليم إلى الآن (2018م)، حصل على دورات مختلفة في التدريس وشارك في لجان اختبارية متعددة.

أما الفقيه الأستاذ عمر بن مُحَّد بن يحى بن مُحَّد الحشيبري المولود بقرية الحشابرة 1945م، فقد نشأ وتربى في بيت علم وصلاح، وتلقى تعليم القرآن الكريم وحفظه على يد والده الفقيه مُحَّد بن يحى الحشيبري، ثم على يد الشيخ علي مُحَّد وهان في المعلامه(الكتاب).

درس الفقه والتفسير على يد جده العلَّامة المشهور بالصلاح الفقيه يحى بن مُحَّد الحشيبري ثم على يد والده ثم على يد أستاذه علي وهان، بعدها هاجر إلى السعودية وهناك أكمل دراسة الفقه حسب وصية والده له.

عاد إلى أرض الوطن وتزوج ثم اشتغل مدرساً بمدرسة خديجة للبنات بقريته، يعالج المرضى بالقرآن الكريم والطب العربي، وقد شفيت على يديه معظم الحالات، جمع وطبع كتابين هما "الهجرة النبوية"، و"المولد النبوي الشريف"، وهو رجل مشهود له بالصلاح والتقوى والزهد والعطف على المساكين

***

أما آخر من سنتناوله هنا من أبناء الحاضنة الحشيبرية الأولى فهو الشاعر عبدالله إبراهيم علي الحشيبري، وهو الوحيد هنا من خارج القرية الأم إذ هو ينتمي إلى قرية العبدية إحدى قرى عزلة الحشابرة، من مواليد عام 1980م، تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة النحل بالعبدية ثم انتقل إلى مدرسة الفجر الزاهر بدير عطاء ليكمل دراستيه الإعدادية والثانوية، وفي عام 1998م تخرج من الثانوية العامة قسم أدبي، بدأ محباً للشعر يتجول في بساتينه من مختلف العصور قبل أن يبدأ كتابة

الشعر وهو في سن التاسعة عشر، وهو شاعر واعد آمل أن يكون له مستقبل شعري، كما أتمنى أن يبتعد عن القالب التقليدي الذي يقيد شعره، ويسلك به دروب المعاني القديمة المطروقة وهنا سأحتفي بثلاثة نصوص من شعره، تشجيعاً له متمنياً أن أكتب عنه مستقبلاً، وقد تطور وبلور لنفسه أسلوباً مميزاً ورؤية تليق بزمنه:

-1-

هل أنت مثلي في الغرام تعاني　　　فأنا وربك ذبت في أشجاني

هل شفك الشغف الذي قدشفني　　　أم قد تناسيت الهوى وحناني

الشوق يعصرني بكل دقيقةٍ　　　فكأنني في البعد شخصٌ ثاني

أشدو مع الكروان أشعر بالغنا　　　أن الذي أشجاه قد أشجاني

فإذا أعبر عن جنون مشاعري　　　ألقاك للبيت الجديد معاني

وأراك في ورق الكتابة ضاحكاً　　　فإذا انتهيت أراك في الجدران

ما لي ملاذٌ عن هواك وحيلةٌ　　　يا فتنتي يا حظ قلبي العاني

إني لأنكر للعذول محبةً　　　فيبوح صمتي وانعقاد لساني

فعلى الشفاة يراك مرتسماً فلا　　　يجدي جحودي لا ولا نكراني

إني لأرجو أن أراك كما ترى　　　بل مثلما أهواك أن تهواني

-2-

لا تفي إن كتبت بنت المداد　　　بالذي صرت مضمراً في الفؤاد

علمتني الحياة منها دروساً　　　و علمت المحب لي والمعادي

من وفى لي بوده صرت أوفى　　　و المعادي ليومه في سواد

إنمـا الـذل في انتظـار المجـافي		لـيس نفسـي لهـاجرٍ في انقيـاد
مـا افتخـاري بعـدةٍ وعتـادِ		غـير غيضـي لأنفـس الحسـاد
فسكوتي عـن الحسـود انتصـارٌ		بـل ومجدٍ عـن شكوتي وانتقـادي
يقتـل الحقـد ربـه في زمـانٍ		كثـر الحقـد والـبلا في ازدياد
كلما زاد حقـد مـن لـيس ينهاه		– هـواه فنـاره في اتقـاد
هجـر بعـض الأنام لـيس معيبـاً		طالمـا لا يفـون حـق الـوداد

-3-

مـا لي ومـا للحسـن والأسـوار		فلقـد تحـدد في الهـوى مشـواري
غـيرت جـدولتي فليتـك تعلمـي		أن الطريـق مخـالف تيـاري
فـالمظهر الخـداع لـيس بملفـتٍ		مثلـي فـإني قـد أخـذت قـراري
مـن أيـن جئـت لتشـغليني بالهـوى		مـن أيـن جئـت لتعبري أسـواري
مـن ذا أشـار إليـك كـي تغـريني		حتمـا فـذلك جاهـل إصـراري
عصـري وعصـرك قـط لـن يتجمعـا		كـالثلج لا يبقـى بوسـط النـار
زمـن المحبـة قـد تـولى عهـده		وتبـدلت نسـماته بغبـار
ما عـاد يجدي الشوق كلا لا الوفا		فالحـب أصـبح يشـتريه الشـاري
حـبي وهبتـه للـذي أهـل لـه		لا لـن أغـير خطـتي ومسـاري

***

خروج

هانحن نصل إلى خاتمة الكتاب، لكننا بالتأكيد لم نصل إلى خاتمة الرحلة، لقد حاولت من خلال هذه الفصول أن أبني سيرة إن لم تكن متكاملة فهي شبه متكاملة لتاريخ الأسرة الحشيبرية، فاستقصيت قدر الإمكان كل ما استطعت الوصول إليه من المصادر التاريخية، متكئاً على السرد التتابعي لرؤية المؤرخين لها في حقب التاريخ المتلاحقة، ثم حاولت ربط المتأخرين بالمتقدمين مع إلقاء مزيد من الأضواء على واقع الأسرة وأعلامها في الحاضنة الأم، وامتداداتها خارج موطنها الأصل من خلال بعض مشاهير الأسرة الذين نبغوا في مجالات مختلفة، وفي سبيل توضيح الصورة أكثر حاولت استيعاب كل شاردة وواردة وصلني علمها، حتى المعلومات الهامشية التي كان يمثل سردها حالات استطراد إلى حد ما – تعاملت معها بوصفها مكمِّلات ضرورية للصورة العامة التي أحاول رسمها.

لقدكانت فصول الكتاب في معظمها تشكِّل بانوراما للتاريخ الحشيبري تجعل القارىء أشبه ما يكون براكب قطار ينظر من النافذة إلى الشوارع والأبنية والأشجار وهي تنقذف أمام عينيه في مشاهد متتابعة، وتلك غاية حقيقية تعمدتها، وتلمست نجاحها وأثرها حين نشرت على صفحتي في موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك بعض تلك الفصول عند منتصف عام 2017م.

وفي حين ركزت فصول أخرى من الكتاب على التأكيد على الدور العلمي من خلال وقفة عند رجال السند، ووقفة أخرى مع المستجيزين وعلى مقاربات وقراءات للمكان في مشتجر الأحداث، فقد كانت اشتغالات الفصلين الأخيرين مما أعتد به، ففي مقاربة السياقات الثابتة والمتغيرة، وجدت نفسي أمام تجربة رائعة اكتشفت من خلالها مجموعة من الأسماء الحشيبرية اللامعة، أثبتت بما لايدع مجالاً للشك أن فترة الثمانين عاماً الأخيرة، وهي الفترة التي كنت أظنها يباباً، يمكن عدّها من أحفل الفترات بالكبار، وإن تغيرت المتكآت، واتخذت الأسماء كلها –عدا واحد منها– ألقاباً فرعية، حتى الواحد المستثنى اتخذ للقبه صيغة أخرى (حشابرة).

أما في الفصل الأخير فقد اتسمت مقاربة الحاضنة الأم لبني حشيبر بكونها محاولة لرسم بعض وجوه واقعها عند نهاية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، ثم بمحاولة تقديم نماذج من أبنائها المميزين، الذين تتحلى بهم أيامها اليوم، وقد تعمدت أن أنحو – خاصة في التراجم – منحىً توثيقياً، معتمداً على سير (سيفيهات) لهم وصلتني جميعها عن طريق الدكتور عبد الحفيظ فقيه الحشيبري، عدا ثلاثة أسماء تلقيت معلوماتي عنها مباشرة منها، وهم الدكتور أحمد بركات الحشيبري، الأستاذ سلطان معتوق الحشيبري، والشاعر عبدالله إبراهيم الحشيبري، وقد فعلت ذلك لضرورة التأريخ للمكان وأهله مدفوعاً برغبة في سد الفجوة بين الأمس واليوم، وهي فجوة يقول الواقع إنها اتسعت مع الأسف أكثر مما ينبغي، كما أني فعلته من جهة أخرى بوصفه استكمالاً لمقاربات الفصل السابق على هذا الفصل، حيث الهدف الجامع للفصلين وفصول أخرى سابقة عليهما هو رسم صورة لجانب من تاريخ الأسرة تناثرت الأخبار والمعلومات عنه في بطون الكتب بشكل لا يلفت القارىء العادي، أو أهملته واستخفّت به الذاكرة الشعبية تحت طائلة الجهل بأهميته، أو في سياق استنقاصه والسخرية منه ضمن حملة التجريف والتخريب والتهميش التي تستهدفه، وإمامقاربة ما أهمله المؤرخون السابقون وتغطية ما استجد بعدهم، أقصد بالذات مرحلة مابعد المؤرخ اسماعيل بن مُحَمَّد الوشلي صاحب (نشر الثناء الحسن) المتوفى سنة 1937م، وهي المرحلة التي أشرت إليها قبل قليل بمعنى تغطية فترة الثمانين عاماً الواقعة بين عام 1937و عام 2018م، مع يقيني أن هذا أقل من المأمول. فثمة مقاربات أخرى كان يجب أن تُجترح، وثمة أسماء أخرى كان يجب أن تكون هنا، وثمة علم عالمي الشهرة ينسب إلى بيت الدهل، كان يمكن أن يفرد له فصل كامل يخصه، لكني لم أقترب منه ولم أجروء حتى على ذكر اسمه لسبب بسيط هو أني لم أستطع التحقق ما إذا كان الدهل هذا هو الدهل الحشيبري أم غيره؟!.

مع ذلك فمن المؤكد أن هذا العمل حين يقرأ منشوراً سيستدعي بالضرورة نقاشات واستدراكات كثيرة، سواء في الحاضنة الحشيبرية الأم أو خارجها، بين أبناء الأسرة أو غيرهم من المهتمين والقراء بشكل عام، لكني أريد أن أؤكد أن هذا هدف من أهدافي أيضاً، فالكتاب يتغيا أن يكون نموذجاً يحفِّز على درس الأسر التي ترادفت مع هذه الأسرة عبر التاريخ فنحن بحاجة لكتب

تدرس الأهادلة والقديمين وآل الأشخر وبني جعمان وآل الهتار وآل المزجاجي وآل الزيلعي وآل الجبرتي، وبني سود وآل الناشري، وآل الحكمي، وآل الحضرمي وآل العجيل وآل البجلي، وآل الأشخر، ، وغيرهم وغيرهم.

من جهة أخرى يتغيا الكتاب بعث الهمة عند الحشيبريين أنفسهم، فثمة من سيدفعه هذا العمل على الاستدراك عليه ومحاولة تكملته ربما بشكل أوفي وأفضل، وهذا شأن العلوم والمعارف والاشتغالات العلمية، فهي لا تكتمل بعمل فردي مهما بلغ به صاحبه من التجويد والحرص على الكمال، بل تكتمل بجهود لاحقة تستدرك وتنقض وتنقد وتستكمل وتؤازر أيضاً من وجوه مختلفة.

من جهة أخرى فإن فيما قدمته هنا محاولات للاقتراب بشكل يشبه لفت الانتباه إلى البنى الثقافية المؤثرة في تهامة بشكل خاص، وفي اليمن بشكل عام، ومعها امتدادات جغرافية تصل إلى مكة والمدينة وتشمل الساحل الإفريقي والهند وماجاورها، وهي تأثيرات ساهمت فيها الأسرة الحشيبرية مع الأسر المجاورة والمتشابكة معها في الجغرافيا، والمتزامنة معها عبر التاريخ من تهامة وجبالها إلى سائر أرجاء اليمن خاصة من أب وتعز إلى عدن وحضرموت، ، بمعنى أن هذا جزء من تاريخنا، تاريخ اليمن، الذي يجب أن نعرفه ونفهمه، كي ندرك الوجوه الأخرى لهذه البلاد، فالبحث في هذا المجال لايزال فقيراً ومتعثراً، ومحفوفاً بالتباسات كثيرة تطرقنا لها في مقدمة الكتاب وفي مواضع مختلفة منه.

لقد كان العرض التاريخي – إن جاز التعبير– يحاول أن يتتبع المسارات البطيئة لحياة أجيال متتابعة من الشخصيات البارزة في هذه الأسرة المميزة، وهي تراكم منجزها الحياتي والتاريخي والعلمي جيلاً بعد جيل، وصولاً إلى الفترة الحالية التي تسجل تراجعاً لمستوى الوعي الظاهري للأسرة بنفسها عند بعض أبنائها وحتى عند بعض أعلامها، وإن كان الوعي العميق بالمكانة والثقل الإيجابي مستمراً وفاعلاً على الأقل عند أغلبية أبنائها، فهي لم تتخل عن حس التقوى القائم على حس صوفي أصيل، كلا ولا فارقت قيم التواضع وأخلاق العناية، والشغف العالي بالعلم، ونوستالجيا الحنين إلى ماضي الأسرة المجيد.

وهنا عليَّ الاعتراف بصعوبة الحياد العلمي أثناء الكتابة، ولو ادعيت الحياد فسأكون فاقداً

للمصداقية بكل تأكيد، ذلك أن دوافع التأليف هي مزيج من الشغف والانبهار والشعور بضرورة إعادة الاعتبار لتاريخ تحاول جهات وقوى وتيارات كثيرة محوه وإقناعنا بعدم أهميته.

تم إنهاء العمل على الكتاب في الساعة الثامنة والربع من صباح السبت 23يونيو 2018 م وذلك في مكتب الدكتور هاني الصلوي بمؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر.

ملحق صور ووثائق

المجموعة الأولى صور لمقبرة بني حُشيبر في القرية الأم تضم ضريحي الوليين الكبيرين محمد بن عمر حُشيبر (718هـ) و علي بن أحمد حشيبر (822هـ) ومعهم عشرات الأولياء والعلماء من نفس الأسرة























المجموعة الثانية صور من زوايا مختلفة لضريح ومقبرة الشيخ (أبوبكر بن إبراهيم الدُهل) (802هـ) مؤسس مدينة الزيدية








بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله إلا الله


بسم الله الرحمن الرحيم
محمد رسول الله
لا اله إلا الله







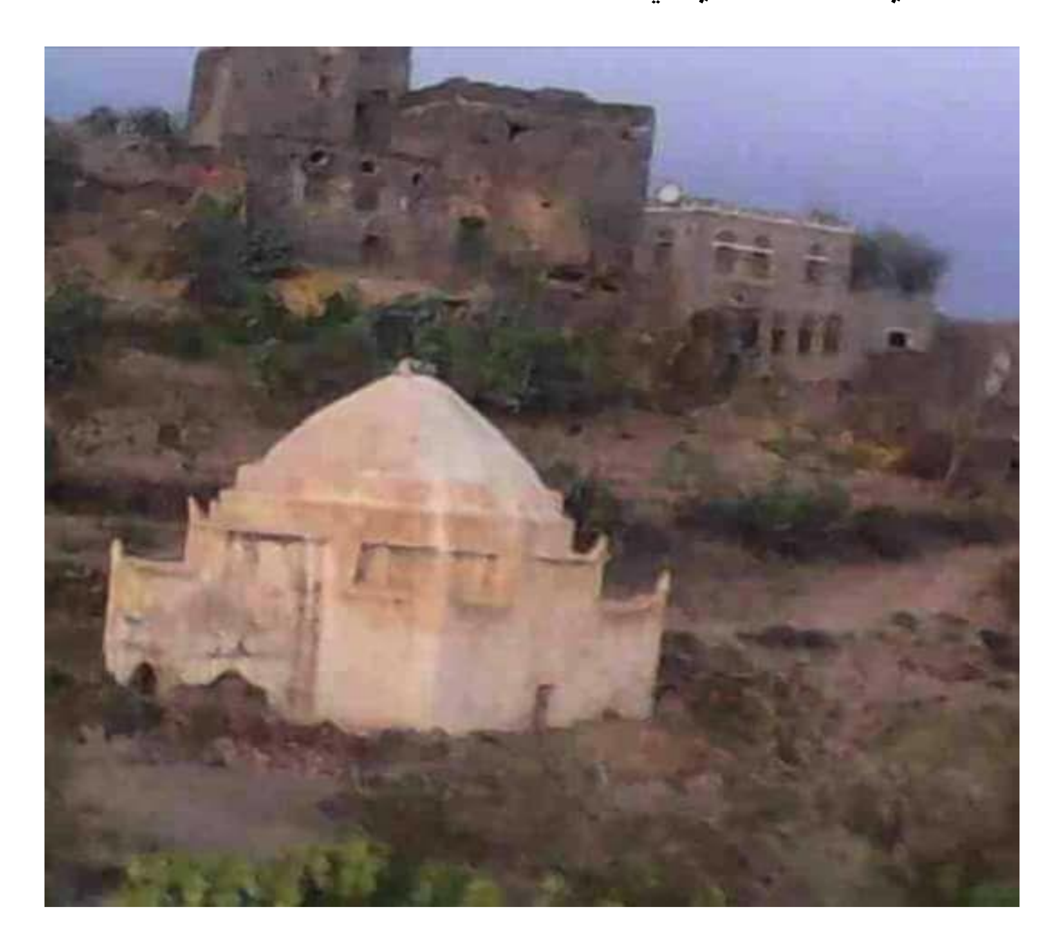

بسم الله


بسم الله

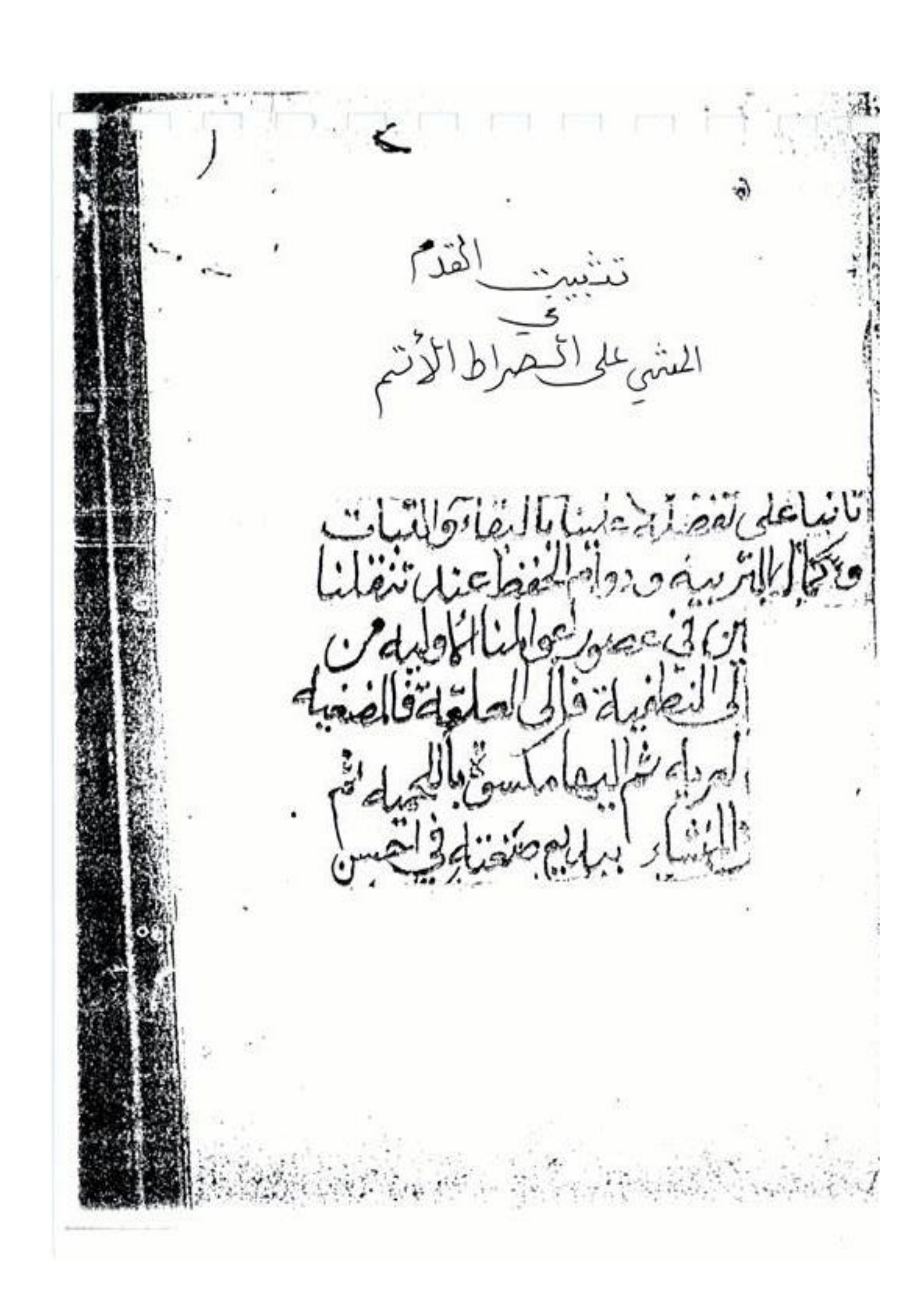
صورة ضريح الولي موسى بن محمد بن عمر حُشيبر (القرن الثامن) في محل غبيش مديرية الزيدية، وهو الشهير بـ (مسير الشوك)



صورة قبة وضريح الولي جمال الدين محمد بن علي الحُشيبري حوالي القرن الحادي عشر الهجري في قرية الشعبية – عنس محافظة ذمار







تثبيت القدم
في
المشي على الصراط الأقوم

ثانيا على تفضله علينا بالبقاء والثبات
وكمال التربية ودوام الحفظ عند تنقلنا
بين في عصور عوالمنا الأولية من
النطفية فإلى العلقية فالمضغية
المرباة ثم إليها مكسوة باللحم ثم
الإنشاء ببديع صنعته في أحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الفقيه علي بن علي فقيه الحُشيبري



الفقيه العلّامة حسن بن علي فقيه الحُشيبري



بروفسور آمنة يوسف



الفهرست

صدر للمؤلف



1- الوردة تفتح سرها–دار أزمنة عمان – الأردن 1998م.

2- راتب الألفة – مركز الحضارة العربية –القاهرة 1999م.

3- إشراقات الولد الناسي – الهيئة العامة اليمنية للكتاب – صنعاء 1999م.

4- غناء في مقام البعد – طبعة أولى – مؤسسة العفيف الثقافية صنعاء 2000م ... طبعة ثانية: مركز عبادي للدراسات والنشر–صنعاء2007م.

5- كتاب الجنة – ديوان شعر– اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين 2004م.

6- صدرت أربعة من دواوينه هي: (الوردة تنفتح سرها، كتاب الجنة، إشراقات الولد الناسي، راتب الألفة) في مجلد واحد ضمن منشورات صنعاء عاصمة الثقافة العربية 2004م.

7- ديوان الحضراني (جمع وتحقيق وتقديم) صدر عن وزارة الثقافة صيف 2006م.

8- (امناجي ثواب. وكوميديا الألم) مركز عبادي للدراسات والنشر – صنعاء 2007م.

9- قمر في الظل (قراءات في تجارب رواد الإبداع والثقافة في اليمن) إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية 2010م.

10-أصوات متجاورة (قراءات في الإبداع الشعري لجيل التسعينات في اليمن) إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية 2010م.

11-ديوان الشيخ عبدالرحمن بكيرة (تحقيق مشترك) إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية 2010م.

12-عبدالباري طاهر صوت الحرية وقلمها – صدر عن وزارة الثقافة– صنعاء 2014م.

13-عبد الباري طاهر صوت الحرية وقلمها (فيلم وثائقي) انتاج لجنة تكريم الأستاذ عبد الباري طاهر –صنعاء 2014م.

14- يد في الفراغ مجموعة شعرية صدرر عن الهيئة العامة المصرية للكتاب 2016م .

15- مفاتيح الأدراج (مقاربات في السرد وزارة الثقافة اليمنية و أروقة للدراسات والترجمة والنشر القاهرة 2018م

16- بنو حشيبر.. إرث العلم وبذخ الولاية أروقة للدراسات والترجمة والنشر القاهرة 2018م

17- منثور الحكم لمحمد بن عمر حشيبر (دراسة وتحقيق وتعليق) أروقة للدراسات والترجمة والنشر القاهرة 2018م

18- مَلامَتِيّــــة (قراءات في تجارب إبداعية وثقافية)

أروقة للدراسات والترجمة والنشر القاهرة 2018م

البريد الإلكتروني: aljaylany2@gmail.com